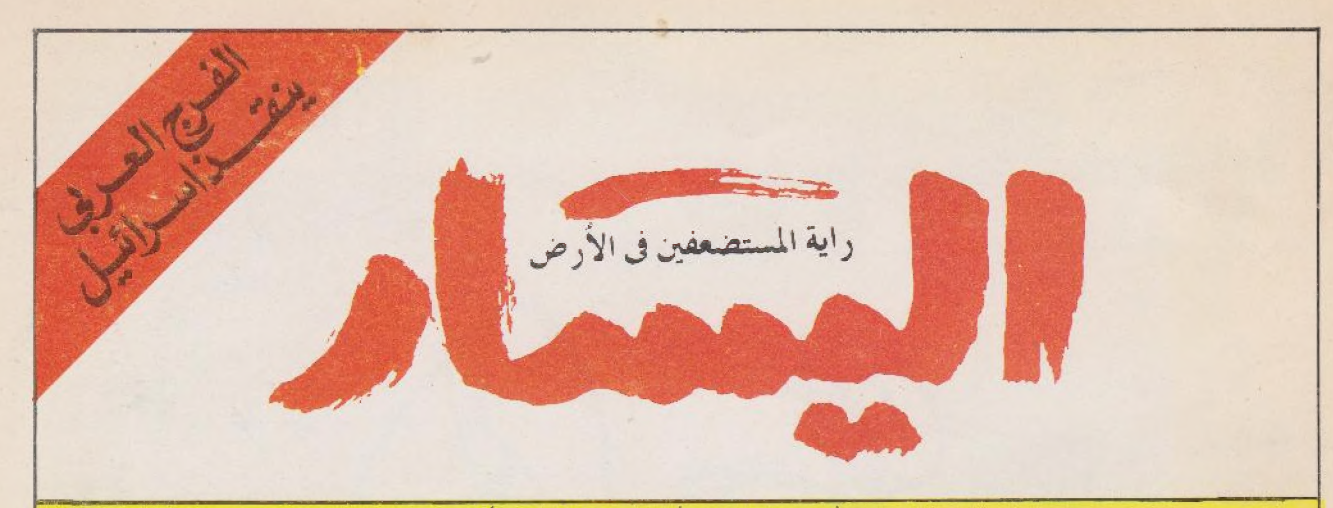


■ العدد السادس والعشرون / إبريل ١٩٩٢ م / رمضان ١٤١٢ هـ / الثمن جنية مصرى ■



بيع العرض والعرق فى سوق النخاسة

الأسعار نار.. ولا عيد للفقراء

وثيقة البنتاجون السرية : أمريكا ضد حلفائها

"القوميون" الكويتيون يفتحون النار على المثقفين العرب



حوارات ساخنة.. ومفاجآت فى مؤتمر "حزب" المعارضة اليسارية



فى هذا العدد

العيد

كل عام وأنتم بخير.. فأيام قليلة وينتهى شهر الصيام، ويهل علينا عيد الفطر المبارك. وهديتنا فى العيد لقراء اليسار، هى عودة ريشة الفنان الكبير «حجازى» لتضئ «كلمته» غلاف اليسار نزولا على الحاح ونداءات القراء وأسرة التحرير، وليواصل الصديق الفنان «عز العرب»- الذى تحمل العبء معنا خلال غياب حجازى- عطاءه على صفحات اليسار.

وقد خصصنا مساحة كبيرة من هذا العدد لتقرير شامل عن المؤتمر العام الثالث لحزب التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى، لايقف عند حد نشر القرارات والبيان الختامى وكلمة الافتتاح، ولكنه يحاول نقل صورة نابضة بالحياة للحوارات والنقاشات و«الخلافات» التى أثمرت فى النهاية النتائج الهامة التى توصل اليها، وأن يلقى الأضواء على دلالات النتائج وأبعادها ومغزاها.

ولم يكن هذا الاهتمام لأننا نصدر عن حزب التجمع. ولكنه قرار إتخذناه لسببين.. الاول إيماننا بحق القراء والمواطنين فى معرفة ومتابعة الحياة الداخلية للأحزاب السياسية، خاصة حزب اليسار. فالجماهير هى صاحبة هذا الحزب ومصدر قوته واستمراره.. والثانى أن المؤتمر العام طرح كل مشاكل الوطن السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وقدم رؤيته للسياسات البديلة التى يراها حلا للأزمة الطاحنة التى تمسك بخناق المجتمع وطبقاته المنتجة.

ونأمل أن تكون هذه التغطية الشاملة بداية لحوار خصب فى أعدادنا القادمة حول نتائج المؤتمر.

اليسار

رئيس التحرير:
حسين عبد الرازق
المشرف الفني:
محمود الهندى
المستشارون:
إبراهيم بدراوى
د. رفعت السعيد
صلاح عيسى
د. عبد العظيم أنيس
عبد الغنى أبو العينين
محمود أمين العالم
شارك فى التأسيس:
د. فؤاد مرسى

اليسار: منبر ديمقراطى يصدر عن حزب التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى فى اليوم الأول من كل شهر.

AL YASSAR 3 MIDAN
EL MALEKA ZOBAIDA
IMBABA GIZA A.R.E

الاشتراكات: لمدة سنة واحدة
مصر:
١٢ جنيها للأفراد ٣٠ جنيها للهيئات.
الوطن العربى: ٥٠ دولارا أمريكيا أو ما يعادلها.
العالم: ١٠٠ دولار أمريكى أو ما يعادلها.
ترسل القيمة بشيك مصرفى أو حواله بريدية إلى إدارة المجلة.
الإدارة والتحرير: ٣ ميدان الملكة زبيدة شقة ٣ - مدينة الطلبة - رقم بريدى ١٢٤١١ - إمبابة جيزة.
ت: ٣٤٤٧٩٤٠ فاكس ٣٤٤٢٠١٣

موقفنا

التهديدات الأمريكية واستقلال القرار المصرى

حسين عبد الرازق

فى ٨ مارس الماضى نشرت صحيفة «النيويورك تايمز» الأمريكية وثيقة سرية أعدتها وزارة الدفاع عن الاستراتيجية الأمريكية لمرحلة مابعد انتهاء الحرب الباردة، تكشف عن أهداف السياسة الأمريكية فى العقود القادمة.. (راجع رسالة واشنطون للزميل سمير كرم فى هذا العدد).. والتى تقوم على ضمان عدم ظهور قوة دولية منافسة لواشنطون سواء فى أوربا الغربية أو آسيا أو دول الاتحاد السوفييتى سابقا.. وإقناع المنافسين المحتملين بعدم الحاجة إلى السعى نحو دور دولى أكبر أو إلى اعتماد سياسة عدائية لحماية مصالحهم المشروعة. وتوضح الوثيقة أهمية قيام عالم تتحكم فيه دولة كبرى واحدة (الولايات المتحدة الأمريكية)، تتصرف تصرفا بناء وتكون لديها القوة العسكرية اللازمة لردع أية دولة أو مجموعة دول تتحدى التفوق الأمريكى.. وأن على الولايات المتحدة الأمريكية أن تكون مستعدة للرد على أى اعمال مزعجة تقوم بها كوبا وكوريا الشمالية، وأن عليها الاستمرار فى تصويب أسلحتها النووية فى إتجاه القدرات النووية الروسية، وعليها المحافظة على وجود عسكرى فى أوربا للمحافظة على حلف الأطلنطى، وأن تكون واعية لإمكانٌ تعزيز اليابان وكوريا لدورهما الاقليمى فى شرق آسيا.

ولكن أهم ماورد فى هذه الوثيقة السرية ويتعلق بنا مباشرة، الحديث عن إمكانية استعمال الولايات المتحدة للقوة العسكرية اذا إقتضى الأمر لمنع إنتشار الأسلحة النووية وأسلحة الدمار الشامل عامة فى دول مثل كوريا الشمالية والعراق وبعض دول الاتحاد السوفييتى السابق، وفى أوربا الغربية أيضا.. و«أن الهدف الأمريكى فى الشرق الأوسط وجنوب غرب اسيا هو.. «ابقاء القوة الأمريكية المسيطرة فى المنطقة والمحافظة على المصالح الغربية بالوصول الى منابع النفط، وردع أى عدوان جديد، وتدعيم الاستقرار الإقليمى وحماية المواطنين والممتلكات الأمريكية.. ومن المهم جدا منع قيام أية قوة وتحالف يهيمن أو يسيطر على المنطقة خصوصا الخليج..»

رسالة الى سوريا

وأية متابعة لتطور الأحداث فى منطقتنا خلال الأشهر الاخيرة وفى هذا الشهر بالذات، تكشف من أن ماورد فى هذه «الوثيقة» حقيقة واقعة تمارسها الولايات المتحدة الأمريكية بالفعل ضد شعوب الأمة العربية، وتتركز بصفة خاصة ضد سوريا والعراق وليبيا.

فبالنسبة لسوريا، ورغم أن سوريا كانت أحد دول التحالف التى شاركت الولايات المتحدة فى حرب الخليج، وماقيل عن مراجعة وزارة الخارجية الأمريكية فى ديسمبر الماضى للائحة الدول التى تدعم الارهاب للنظر فى رفع اسم سوريا من القائمة (لم ترفع سوريا).. فقد تعرضت سوريا لحملة أمريكية ضارية تستهدف منع سوريا من التسلح ومحاولة تحسين وضعها العسكرى فى مواجهة التفوق الاسرائيلى.

وبدأت الحملة مع بداية العام بالحديث عن صفقة أسلحة روسية لسوريا تشمل ٤٨ طائرة (ميج- ٢٩) و٢٤ طائرة (سوخوى-٢٤) وصواريخ أرض- جو مضادة للطائرات من طراز (سام-١٠) البعيد المدى و(سام-١١) المتوسط المدى.. والمبالغة فى خطورة هذه الصفقة- التى لم يتأكد وجودها- وأثرها

على ازدياد حدة سباق التسلح فى المنطقة.

ثم بأعتراض مدمرتين وفرقاطتين وسفينة تموين من البحرية الالمانية، لسفينة شحن المانية تنقل ١٦ دبابة تشيكية من ميناء برلندى إلى سوريا. وتم الاعتراض قرب مضيق جبل طارق بحجة أن السفينة الالمانية لم تحصل على إذن مسبق بنقل الدبابات!!

ويلى ذلك إعتراض سفينة دينماركية (ناد باجى) تنقل ١٢ دبابه وذخائر تشيكية الى سوريا (٤ يناير ١٩٩٢).

وصعدت أمريكا من حملتها ضد سوريا، وهددت باعتراض سفينتين كوريتين قيل أنهما تحملان صواريخ «سكود- سى» إلى سوريا وايران. فقالت «النيويورك تايمز» أن عملية الاعتراض «نوقشت فى وزارتى الدفاع والخارجية والبيت الأبيض، ومازال موضع بحث بين الرئيس بوش وكبار موظفى الأمن القومى.. وفى حالة إعطاء الضوء الأخضر ستتولى المهمة سفن حربية أمريكية تعمل فى إطار القوة المتعددة الجنسية التى تطبق الحظر على العراق» وأعلن بوش «أن الولايات المتحدة تدرس دائما الخيارات المتوافرة أمامها لمنع انتشار أسلحة الدمار فى منطقة الشرق الأوسط».. وقال «الجنرال سكوكروفت» مستشار الأمن القومى «أن الولايات المتحدة قلقة من أى إنتشار للصواريخ، كون مثل هذا الانتشار يشكل خطرا ويزعزع الاستقرار. إننا نقوم بمانستطيع القيام به».

وقد إنتهت هذه الحملة دون أن تعترض السفينتان، ولكن الرسالة السياسية التى أرادتها واشنطون كانت قد وصلت.. وهى على حد قول أحد المعلقين العسكريين..«أن إمكانات التحرك عالميا باتت الآن فى يد واشنطون دون غيرها. فهى التى فى مقدورها أن تحدد من فى وسعه أن يبيع ماذا إلى من. ومن هو المؤهل للحصول على هذا النوع من السلاح أو ذاك. ومن هى الجهة التى تشكل المرجع الوحيد فى مراقبة عمليات بيع الأسلحة وشرائها ونقلها والتحكم بها والموافقة عليها أو منعها..»

والتبجح بأن واشنطون تطبق الشعار الذى رفعه الرئيس بوش فى العام الماضى ..عقب حرب الخليج- بضرورة منع انتشار الصواريخ (أرض- أرض) وأسلحة الدمار الشامل عموما، والحد من امكانات وصولها الى «مناطق العالم الساخنة» والشرق الأوسط [illegible] أمريكا تفرض نفسها بذلك دولة حاكمة للعالم، فمن الواضح أن هذا المنع قاصر على الدول العربية، فإسرائيل هى الدولة الوحيدة فى المنطقة التى تملك «نظاما متكاملا من وسائل الردع الاستراتيجى» وهو نظام يشتمل على رؤوس نووية يقدرها البعض بمايقرب من ٢٠٠ رأس، وكذلك الذخائر الكيماوية والبيولوجية، وصواريخ هجومية.

ولم يكن غريبا فى ظل هذه الحملة الأمريكية، أن تشن اسرائيل هى الأخرى هجومها، وأن يقول «موشى ارينز».. «قال الرئيس جورج بوش خلال حرب الخليج أن لدى العراقيين رابع جيش فى العالم. ولم يعد لديهم الجيش الرابع فى العالم نتيجة العملية الأمريكية. والجيش الرابع فى العالم الآن هو الذى لدى السوريين».. وأن يقول «ديفيد ليفى» أن على الولايات المتحدة أن تصر على أن «تكف سوريا عن تجهيز نفسها بأسلحة الدمار الشامل كما سبق وأن فعل العراق.. وأن إسرائيل لاتستطيع القبول بأن تشارك سورية من جهة فى عملية السلام، وتجهز نفسها من جهة ثانية بكل الأسلحة الممكنة..»

العراق .. وليبيا

ويتواكب مع هذه الحملة ضد سوريا، استمرار الحملة الأمريكية ضد مابقى من العراق والتهديد بأستخدام القوة العسكرية مرة أخرى، والتقدم لفرض عقوبات على ليبيا والتلويح باحتمالات الحل العسكرى.

فالرئيس «بوش» يعلن أن العراق مازال يخفى عددا كبيرا من الصواريخ البعيدة المدى، وينتهك شروط وقف النار فى الخليج. ويبلغ الكونجرس أن «كل الخيارات تبقى مفتوحة مع بغداد» مشددا على أن الولايات المتحدة ستبقى قوات فى الخليج «مادام الوضع فى العراق يتطلب ذلك. وتذيع المصادر الأمريكية أن البنتاجون وضع قائمة بمنشآت نووية ومواقع للأسلحة الجرثومية والصواريخ بعيدة المدى فى العراق إستعدادا لتوجيه ضربات جوية محتملة، أو قصف بصواريخ من طراز «كروز» إذ لم تذعن بغداد لقرارات مجلس الأمن.

ويضيف «جون ميجور» رئيس وزراء بريطانيا..«اذا كان العمل العسكرى ضروريا سأدعمه». ويكرر هذا المعنى «دوجلاس هيرد وزير خارجيته مضيفا» أنه لايعتقد بأن الدول العربية ستعارض مثل هذا العمل العسكرى. ومن هنا تبدو أهمية الاعلان الذى أدلى به الرئيسان الاسد ومبارك فى القاهرة ضد أى عمل عسكرى جديد ضد العراق. وكذلك إيقاف سوريا للحملات الاعلامية ضد النظام العراقى.

وتواصل الولايات المتحدة الأمريكية تهديداتها لليبيا، فبعد قرار مجلس الأمن الذى يطالب ليبيا بالاستجابة للمطالب الأمريكية الخاصة بتسليم من تتهمهم أمريكا بالمسئولية عن اسقاط طائرة (البانام) أعدت الولايات المتحدة وفرنسا وانجلترا مشروع قرار بفرض عقوبات على ليبيا، وتواصلت التهديدات باستخدام القوة العسكرية ضد ليبيا، والأنباء عن خطط لاسقاط القذافى ونظامه وكما هو واضح الهدف القضاء على موقع يشكل مصدرا «لمشاغبة» السياسة الامريكية، بالاضافة الى حاجة أمريكا لتأمين بترول ليبيا وإخضاعه لسيطرتها، تماما مثل ماحدث بالنسبة للخليج.

أن ما نشهده اليوم من مظاهر العدوان الأمريكى فى المنطقة، والذى ينفذ بدقة ماورد فى وثيقة البنتاجون السرية، لايعنى بالضرورة أن الولايات المتحدة قادرة على فرض ماتقرره.. بشرط أن يكون العرب راغبين فى الرفض والمقاومة.

ونقطة البدء تتمثل فى ضرورة عقد قمة عربية عاجلة تبحث التهديدات الأمريكية وقضية التسوية السياسية والتى ترتبط بوضوح بالموقف الأمريكى. ولايمكن لدول مثل سوريا ومصر وليبيا والجزائر وتونس والمغرب والأردن والسودان واليمن..و..و.. أن تسمح لأنظمة الحكم فى الخليج أن تفرض على الأمة العربية الاستسلام والخضوع للمخططات الأمريكية، لتسقط الواحدة تلو الأخرى أمام المخططات الأمريكية.

ومسئولية الحكومة المصرية التى لعبت دورا أساسيا- سياسيا وعسكريا- فى توفير المظلة الضرورية للتحالف الدولى والعربى الذى خاض حرب الخليج، كبيرة وأساسية فى هذا المجال. فقرارها- اذا ماتخذ- سيؤثر بلاشك على دول الخليج وعلى البيت الأبيض أيضا.

فهل يقدم الرئيس «حسنى مبارك» على إتخاذ مبادرة مصرية بالدعوة الى قمة عربية عاجلة فى القاهرة لبحث هذه القضايا المصيرية أم أن الحكم فى مصر، فقد تماما القدرة على إتخاذ قرار مستقل؟!

هذا ماستكشف عنه الأيام القليلة القادمة.

المؤتمر العام الثالث لحزب التجمع:

«الظروف العامة تفرض علينا المرونة مع التمسك بالقيم والمبادئ»

خالد محيى الدين ..

التمسك بالموقف المبدئى الرافض لاتفاقيات ومنهج "كامب ديفيد" .. وللتطبيع مع اسرائيل

قبل الحادية عشرة بقليل من صباح الأربعاء ٢٦ فبراير ١٩٩٢، صعد الدكتور **رفعت السعيد** أمين اللجنة المركزية لحزب التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى لمنصة المؤتمر العام الثالث فى قاعة «**جمال عبد الناصر**» ليلح على أعضاء المؤتمر أن يأخذوا أماكنهم استعدادا لأفتتاحه . وكان المعنى الكامن وراء هذه الدعوة أن النصاب القانونى لانعاقد المؤتمر العام الثالث قد تحقق. وهكذا سقطت أول التخوفات التى أحاطت بالمؤتمر قبل إنعقاده بأيام. ووصلت نسبة الحضور خلال المؤتمر الى نسبة عاليه ٧٤٫٦٪ فقد شارك فى أعماله ٥٢٣ عضوا واعتذر ٥٩ عضوا من ٧٦٠ كان مفترضا حضورهم.

وبعد إعلان صحة إنعقاد المؤتمر والتصديق على مشروع جدول الأعمال واضافة اقتراح الأمانة العامة إدخال بعض التعديلات على لائحة النظام الداخلى اقترح **خالد محيى الدين** على المؤتمر الموافقة برفع الايدى على انتخاب رئاسة للمؤتمر من ١٥ عضوا وأمينة اتحاد النساء التقدمى وأمين اتحاد الشباب التقدمى ووافق المؤتمر بأغلبية كبيرة.

ومثلت الرئاسة التى ضمت كل من «**خالد محيى الدين- لطفى واكد- د. محمد احمد خلف الله- د. رفعت السعيد- محمد سيد احمد- د. اسماعيل صبرى عبدالله- محمد عراقى- د. على النويجى- نبيل عبد الغنى- د. ميلاد حنا- لطفى الخولى- الشيخ مصطفى عاصى- محمد خليل- أبو العز الحريرى- د. ماهر عسل- فريدة النقاش- عادل الضوى** .. كافة الاتجاهات والاجتهادات والأجيال داخل التجمع.

وبدأ «**خالد محى الدين**» فى إلقاء الكلمة الافتتاحية فى المؤتمر التى استغرقت حوالى ٥٠ دقيقة، شارحا الأسباب الحزبية والوطنية والقومية التى أجبرت اللجنة المركزية على تأجيل إنعقاد المؤتمر العام الثالث لمدة عامين. وبعد أن رسم «**خالد**» صورة لمصر على أعتاب القرن الواحد والعشرين، كبلد مثقل بالأزمات ، مؤكدا «أننا نمر بظروف جذر وتراجع، عالميا وعربيا ومحليا تستدعى منا المرونة مع التمسك بالقيم والمبادئ التى ناضلنا وسوف نناضل من أجلها..» أفرد مساحة واسعة فى كلمته للتطورات العالمية والعربية، خاصة هزيمة الأنظمة «الاشتراكية» التى كانت قائمة فى أوربا الشرقية وانهيار وزوال الاتحاد السوفييتى، وهيمنة الولايات المتحدة الامريكية على الساحة الدولية. وأعلن «**خالد محيى الدين**» أن هذا النظام الاحادى القطبية» لن يظل الى الأبد..**وأن البشرية فى نهاية القرن العشرين لن تسمح بنظام عالمى هو صيغة مجددة للنظام الامبريالى العالمى الذى كان قائما فى بداية هذا القرن قبل إندلاع ثورة أكتوبر..**».

وتعرضت كلمة الأمين العام لبعض ملامح الصورة العربية بعد حرب الخليج ودور التحالف الدولى فى تدمير البنية الاقتصادية والعسكرية للعراق ، وخاصة الحصار الاقتصادى المفروض على العراق والتهديدات الأمريكية لليبيا، ومحاولات التسوية السياسية للصراع العربى الاسرائيلى وقضية الشعب الفلسطينى.

وشرح «**خالد محيى الدين**» باستفاضة موقف الحزب من مؤتمر «مدريد» الذى لم يرفضه الحزب من حيث المبدأ «ولم

ينظر الى المشاركة فيه على أنه يحمل بالضرورة معنى إستسلاميا، رغم الكثير من أوجه القصور فيه».. «ومع ذلك ينبغى لنا أن نؤكد أن هناك أوجه ضعف بارزة فى الموقف العربى إذا ماتركت لتستشرى فإنها لابد أن تعزز حجج القائلين برفض العملية برمتها..» وحدد «خالد» ثمانيه شروط حتى لاتكون مباحثات التسوية هى طريق للتفريط والاستسلام.

وختم «خالد محيى الدين» كلمته للمؤتمر العام بالالحاح على سبع قضايا داخلية تحتل الاولوية فى نضال الحزب فى السنوات القادمة وهى:

- معركة الاصلاح السياسى وتحقيق الديمقراطية وحماية حقوق الانسان والحريات العامة، باعتبارها المدخل للاصلاح الاقتصادى والاجتماعى الحقيقى.

- التصدى لتدهور أوضاع العاملين، واستمرار التضخم وإرتفاع الأسعار والغلاء والبطالة، وتجميد الاجور..

- معركة انقاذ الزراعة المصرية من التدهور المستمر وانخفاض دخل الفلاحين وأهمية عودة التعاون بمعناه الصحيح.

- علاج تدهور الصناعة المصرية بعد فتح باب الاستيراد على مصراعيه أمام الصناعة الأجنبية..

- تدهور الخدمات بصفة عامة، خاصة خدمات التعليم والصحة..

- تفشى الفساد خاصة فى مستويات الدولة العليا ومؤسساتها..

- استحالة التنمية فى بلد تابع..

خالد محيى الدين: رئاسة الحزب بالاجماع

قائلا.. «إن عملا كثيرا وهاما ينتظرنا.. فهناك على الأبواب إنتخابات المجالس المحلية.... وإنتخابات التعاونيات.. وإنتخابات العديد من النقابات المهنية.. وهناك معارك الديمقراطية ... ومعارك الغلاء والبطالة وتنفيذ قانون قطاع الأعمال وبيع القطاع العام.. وقانون العلاقة بين المالك والمستأجر.. وقانون الاسكان.. وأموال المودعين فى شركات توظيف الأموال.. ومعارك الوطن العربى.. تهديد ليبيا.. وحصار شعب العراق وتجويعه.. والأمن العربى.. ومباحثات التسوية مع إسرائيل.. وكلها معارك يتحمل حزبنا فيها دورا أساسيا. إن الوطن ينظر إليكم، ويعقد الأمل عليكم.. عماله وفلاحيه وموظفيه ومنتجيه عامة. فلا تخيبوا رجاءه. ولنكن عند مستوى المسئولية وعاشت مصر وطنا للحرية والاشتراكية والوحدة».

وقد صفق المؤتمر طويلا لكلمة الأمين

التقرير السياسى يؤكد على ضرورة بروز الحزب كقوة المعارضة الجذرية.. وتعميق

العام، وقرر اعتبار الكلمة الافتتاحية إحدى وثائق المؤتمر وأحالتها للجنة السياسية لمناقشتها مع التقرير السياسي. ودار حولها نقاش جاد داخل اللجنة.

إنتقل المؤتمر بعد ذلك- طبقا لجدول أعماله- لمناقشة قواعد الترشيح وانتخابات اللجنة المركزية (٦٠ عضوا)، وكان هناك اقتراحان:

الاول يقوم على الانتخاب بالاقتراع السرى المباشر من بين من يتقدمون بأسمائهم للترشيح لعضوية اللجنة المركزية تنفيذا لنص المادة ٨ من اللائحة الداخلية للحزب.

والثاني اقتراح تقدم به أمناء الحزب فى ١٢ محافظة ويقوم على إعداد قائمة من بين الذين يرشحون أنفسهم، تختارها لجنة من عدد من أعضاء رئاسة المؤتمر وأمناء المحافظات تقوم على التوافق والتفاهم. وتطرح هذه القائمة على المؤتمر قبل بدء التصويت، ويطلب من الزملاء الراغبين فى استمرارهم فى الترشيح ولم ترد أسماؤهم فى القائمة التقدم بطلب لاستمرار ترشيحهم. ويعتبر من لم يتقدم بهذا الطلب متنازلا عن الترشيح. ثم تجرى الانتخابات بين كافة المرشحين.

ودافع عن هذا الاقتراح إثنان من أمناء المحافظات، هما «د. سمير فياض» أمين القاهرة، و«رأفت سيف» أمين الدقهلية. وعارضه «د. اسماعيل صبرى عبد الله» و«عطية الصيرفى».

وإنتهى التصويت الى رفض هذا الاقتراح وتمسكت الأغلبية بالاقتراح الاول. وتقدم للترشيح للجنة المركزية ١٢٧ عضوا لانتخاب ٦٠ عضوا للجنة المركزية (و١٥ عضوا إحتياطيا)

المعارضة الجذرية

بإنتهاء جلسه الافتتاح إنقسم المؤتمر الى ثلاث لجان توزع بينهم الاعضاء، وحظيت اللجنة السياسية بأكبر عدد من أعضاء المؤتمر (٢٣٩) عضوا. وكان أمامها وثيقتان أساسيتان..«مشروع التقرير السياسى» الذى أعدته اللجنة المركزية ونوقش لمدة ٣ أشهر فى الوحدات والاقسام والمحافظات خلال الاعداد للمؤتمر العام الثالث، والكلمة الافتتاحية للأمين العام. وأضيفت اليهما خلال النقاش، الورقة المقدمة من اللجنة السياسية تحت عنوان «وثيقة تكميلية لمشروع التقرير السياسى» والورقة المقدمة من «د. اسماعيل صبرى عبد الله» تحت عنوان «مصر التى نريدها- مشروع تقرير سياسى» ونشرت فى دائرة الحوار (ثم فى كتاب صادر عن دار الشروق)

وكان النقاش الذى دار فى اللجنة السياسية -تولى رئاستها د. ابراهيم سعد الدين، والمقرر حسين عبد الرازق والسكرتارية احمد الحصرى- بالغ الحيوية والعمق وطرحت الاجتهادات ووجهات النظر الخلاقية داخل التجمع بوضوح وصراحة، واشترك فيه ٤٧ عضوا، وقدم ١٠ أعضاء وجهات نظر مكتوبة

وبدا واضحا أن هناك أربع قضايا تتباين حولها الآراء وإن كان هناك تيار سائد عبر عن نفسه بشكل حاسم فى التصويت على التقرير الذى صاغته لجنة برئاسة «حسين عبد الرازق» وعضوية «د.جودة عبد الخالق- محمود جاد الله مقلد- احمد عبد القوى زيدان- صالح



- الاصلاح السياسى وتحقيق الديمقراطية.
- تدهور أوضاع العاملين والغلاء والبطالة وتجميد الأجور.
- انقاذ الزراعة المصرية.
- علاج تدهور الصناعة.
- وقف انهيار خدمات التعليم والصحة.
- تفشى الفساد فى مستويات الدولة العليا.
- استحالة التنمية فى بلد تابع.

د. رفعت السعيد: الأمين العام للتجمع



سمره- عزيز المصري- احمد المصري».

وهذه القضايا هى:

- موقف الحزب من الحكم (والحزب الحاكم) وجماعات الاسلام السياسي.
- قضية تمسك الحزب بالاشتراكية.
- المشكلة الزراعية.
- الموقف من مؤتمر مدريد.

وشغلت القضية الاولى المساحة الكبرى بين المتحاورين.

فالدكتور جودة عبد الخالق يقول: «منذ المؤتمر الماضى وحتى الآن والحزب يتجه يمينا. فهل هذا مايريده المؤتمر. نحتاج الى وقفه أمام هذه الظاهرة.. إن الظروف كلها تعمل فى حذمة فكر التجمع وتؤكد صحته.. التوترات الاجتماعية وتدهور مستوى المعيشة يصل الى حدود غير معقولة.. ومع ذلك التجمع يترك الساحة والاوضاع الطبقية فى ذروة التناقض، بينما قيادة الحزب تتجه الى السلطة وتتحاور معها، قبل ان تتحاور مع أصحاب المصلحة، اولا».

ويقول **«احمد عبد القوى زيدان»** من الفيوم... «إننا نعيش منذ أكثر من ٤٠ عاما فى دوله لها نفس الآليات التنظيمية، **دولة «السيد» الرئيس**.. وعلينا أن نناضل من أجل **دولة «السيد» المواطن**. وهذا لايمكن أن يتحقق بالغياب عن النضال الطبقى. مسئوليتنا كحزب إشتراكى الربط بين النضال الطبقى والتوجه الديمقراطى..»

ويضيف **«حسين عبد الرازق»** ساد فى الممارسة، وطرحت إجتهادات فى الحزب مباشرة أو بطريق غير مباشر، تروج لضرورة تأجيل الدعوة للتغيير الديمقراطى الشامل، والتراجع مؤقتا عن المعارضة الجذرية للتحالف الطبقى الحاكم، وتجنيب بعض المسئولين والمؤسسات كنوع من التكتيك، أو بأعتبارهم جناحا مختلفا داخل السلطة، وأحيانا التنسيق مع بعض أجنحة السلطة. واستند هذا الإجتهاد الى حقيقتين.. أن التغيرات الواسعة التى حدثت فى العالم وتراجع اليسار، والهزيمة العربية الشاملة نتيجة حرب تدمير العراق، وتراجع حركة التحرر العربى وهزيمتها المؤقتة، كل ذلك يفرض على اليسار المصرى التراجع خطوتين للخلف.. وأن الخطر الأساسى الذى يهددنا الأن هو خطر التيارات الظلامية التى تتستر بالدين، وتوشك أن تكون هى البديل للحكم القائم.. وأحيانا يلوح لنا بخطر الإنقلاب العسكرى. ولايمكن التقليل من أهمية الحقيقتين معا. ولكن فات أصحاب هذا الاجتهاد حقائق أخرى لاتقل أهمية.. أن خطر الجماعات الظلامية- ودون تقليل منه-- ليس هو الخطر الأساسى الحال. وأن الحكم القائم حاليا، هو الذى يفرّخ ويدعم هذا الاتجاه ويغذية بسياساته الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والأمنية.. ويكسب التيار الاسلامى السياسى ممثلا فى تحالف الاخوان وحزب العمل، لأنه يبدو أمام الرأى العام وكأنه القوة الأكثر راديكالية وجذرية فى معارضته للنظام القائم.. والحكم القائم- حزبا وحكومة ورئيسا- مرفوض تماما من الجماهير وساقط فى نظرها وتتطلع الجماهير الى البديل، فلا تجده أمامها. صحيح أن الجماهير فى الغالب سلبية وغارقة فى البحث عن لقمة العيش، ولكن هذه مسئولية أحزاب وقوى اليسار.

إن مسئوليتنا فى هذه المرحلة وعلى ضوء الحقائق الكاملة، أن نعود لممارسة المعارضة الجذرية، وأن نزيل أى لبس حول موقفنا من الحكم، ونحرص دائما على إتضاح التمايز، وأن كل منا فى خندق مختلف. إن الحوار- حتى مع الخصوم والأعداء- شيئ وأن تختلط الاوراق وتزيل التخوم شيئ آخر..»

وتكلم **د. ماهر عسل فطالب** بـ «تنقية مشروع التقرير السياسى من أى اشارة للانتفاضة الجماهيرية، والحذر والاحتراس من أى حديث عن الثورية والنهج الثورى. وأهمية تأصيل وتوضيح شعار تداول السلطة الذى نرفعه، حتى لانقع فى خطأ تصور فكرة تداول السلطة على أنها الوصول الى الاغلبية ثم إعادة صياغة الدولة على هوانا، والمفهوم الصحيح هو تداول سلطة ادارة الدولة مع إستقرار مفهوم الدولة.

كذلك فالحديث عن الحصول على نصف مقاعد مجلس الشعب أمل غير واقعى ومحفوف بالمخاطر، وينبغى أن نتواضع فيما نسعى اليه»

وقال **البدرى فرغلى** «..عن أى ديمقراطية نتحدث، ونحن نواجه كابوس قوى التطرف. هل سنعمل للديمقراطية التى تأتى لنا بالقوى الفاشية. لابد أن تكون هذه القوى الفاشية هى المستهدف الأساسى لنا، لسحقها فكريا وإعلاميا وسياسيا، نعم سنقف ضد تعذيبهم وسحقهم بدنيا، ولكنا ضد التعاون أو التجبيه معهم.. الحديث عن العدل الاجتماعى يحتاج الى صورة واقعية واضحة عما هو هذا العدل الاجتماعى. الخريطة تتغير.. القطاع العام انتهى.. الاصلاح الزراعى وثبات العلاقة بين المالك والمستأجر، إنتهى.. ولامعنى للمطالبة بأنقاذما إنهار فعلا.. كل ما كان مشرقا إنتهى. فى التعليم الزراعة الصناعة. واجبنا الاحتكام الى الجماهير للتصدى لقوى الفساد.»

وتحدث **صالح سمره** (الدقهليه). فأعلن

حسين عبد الرازق: أمانة اللجنة السياسية



٥ حسين عبد الرازق:

رفضه الكثير مما قاله د. صاهر فضل والبدوى فرغلى وقال.. «والتجمع حزب يسعى للسلطة وأن يكون بديلا للحزب الحاكم، والا فلا معنى لوجودنا. وأحد المشاكل التى عطلت حزبنا، الخلاف حول موقفنا من السلطة منذ تولى مبارك للرئاسة. وأؤكد أن اليسار ليس محللا للنظام أو لقوى أخرى. نحن قوى فاعلة فى الساحة، ولسنا بين بين، والسلطة الحاكمة هى العدو الطبقى الرئيس لنا وليست الجماعات الدينية، التى هى فى الأساس إفراز للحكم القائم الذى يتحكم فى لقمة العيش ويصوغ القوانين ونحتاج الى منهج متكامل فى ممارسة النضال الديمقراطى. فالنضال البرلمانى ليس بديلا لأشكال النضال الاخرى..»

وقال محمد سيد أحمد.. «بعد اغتيال السادات أرادت السلطة تغيير الخريطة بإعطاء مساحة أكبر للوفد والتجمع لمواجهة التيار الدينى وعلينا أن نتنبه بدقة أن لاتكون معارضتنا مجرد أداة للحكومة. مطلوب منا التميز بوضوح عن خط الطفيلية والفساد والتبعية، وأيضا أن لانكون أداة أو معبرا للتيار السلفى فى مناهضة النظام..» ويقول د. ايمان يحيى (القاهرة).. «يتحول حزبنا فى مرحلة من حزب معارض الى حزب محتوى من السلطة. ولم يكن هذا التحول خيارا من القيادة، ولكنه نتيجة لغياب العمل بين الجماهير. ولن نعالج هذا الموقف الا بالعمل المؤسسى داخل الحزب باعمال مبدأ القيادة الجماعية. بالنسبة لتيارات الاسلام السياسى، فمازلنا متمسكين برؤية سلفية لها. لابد من دراسة التغيرات التى حدثت على هذا التيار. فالعمل والاخوان الآن تيار شعبى. وهناك تغيرات ديمقراطية داخل هذا التيار، وتغيرات إجتماعية. وفى ظل المواجهة مع الغرب سيبرز دور لهذه التيارات.

ويضيف سيد العشرى.. «لابد من

انتخابات اللجنة المركزية تعلن نهاية قضية الفصائل والتيارات

• فتحية العسال.. الأولى فى اللجنة المركزية

• وعطية الصيرفى.. الأول فى الأمانة العامة

اعادة الاعتبار لقضايا الاستقلال الوطنى. فنحن نحكم من خارج مصر فى القضايا الأساسية والثانوية. وبعض تيارات الاسلام السياسى تتخذ اليوم مواقف ضد الاستعمار والامبريالية وهو مايفرض اعادة التفكير والتعامل معها..»

وقد حسم تقرير اللجنة السياسية الذى أقرته اللجنة السياسية بأغلبية ١٩٩ صوتا (ومعارضة ٩ وامتناع ١١)، ووافق عليه المؤتمر ولم يعترض عليه سوى ٨ أعضاء وامتنع عن التصويت ٤.. حسم التقرير هذه القضية، عندما حدد أن تحول الحزب الى تيار جماهيرى قادر على الضغط على السلطة القائمة حاليا.. يتطلب عدة تطورات متكاملة:

** أن يبرز وجه الحزب فى الممارسة وفى الخطاب السياسى، كقوة المعارضة الجذرية بصورة تزيل أى لبس يروج له البعض حول موقفنا من الحكم، ويعمق التمايز القائم واختلاف الخنادق، ويؤكد رفضنا لإضفاء قدسية على بعض المسئولين ومؤسسات الحكم.

* التأكيد أن التغيير الديمقراطى المنشود يتمثل فى حق الشعب فى إختيار أى قوة أو حزب أو تيار سياسى، أو تحالف بين أكثر من حزب أو تيار. بلا إستثناء.. طالما يقبل بالديمقراطية، ومهما كان رأينا فيه، ومع استمرار نضال الحزب لتحقيق هدفين فى وقت واحد الاول.. السعى لوصول القوى الديمقراطية للحكم وإنهاء السياسات الحالية القائمة على التبعية والطفيلية والفساد.. وفى نفس الوقت السعى لكى لايترتب على معارضتنا الجذرية تيسير مهمة قوى مجتمعية أخرى نعارضها أيضا. ونعنى بالذات الاتجاهات الانقلابية العسكرية أو تلك التى تنطوى سياستها على التعصب الدينى والفتنة الطائفية وإطلاق العنان لقوى منفلتة تعرضنا لمزيد من القمع والارهاب.

* دخول الحزب فى حوارات مفتوحة مع كافة القوى دون خوف أو حساسية بمافيها قوى الخصوم، على أن تكون هذه الحوارات أمام الجماهير وبالاستناد اليها وفى ظل حوار متصل معها، يزيل أى خلط فى الأوراق. فمن مهامنا الأساسية- عبر الحوار- كسب المزيد من الأصدقاء والحلفاء، وتحجيم الخصوم والأعداء، دون أن نفقد فى أى لحظة البوصلة المرجهة لحركتنا، أى هدف إحلال حكم ديمقراطى محل الحكم القائم، يفتح الباب فى المستقبل لإمكانية وصول جبهة القوى الوطنية

فتحية العسال: أعلى الأصوات فى اللجنة المركزية



والديمقراطية والتقدمية الى السلطة بأختيار الشعب ديمقراطيا.

* تأكيد ان الهدف الأكثر واقعية الأن والممكن التحقيق، والذى يتفق مع رؤية الحزب وتمسكه بالمرحلية فى الأهداف، هو حصول الأحزاب والقوى المؤمنة بالتغيير الديمقراطى الشامل وتداول السلطة عبر صندوق الانتخاب- بمافى ذلك أحزاب وقوى اليسار والأحزاب والقوى الليبرالية- على الأغلبية فى الانتخابات القادمة.

* العمل على تحويل شعار اقامة «التحالف اليسارى الديمقراطى» بين التجمع وكافة القوى والشخصيات الناصرية والشيوعية الى حقيقة واقعة، كنواة لجبهة القوى الديمقراطية التى تتسع لحزب الوفد، ولقوى من تيار الاسلام السياسى التى تختار المنهج الديمقراطى».

نقاش حول «الاشتراكية»!

القضية الثانية، وهى قضية اختيار الاشتراكية كأحد اهداف الحزب، لم يكن يتوقع أحد أن تكون محورا لنقاش فى المؤتمر، خاصة ومشروع التقرير السياسى، أكد أنها ليست هدفا حالا، ولكنها هدف فى المستقبل. ولكن حديث «البدرى فرغلى» ومطالبته «حذف كل الفقرات الواردة فى التقرير السياسى عن الاشتراكية».. «فلايمكن اقناع أحد بالنضال من أجل الاشتراكية التى هزمت فى مواقع عديدة».. دفع عديدين للدفاع عن «شعار الاشتراكية» من بينهم «محمد طه عليوه- سعد قنديل- سيد العشرى- فوزى الحولى» ود. جوده عبد الخالق الذى قال.. «هذا هوالوقت الذى نعلن فيه بأعلى الصوت أننا نؤمن بالاشتراكية».

وجاء فى تقرير اللجنة السياسية..«وتؤكد للجنة أن حزبنا كان ومازال وسيبقى إشتراكيا .يؤمن أن الاشتراكية وحدها، هى الطريق لتحرر هذا الشعب الاقتصادى والاجتماعى والسياسى. وأنه يستحيل تحقيق الاشتراكية بدون الديمقراطية ومهما بدا حلم الاشتراكية بعيدا. فهى البوصلة التى نسير على هداها ونناضل من أجلها، وفاء لشعبنا وطبقاته العاملة والمنتجة..»

د. جودة عبد الخالق:

الأحداث تؤكد صحة فكر التجمع وتعمل فى خدمته

الفلاحون- الفلاحون

القضية الثالثة التى نجح الفلاحون فى فرضها على مناقشات المؤتمر ، هى قضية تدهور الزراعة المصرية وبرنامج الحزب لمواجهة السياسات الحكومية المدمرة التى تجرى تحت مسمى «تحرير الزراعة» . وتحدث فى هذا الموضوع..«د. محمد خميس أبو زيد- شاهنده مقلد- سعد قنديل- عبده جاويش- محمود جاد الله مقلد- محمد مصطفى قزمان- جمال طه- د. محمد أبو مندور» وانتهى النقاش الى قرار تضمنه تقرير اللجنة السياسية ينص على:

«- الوقوف ضد مايسمى «تحرير الزراعة» والتمسك بالدورة الزراعية، والحفاظ على الدور الذى تؤديه الجمعية التعاونية الزراعية فى تمويل الانتاج الزراعى وتسويقه.

- إنشاء بنك تعاون زراعى، وعودة التعاون بشكله الصحيح الديمقراطى، والتمسك باستقلال الحركة التعاونيه.

- استمرار الدولة فى دعم مستلزمات الانتاج الزراعى.

- الدعوة الى وضع تركيب محصولى جديد لتحقيق الاكتفاء الذاتى فى الغذاء باعتباره الطريق للخروج من إطار التبعية الأجنبية.

- الدفاع عن علاقة صحيحة ومستقرة بين المالك والمستأجر طبقا للأسس التالية:

١- عدم جواز طرد المستأجر من الأرض تحت أى اسم طالما يوفى بالتزاماته تجاه الارض والمالك.

٢- رفض تحويل الايجار النقدى الى ايجار بالمزارعة الا بموافقة الطرفين.

٣- التمسك بمبدأ الامتداد القانونى لعقد الايجار

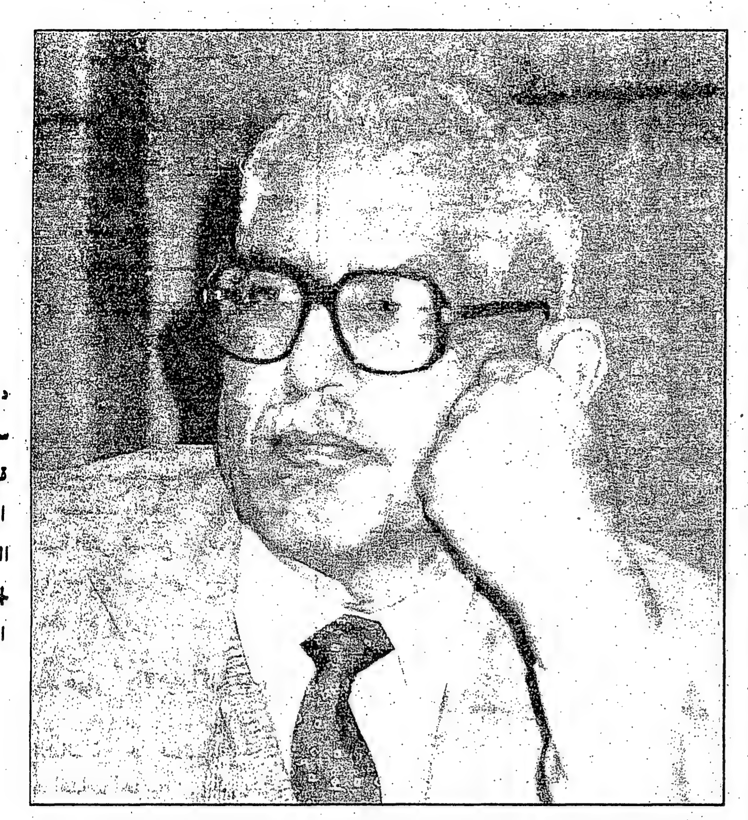
٤- إعادة النظر فى القيمة الايجارية

د. جودة عبد الخالق:
نقد سياسة القيادة

بصورة متدرجة ، لتحقيق عائد مواز لجهد المستأجر وأسرته طوال العام، وقيمة إيجارية عادلة للمالك.

٥- إنشاء صندوق يتم تمويله من الفروق بين أسعار المحاصيل وأسعار التصدير، يقوم بدفع ثمن الأرض للمالك الصغير فى حالة رغبته فى بيعها، وتمليكها للمستأجر على أن يسدد قيمتها على أقساط طويلة الأجل.

ودعوة هيئات الحزب وأجهزته وإعلامه لإعلان هذه الأسس وحشد الفلاحين وراءها والدفاع عنها. وتكليف الهيئة البرلمانية للحزب بطرح هذا الموقف. والسعى- قدر الطاقة- لإقراره، وبصفة خاصة «عدم جواز طرد المستأجر من الأرض» و«رفض تحويل الإيجار النقدى الى إيجار بالمزارعة». وتفويضها مع أمانة الفلاحين باللجنة المركزية فى تقديم وإقتراح التعديلات الضرورية على مشروع أو مشاريع القوانين التى تقدم لمجلس الشعب، لتوفير أكبر حماية ممكنة للفلاحين. وضمان إستقرار العلاقة بين المالك والمستأجر فى ضوء ميزان القوى الراهن..».



د. ابراهيم سعد الدين: قيادة الحوار الصعب فى لجنة التقرير السياسى

مدريد ..بين لا ونعم.

القضية الرابعة والأخيرة، كانت قضية الموقف من التسوية السياسية لقضية فلسطين والصراع العربى الاسرائيلى. إنطلاقا من مدريد. وكانت كثير من الكلمات تنبنى على أن الحزب إتخذ موقف التأييد لمدريد. **فهد الهادى المشد** (الدقهلية) يقول..«كل وثائقنا الحزبية ترفض التطبيع. ومع ذلك فى الفترة الأخيرة أحد قادتنا الذين نعتزبهم ككاتب ومفكر ذهب الى مدريد وجلس مع «**شامير**» ، ولاندرى هل هذا موقف شخصى أم موقف من الحزب..».

ويضيف «طه طنطاوى».. لابد من الوقوف ضد محاولات تبرير الموافقة على مؤتمر السلام فى مدريد والمشاركة فيه. فرغم كل هذه المبررات فالحقيقة أن المباحثات تجرى تحت المظلة الأمريكية ونتائجها ستكون تكريسا للأمر الواقع».

ويقول **هشام عبد الله** «أسوان» .. هناك تجاهل فى كلمة الأمين العام للقضية الوطنية مصريا وعربيا. لقد اتخذ الحزب قرارا بتأييد المشاركة المصرية والعربية فى مدريد. وهو تناقض صارخ بين معارضة كامب ديفيد وقبول مدريد..».

وينطلق **سعد العشرى** مما قاله الأمين فى كلمته من أن «أهمية اسرائيل الاستراتيجية لابد أن تتقلص فى نظر أمريكا مع إنتهاء الحرب الباردة، وزوال وظيفتها بوصفها الحليف الوحيد المؤتمن للولايات المتحدة بالشرق الأوسط فى حالة نشوب حرب مع الاتحاد السوفييتى..» ليقول «فوجئت بهذه الكلمة من الأمين العام التى تسرب فكرة خطيرة، تقول أن أمريكا لها مصلحة فى السلام وأن اسرائيل فقدت أهميتها ، وأن هذا وراء موافقتنا على حضور مدريد. وأقول أن إسرائيل لم تنشأ فى مواجهة الاتحاد السوفييتى، وإنما ضد حركة التحرر الوطنى، ومازال هذا الدور قائما، ومازال لها أهمية - أى اسرائيل- ضمن الاستراتيجية الأمريكية..»

ويقول «**عصام عامر**» ..«هناك ازدواجية فى سلوك الحزب وتناقض بين الوثائق والسلوك . ويتجلى ذلك بوضوح فى الموقف من مؤتمر مدريد.. الحزب يعلن العداء الكامل لكامب ديفيد ويوافق على مباحثات مدريد، بحجة موقف منظمة التحرير الفلسطينية..»

ويختم «**كمال أبو عيطه**» أمين الحزب فى الجيزة الحملة ضد مؤتمر مدريد قائلا.. «أنا غير مصدق لموقف قيادة الحزب من مؤتمر مدريد. القواعد ضد مؤتمر مدريد. ولاتقبل المناورة بالنسبة لقضية فلسطين. وأطالب بتعديل الموقف من مباحثات مدريد وواشنطون. فلننقذ ماء وجهنا..» وقدم «أبو عيطه» اقتراحا مكتوبا بأعلان رفض المؤتمر العام الثالث للتسوية على طريق مدريد.

وبعد أن شرح «**حسين عبد الرازق**» مقرر اللجنة السياسية فى المؤتمر أن التجمع لم يقبل ولم يرفض مدريد، وإنما حدد الشروط اللازمة لضمان الحقوق الفلسطينية والعربية، وأوضح الظروف غير الملائمة لنا، وطالب بالتنسيق العربى، وإنتقد موقف الحكومة المصرية، ودعا الى عدم القبول بالاشتراك فى المباحثات متعددة الاطراف قبل تحقيق تقدم حقيقى فى المباحثات الثنائية. واضاف أنه لايمكن تجاهل موقف المنظمة وموقف القيادة

• أحمد عبد القوى:

لا.. للدولة

السيد الرئيس

نعم.. للدولة

السيد المواطن

الموحدة للانتفاضة القابلة لخوض تجربة مدريد. ثم طرح فى تصويت خاص إقتراح «كمال أبو عيطة» الذى يطالب برفض التسوية السياسية التى بدأت مع مدريد وواشنطون. فأيده (٤٢) عضوا، وطرح الصياغة الواردة فى تقرير اللجنة السياسية، فأيدها ١١٠ عضوا، وتنص على مايلى:

«- تمسك الحزب بموقفه المبدئى الرافض لاتفاقيات ومنهج كامب ديفيد وللتطبيع مع العدو الاسرائيلى. ورفض أى خروج على هذا الموقف.

- إن أى سلام لايلبى الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى، ليس سلاما ولكنه إستسلام. وهذه الحقوق تتمثل فى حق تقرير المصير وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية. وحق العودة.

- تتعدد أساليب النضال من أجل تحرير فلسطين والأراضى العربية المحتلة. ولايمكن إستبعاد أى أسلوب كفاحى بصورة نهائية، حتى وإن بدا متعذرا فى فترة زمنية محددة.

- أهمية التنسيق العربى من خلال قمة عربية شاملة، وقمة عربية لدول الجوار (فلسطين - سوريا- لبنان- الأردن- مصر) لضمان حد أدنى من الموقف العربى الموحد فى أى تحركات دبلوماسية أو سياسية.

- المساندة غير المشروطة المادية والمعنوية للانتفاضة الفلسطينية.

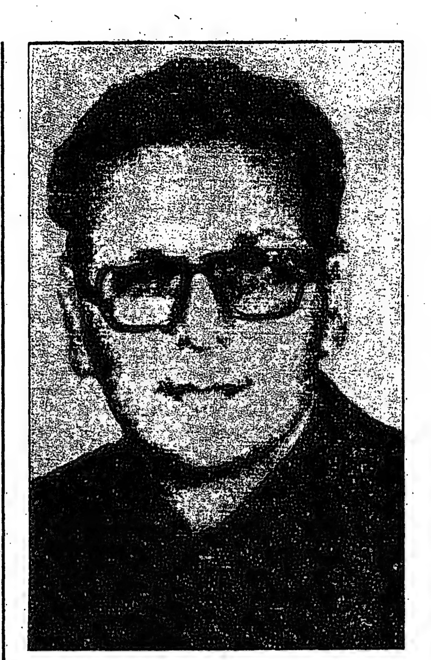
- مطالبة الحكومة المصرية بأعادة النظر فى إتفاقية الصلح بين السادات وبيجن وتنقيتها من البنود التى تنتقص من السيادة المصرية»

حوار حول الأهالى

وشهدت لجنة الصحافة الحزبية، التى تولى رئاستها «**أبو العز الحريرى**» والمقرر «**فريدة النقاش**» والسكرتارية كل من «**مجدى حسنين وسعاد عبد الحميد**» نقاشا مشابها لمادار فى اللجنة السياسية ولكن بصورة مصغرة.

لقد إنضم الى اللجنة ٤٩ عضوا فقط، إشترك منهم ٣٩ فى النقاش. وكان واضحا أن هناك ثلاثة اتجاهات أساسية.

* **الاتجاه الأول** ركز على قضية المراسلين وعلاقة الاهالى بأخبار ونشاطات المحافظات وقضايا الفلاحين والعمال والشباب.. وتحدث فى هذا الاتجاه حوالى ١٥ من أعضاء المؤتمر من بينهم.. «**عبد عايد**»



عطية الصيرفى:
أعلى الأصوات فى الأمانة العامة

المنيا و«**على عبد الحفيظ**» **البحيرة** «**وعبد الهادى بشت**» **كفر الشيخ**، و«**ثروت سرور**» **البحيرة** «**ومحمد الشامى**» **كفر الشيخ**، «**ويسرى محمد حسن**» **مرسى مطروح**، و«**حاتم البياع**» **دمياط**، «**وعادل الضوى**» **أمين اتحاد الشباب التقدمى** و«**إيمان رسلان**» **اتحاد الشباب التقدمى**، و«**صلاح صالح**» **المنيا**

«**فعبد الهادى بشت**» ..ينتقد توجه الأهالى فى خطابها للمثقفين وتركيزها على الجانب الفكرى والنظرى «بينما مشاكل الشعب تحتل مساحة صغيرة.. ومشكلة جماهير الفلاحين والعلاقة بين المالك والمستأجر، وهى كارثة تحل بجموع الشعب المصرى لانجد صدى لها فى الجريدة.. وتدنى التوزيع فى الفترة الأخيرة يرجع الى الأسلوب المرتفع ثقافيا فى معالجة القضايا المختلفة.

ويطالب **ثروت سرور** بالاهتمام بالمراسلين.. «فالاهتمام بالمراسلين اهتمام بمشاكل الناس فى المحافظات. ولم يلتق رئيس التحرير بالمراسلين منذ ٦ أشهر، وهذا له أثر سلبى على التوزيع» و**على عبد الحفيظ** يقول «هناك قرار من اللجنة المركزية- لم ينفذ- بتخصيص صفحة للفلاحين ،بدلا من الاعتماد على موضوعات مختصرة بعيدة عن مشاكل الفلاحين. هناك موضوعات قليلة تغطى مشاكل المناطق العمالية والفلاحية..»

ويطرح «**عادل الضوى**» مايراه موقفا من نشاط وأخبار اتحاد الشباب التقدمى فيقول «لقد فاض الكيل.. الاتحاد يعمل وفق الرؤية السياسية لحزب التجمع، ولكن نواجه بتجاهل من الصفحة السياسية والصفحة السابعة ، مع أن الاتحاد النسائى بالمقابل يأخذ حقه فى النشر تماما وأكثر. وأطالب بأن يكون هناك صفحة للشباب مثل صفحة ٨».

*الاتجاه الثانى** وركز على نقد ترجمة الاهالى للخط السياسى وموقفها من الحكم ومؤسسة الرئاسة وظهور أسماء غريبة على صفحاتها وعدم الاهتمام بتوقف عدد من أبرز كتابها والتشهير ببعضهم، وعدم الاهتمام بانخفاض التوزيع، وغياب دور اللجنة المركزية، وضعف صفحتى الثقافة والسياسة الخارجية. وتكلم فى هذا الاتجاه عدد من أعضاء اللجنة من بينهم **حسن محمد حسن** (اسوان- **فايز عقل** (الدقهلية)- **احمد عبد الرازق** (قنا) - **فؤاد عارف** (سوهاج)- **فريدة النقاش** (الدقهلية) **ثروت سرور** (البحيرة)- **حسن بدوى** (القاهرة) -**محمد عبد** (المنوفية)- **محمد مصطفى** (قنا) -**شوقى عبيد** (البحيرة)..

يقول «**أحمد عبد الرازق**» .. منذ فرطت اللجنة المركزية وفوضت الامانة العامة بمسئولياتها فى اختيار رئيس التحرير الاهالى وليس للاهالى أى ارتباط بالحزب. اعلاميا لايوجد شئ اسمه حياد الصحيفة . هناك فجوة بين الجريدة والشارع. والاهالى فى ناحية والحزب وهمومه فى ناحية. الاهالى لاتقف فى صف الناس، واتخذت موقفا خاطئا من اضراب الحديد والصلب. بإختصار الاهالى بعيدة عن كل ماهو تقدمى وكل ماهو إنسانى. واطالب أن تعود سلطة اللجنة المركزية فى إختيار رئيس تحرير الاهالى..»

ويضيف «**شوقى عبيد**» .. الليونة فى أسلوب الجريدة لم يصل بنا الى نتيجة

• أحمد سيد حسن:

نجحت الاهالى لأنها لجأت للغة هادئة بدلا من الزعيق



د. ماهر عسل: اختلفت مع جميع رؤساء التحرير

كانت الاهالى لهجتها شديدة، الآن هناك شبه مصالحة مع الحكومة لم تحقق لنا أى تقدم. ليس من مصلحتنا المهادنة».. احنا مافيش على راسنا باطحه.. بأختصار حزب لسانه مقطوع، ومحبوس فى المقرات ،لايمكن أن ينزل الى الشارع..»

وتقول فريدة النقاش ..«تجاهل التقرير كل الملاحظات النقدية التى أبديت على الاهالى فى الامانة العامة واللجنة المركزية.. مثل الاعتراض على الترجمة السياسية لخط الحزب فى الاهالى بمقولة أنها أفقدت الاهالى طابعها كصحيفة المعارضة الجذرية فى المجتمع. فتحولت مانشيتاتها الى مانشيتات محايدة بلا موقف . ونفس الاتجاه ساد افتتاحيات الجريدة، وعبرت بعضها عن انحيازها للحكم وترويج للاوهام حوله، وفرض نوع من الحماية أو القدسية على ممارسات رئيس الجمهورية، ونشرت موضوعات تتعلق بوزارة الداخلية بصورة أساءت للحزب. وتوقف عدد من أبرز كتاب الاهالى بينهم قيادات حزبية عن الكتابة دون أن تهتم أى هيئة حزبية ببحث الأمر، وظهرت اسماء غريبة على صفحاتها . ولم تناقش أى هيئة حزبية اسباب انخفاض التوزيع بصورة مضطردة من يونيه ١٩٨٦ حتى اليوم..»

وقال «حسن محمد حسن» أتضامن مع كل ماطرحته الزميلة فريدة ، وأقول أن جهد الاهالى قاصر عن تحقيق أمانينا وأمانى الجماهير. ولم تعد الاهالى- كما كانت- جريدة المعارضة الجذرية. وفى أسوان هناك صحيفتان معارضتان الآن أكثر من الاهالى. وتبدو الاهالى أحيانا وكأنها ليست جريدة الحزب، بدليل أن مؤتمرنا هذا ينعقد ولايبرز على صفحات الجريدة. وعلاقة الجريدة بالصحفيين والكتاب ليست مسألة شخصية. ينبغى أن يتم السعى وراءهم لنستفيد من خبرتهم، وهى مسئولية قيادة الحزب وقيادة الجريدة. ولابد أن تعود اللجنة المركزية لمناقشة تقارير دورية حول صحافة الحزب وأن تنتخب رئيس التحرير..»

***الاتجاه الثالث** وركز على التقييم الايجابى للاهالى والدور الهام الذى تلعبه فى مصر والعالم العربى، والقبول الواسع لها فى المجتمع. وتحدث فى هذا الاتجاه من أعضاء المؤتمر..«أحمد سيد حسن (القاهرة)- ايهاب رسلان (اتحاد الشباب)- حازم منير (الجيزة)- البدرى فرغلى (أمين الحزب فى بورسعيد)- د. ماهر عسل (المنوفية).

قال «أحمد سيد حسن» ..«عند وفاة الزميل فيليب جلاب منحه الرأى العام تكريما كبيرا. هذا المهرجان كان استفتاءً لصالح توجه الاهالى وسياسة حزب التجمع. لقد ساعدت الاهالى على دفع الحزب للأمام لأنها لم تستخدم لهجة التخويف، لجأت للغة الهادئة بدلاً من الزعيق. لانريد نشرة أو منشور، نريد جريدة تعالج مشاكل الناس. ولنقارن الجريدة بالوضع الحزبى.

منذ فترة كنا فى ليبيا فى مؤتمر حضره ممثلون من كل الاحزاب الشيوعية العربية. أهم ماكانوا يناقشونه صيغة التجمع وكيف حققت نجاحا فى مصر. كل الاحزاب الشيوعية تصدر جرائد، ولكنها جرائد سيئة. والحزب الشيوعى اللبنانى اغلق جريدته (النداء) ويناقش كيف حققت الاهالى هذا النجاح.

الجريدة ليست لفصيل واحد وليست بديلا لعملنا الحزبى، ونحن فى فترة محتاجون لعملية تطبيع مع المجتمع المصرى..»

وتحدث **البدرى فرغلى** فقال..« مشكلة الاهالى مشكلة فنية وليست سياسية. كنت مقتنعا أن أفضل صحفى العالم اليساريين. اليساريون أفضل كتاب ولكن أفضل صحفيين هم اليمنيون.

من الناحية السياسية الاهالى ممتازة لايجب تحميلها كل الأخطاء. وقضية التوزيع ترتبط بسياسة الحزب والمناخ السياسى والجماهيرى.. وهناك موضوع لابد من الحديث عنه بصراحة، وهى قضية مؤسسة الرئاسة. ليس صحيحا أننا «متباعين» للسلطة. ولكن هل نحن قادرين على التصدى للسلطة الآن. أنا أول واحد مستعد أهاجم مبارك والحكومة والنظام. ولكن الشارع لن يتقبلنا ولن يستوعبنا فى الظروف الموضوعية الحالية. أى مخبر يستطيع منعنا من الدخول الى المقر.

إن اتزان الجريدة هو السبب فى وجودنا هنا الآن. وأكبر انتصار أننا فى المؤتمر بعد أن سقطت الاشتراكية واليسار فى العالم. الجريدة مثل النهر.. نريد جريدة شعبية وليست حزبية. وجريدة الشعب ليست جريدة ولكنها منشور سياسى»

وقال **د. ماهر عسل** ..«فيليب جلاب أكثر صحفى أحرج الرئيس مبارك علنا فى أسئلته فى أزمة الخليج وحتى قضية ليبيا، وبما فى ذلك رحلة نيجيريا.

لم أكن سعيدا أومنسجما مع أى رئيس تحرير للاهالى. ولكننى ادافع بحرارة عن كل رؤساء التحرير. فيستحيل للاهالى أن ترضى

• د. ماهر عسل:

الحصول على نصف مقاعد مجلس الشعب.. أمل غير واقعي ومحفوف بالمخاطر..

جميع التوجهات الموجودة فى التجمع. فالتيارات فى التجمع متعددة. وعند ترجمة هذه الانحيازات المختلفة، فلابد أن يختلف التعبير عنها، ان مايجمعنا اطار عريض من الولاء للجماهير الكادحة. والسؤال.. هل دافعت الاهالى أبدا عن الطفيليين، أودعت لتصفية القطاع العام.. طبعا لم يحدث. الاهالى تعبر عنا لكنها لاترضى كل طموحاتنا..»

وقد شارك فى هذا النقاش لاول مرة رئيس تحرير الاهالى. فحضر لطفى واكد لجنة صحافة الحزب وتدخل بالشرح والتعليق والرد ١٢مرة. كما أثيرت مناقشات حول اوراق عمالية وأدب ونقد وكتاب الاهالى، والمطالبة بأصدار الاهالى يومية. وانتهت لجنة الصياغة التى شكلها المؤتمر من «أبو العز الحريرى- فريدة النقاش- ماهر عسل» من اعداد تقرير تضمن عددا من التوصيات الهامة مثل:

«- ترى اللجنة أن الترجمة السياسية لخط الحزب فى الاهالى ولغتها، يجب أن تكون دقيقة ليستمر للأهالى طابعها كجريدة للمعارضة الجذرية فى المجتمع. وهو مايقتضى أن تكون مانشيتاتها وإفتتاحياتها دائما بنفس المستوى، تلافيا لأى مظنة بالترويج للاوهام حول قدرة الحكم على الاصلاح بينما أكد الحزب فى وثائقة المختلفة، وفى كلمة الأمين العام أن سياسات الحكم هى المسئولة عن تفاقم الأزمة الشاملة.

- كما أن الاهالى يجب أن تواصل التعليق على خطابات رئيس الجمهورية وأحاديثه وتصريحاته كلما كان ذلك لازما.

- تتحفظ اللجنة على مشاركة بعض الأقلام المعروفة بتناقض مواقفها مع المواقف الاساسية والمبدئية للحزب خاصة فى القضية الوطنية.

- معالجة الحزب والجريدة لمشكلة توقف عدد من كتاب الاهالى واليسار عن الكتابه فى الجريدة والعمل لاستعادتهم للكتابة بها..»

ووافق المؤتمر على تقرير لجنة صحافة الحزب، ولم يعترض الا ٤ أعضاء.

• البدرى فرغلى:

لايمكن إقناع أحد بالنضال من أجل الاشتراكية التى هزمت فى مواقع عديدة

عبد الغفار شكر: دور بارز فى مناقشات لجنة التنظيم



سيدتان ضمن العشرة الأوائل

أما اللجنة الثالثة، وهى «لجنة التنظيم واللائحة والشئون المالية» فقد شارك فى عضويتها (١٠١) عضوا ورأس اجتماعاتها «حسين عبد ربه» وأختيرتوحيد المنهاوى مقررا لمشروع التقرير التنظيمى، ومحمد خليل مقررا لمشروع تعديلات اللائحة، وعصام معوض مقرر المشروع التقرير المالى. وشارك فى مناقشات التقارير الثلاثة ٤٤ عضوا وتركزت المناقشات حول قضية جماهيرية الحزب واعداد القيادات الجديدة والاداء البرلمانى لنواب التجمع.. والتعديلات اللائحية المقترحة. وتناول تقرير اللجنة هذه القضايا بالتفصيل وقدم عددا من التوصيات الهامة. وقد وافق المؤتمر العام على التقرير مع اعتراض عضو واحد وامتناع عضو آآخر.

وشهدت الجلسة الختامية للمؤتمر تدفقا هائلا للمشاعر عندما أعلن ترشيح **خالد محيى الدين** لنفسه لموقع رئيس الحزب- بعد موافقة المؤتمر على تعديلات اللائحة وانشاء موقع رئيس الحزب ونوابه والأمين العام وأمين اللجنة المركزية وأمناء الأنشطة واللجان الرئيسية. فلم يستطع أعضاء المؤتمر أن يضبطوا مشاعر الحب والتقدير لفارس ثورة ٢٣ يوليو واليسار والاشتراكية ورجل الديمقراطية والتعددية فى أزمة ١٩٥٤، وقائد الحزب منذ تأسيسه عام ١٩٧٦. وظل التصفيق والهتاف والبكاء يتردد فى القاعة مدة طويلة، وأصر د. **رفعت السعيد** على تكرار عبارة «هل هناك مرشح آخر..»، ثم أصر على التصويت برفع الايدى لحساب الموافقين والمعترضين والممتنعين. وجاءت النتيجة «إجماع»

فى ساعة متأخرة من الليل، أعلنت نتيجة انتخابات اللجنة المركزية (٦٠ عضوا) ولفت النظر فى النتيجة أن من بين العشرة الأوائل- سيدتين، فقد جاءت الكاتبة «فتحية العسال» فى المركز الأول (٤٤١ صوتا)، والصحفية والكاتبة «أمينة النقاش» فى المركز السادس (٤١٣). وأكدت النتيجة تجاوز التجمع بصورة واضحة لقضية الفصائل والتيارات. فبينما يتصدر الفائزين كاتبة

(ماركسية)، يليها مباشرة مفكرين اسلاميين «خليل عبد الكريم (٤٢٦)- وزين السماك (٤٢٦)» فـواحـد من اساتذة الجامعة المتشددين «د. جوده عبد الخالق- ٤٢٠»، فالدكتور «ابراهيم سعد الدين- ٤١٩» من أبرز دعاة الاعتدال، ثم «أمينة النقاش» و«حسين عبد الرازق-٤١١» وكلاهما من اللذين يتم تصنيفهم كيساريين متشددين. وهكذا.

وتتكون اللجنة المركزية من رئاسة المؤتمر (١٥ عضوا) وأمينة اتحاد النساء التقدمي وأمين اتحاد الشباب التقدمي، وممثلى المحافظات و٦٠ عضوا تم انتخابهم من المؤتمر العام مباشرة ليكون العدد الاجمالى ٢٢٥ عضوا.



* أمينة النقاش: سيدتان ضمن العشرة الأوائل

١٤ عضوا جديدا

وقد عقدت اللجنة المركزية أول اجتماع لها فى يوم الجمعة ٢٨ فبراير لانتخاب الامانة العامة والامانة المركزية. وقد جرى التصويت على أعضاء الامانة المركزية برفع الايدى حيث لم يتقدم لكل موقع الا مرشح واحد. وهكذا تشكلت الامانة المركزية من.. «د. **محمد احمد خلف الله** ولطفى واكد نائبين لرئيس الحزب- د. **رفعت السعيد** أمينا عاما- **محمد خليل** أمينا للجنة المركزية - **حسين عبد الرازق** أمينا للجنة السياسية- **د. جوده عبد الخالق** أمينا للجنة الشئون الاقتصادية والخدمات **الشيخ مصطفى عاصى** أمينا للجنة الشئون الدينية والوحدة الوطنية- **حسين عبد ربه** امينا للتنظيم- د. **ماهر عسل** أمينا للاعلام- **ابو العز الحريرى** أمينا للشئون النيابية والمنظمات الديمقراطية والمهنيين.- **عبد الحميد الشيخ** امينا للعمال- **محمد عراقى** امينا للفلاحين- **عصام معوض** امينا للمالية- **فريدة النقاش** أمينة اتحاد النساء التقدمي- **عادل الضوى** امينا لاتحاد الشباب التقدمي.. وهو نفس التشكيل السابق باستثناء **عبد الحميد الشيخ ومحمد عراقى** فهما يدخلان الأمانة المركزية لاول مرة بعد استحداث موقعى أمين العمال وأمين الفلاحين وقد خرج من الامانة العامة **د. اسماعيل صبرى عبد الله، ولطفى** الخولى، ومحمد سيد أحمد، وحسين **فهمى وأبو سيف يوسف**.. بعد اعتذارهم عن تولى أى منصب قيادى، وبالتالى عدم تقدمهم للترشيح للامانة العامة أو الامانة المركزية مع استمرارهم فى العمل والعطاء للحزب بعيدا عن المسئوليات التنظيمية. وكذلك **عبد الغفار شكر** الذى كان قد استقال من الامانة المركزية والامانة العامة وتمسك بموقفه فى المؤتمر واللجنة المركزية. وقام بدور هام فى المؤتمر خاصة فى مناقشات لجنة التنظيم والجلسة العامة. واكتفى بعضويته فى اللجنة المركزية.

وتشكلت الامانة العامة من أعضاء الامانة المركزية وأمناء المحافظات (٢٣ أمينا) و٢٢ عضوا تم انتخابهم للجنة المركزية من ٤٦ عضوا رشحوا أنفسهم وقد حصل **عطيه الصيرفى** على أعلى الأصوات (١٦٠ صوتا) يليه «**خليل عبد الكريم** ١٥٩ صوتا» و«عريان نصيف» ١٥٦» و«فتحية العسال ١٥٢» و«د. فخرى لبيب ١٢٩».. ودخل الامانة العامة لأول مرة ١٤ عضوا جديدا هم.. «فاروق الحدينى- د. وجيه شكرى- على صميده- فتحية العسال- د. فخرى لبيب- محمد فرج- محمد حمام- محمد سعيد- أنيس البياع- محمد الضهيرى- د. زهدى الشامى- سيد عبد الراضى- ابراهيم الشربينى- ماهر بيومى»

• صالح سمرة:

اليسار ليس محللا للنظام أو لقوى أخرى

وبانتهاء المؤتمر العام الثالث والاجتماع الاول للجنة المركزية يقفز السؤال: **التجمع الى أين؟**..

يقول **د. رفعت السعيد** الامين العام الجديد للحزب فى تصريح خاص لليسار «أعتقد أن التجمع واليسار فى مصر يعيش بين إجتهادين.

الاول يرى ضرورة التلاؤم مع المتغيرات الدولية الجديدة والاوضاع المتردية على الساحتين العالمية والاقليمية. وقد تغرى هذه الاوضاع البعض بتعديل المواقف والاتجاهات الى مزيد من الاعتدال.. أو كما يقولون.. نحن بحاجة لإعادة صياغة خطابنا السياسى كى لانقع فيما وقع فيه الأخرون وانتهوا الى مانعرفه جميعا.

الثانى ينطلق من واقع حقيقى أخر، وهو أن المجتمع المصرى فى ظل السياسات الحالية المتواصلة منذ الثمانينات ، يعزز قدرا عاليا جدا من السخط والرفض والرغبة فى التغير الشامل.

والتجمع يجد من الضرورى- فى ظل وجود الاجتهادين- أن يعدل الى صيغة ملائمة، ترى الجديد فى العالم، وأيضا بالاساس الجديد فى المجتمع المصرى.

وقد انحاز المؤتمر لصياغة أكثر تشددا فى اطار رؤية القواعد التى تعانى من ضغط هذه الحياة النفسة.. **تشدد يراعى توازن القوى**، وضرورة المرونة مع التمسك بالمبدأية.

وهذا هو الطريق الذى أعتقد أن التجمع سيسير فيه.»

الجو السياسي

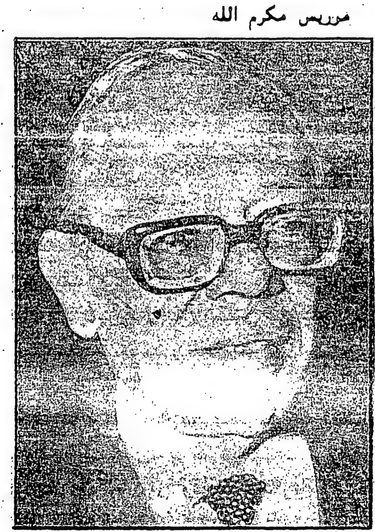
الفقى ينتقد المثقفين المصريين

شن د. مصطفى الفقى، سكرتير الرئيس مبارك لشئون المعلومات هجوما عنيفا، ومباغتا، على مثقفى مصر، اثناء حديث له، بندوة بهيئة الكتاب، جرت ضمن احتفاليات الهيئة بشهر رمضان. قال د. الفقى ان دور المثقفين منذ ٢٣ يوليو وحتى الآن، لم يكن على المستوى الذى تنتظره منهم مصر، أو ينتظره العالم الثالث. وسخر د. الفقى من المطالبين باعطاء دور للمثقفين قائلا إن الدور لايعطى، ولايمكن تكتيف القوى الأخرى، حتى يتفضل المثقفون بملء الفراغ و استطرد: لقد ثبت ان كل ترزية القرارات والاجراءات الخاطئة، كانوا من المثقفين!، وأن المبررين لخطوات مابعد ١٩٥٢، كانوا من المثقفين، والادوات الاعلامية المصطنعة، كانت من مثقفى مصر.. والآن يطالبون بدور؟ ان المهم قبل الدور هو نقاء المثقف وانتماؤه. وأضاف د. الفقى: تمت دعوة المثقفين فى كل المناسبات للمشاركة فى كل احداث مصر، لكن عطاءهم كان أقل مما يجب وازاء ضراوة الهجوم، وعدم منطقيته، رد الشاعر احمد عبد المعطى حجازى بالقول بان كلام د. الفقى فيه ظلم للمثقفين، وقال أن كثيرين اضطروا لأن يكونوا مبررين وموافقين وذيول للسلطان منذ اوائل الخمسينات وحتى الآن!، وقال حجازى انه لايمكن ان يلقى كل اللوم على المثقفين وحدهم بمافيهم الذين يصفقون للنظام الحالى، ولايمكن انكار ان كل نظام راغب فى اصطناع مثقفين يؤيدونه وذكر حجازى بالذين قضوا اعمارهم فى السجون والمنافى والملاحقات وتساءل: ماهى المجالات التى نستطيع أن نشير فيها إلى دور ولانجد المثقفين عندها؟ وماهى الأدوات ، وما الوسائل، لكى ينجزوا؟ وطالب حجازى بقيام مؤسسات ثقافية مستقلة الى جانب المؤسسات الرسمية، حتى يحتفظ المثقف بدوره، لأنه لادور بلاحرية واستقلال، وأن الخدمة المأجورة لاتصنع حلفاء حقيقيين أو اعمدة يستند اليها بالنسبة لأى نظام وواصل حجازى بانفعال هائل الحديث مشيرا الى أن المثقفين لايحدون الدور الذى يلعبونه بسبب احتكار المنتفعين للمؤسسات الاعلامية والصحفية، وحرصهم على تجنيد جيوش من عديمى الموهبة، لمطاردة الابداع الحقيقى.

وحيال التصفيق الذى قوبل به كلام حجازى عاد د. الفقى ليقول ان دور المثقفين هام، وبالذات فى فترة سقوط الجسور السياسية، حاليا فى العالم العربى ، وأن عليهم الترميم والوصل، وقيادة حركة التنوير ، وعاد ليشدد على أن دور المثقفين قبل ١٩٥٢ كان أكثر فعالية ، واعترف بان احلال أهل الثقة من التكنوقراط والفنيين، محل أهل الابداع والنظرة السياسية ، كان وراء التدهور. ورفع د. الفقى من نبرة خطابه الاجتماعى، فى مواجهة ليبرالية حجازى فقال ان المثقفين لم يضحوا وحدهم فى السجون والمنافى.. لقد قدمت الحركة العمالية شهداء، وقدمت الطبقة العاملة ضحايا ، وكذلك الطلاب، والحركات النقابية المختلفة.. قدم كل أولئك للحركة الوطنية المصرية الكثير!!! يذكر ان جميع الصحف المصرية تجاهلت نقل هجوم د. الفقى ورد حجازى عليه.



د. مصطفى الفقى



موريس مكرم الله

الحصار يولد الارهاب

حذر مسئول مصرى بارز، من تحول العراق الى أكبر معمل لتفريخ الارهاب فى العالم، فى ظل استمرار الحصار على الشعب العراقى، من قبل الهيئات الدولية، ومن قبل نظام حكم صدام حسين. وقال المسئول، الذى شدد على انه يتحدث عن وجهة نظر شخصيه ، إن احدا فى العالم العربى لم يهتم حتى الآن بدراسة اثار معاناة الشعب العراقى الحالية، ومراراته، على مستقبل المنطقة.

جولة مع نادى لندن لجدولة ١٥ مليار دولار واتصالات لبيع ٦ مليار ديون تجاريه

تبدأ الحكومة نهاية الشهر الحالى جولة جديدة مع نادى لندن فى جدولة نحو ١٥ مليار دولار لم تدخل ضمن الديون المجدولة فى نادى باريس العام الماضى.

صرح بذلك د. موريس مكرم الله وزير التعاون الدولى وقال أن المباحثات مع نادى لندن ستبدأ فور الإنتهاء من جدولة باقى الديون لخمس دول أعضاء بنادى باريس.

وكان آخر موعد لتوقيع الاتفاقيات مع ١٧ دولة بنادى باريس هو شهر مارس الماض.

من جانب آخر بدأت وزارتا التعاون الدولى والإقتصاد إتصالات مع البنوك التجارية لاتخاذ وسائل بيع نحو ٦ مليار دولار ديون تجارية غير مضمونه من الحكومات، على أن تتحول تلك الديون لمساهمات فى شركات محليه وبالنقد المحلى، على أن يحصل الوسيط فى عملية البيع على ٥٪ نسبة عمولة.

الجدير بالذكر أنه تم بيع مايقرب من ٧٥٠ مليون دولار خلال العام الماضى بنفس الطريقة.



صلاح حافظ

الصحفى الاشتراكى فى غربته الدائمة ..

ابراهيم فتحى

حينما بدأ **صلاح حافظ** الكتابة الصحفية فى نهاية الأربعينيات وأوائل الخمسينيات كانت الحياة المصرية فى لحظة حبلى بالثورة ضد أعداء الحياة. وكان الوضع السياسى شفافا شديد الوضوح. أعداء الحياة هم **الانجليز والسراى وكبار الملاك والرأسمالية العميلة**، ويشبهون الجراثيم تفتك بجسد الشعب، وهو كيان موحد متشابه الطبقات متجانس الأهداف. الحلال بين والحرام بين. والمعركة اليومية «**انتصار الحياة**» ليست فى حاجة إلى نظريات عميقه أو غير عميقه، فكل «**الناس**» أى **الجماهير**، **والملايين**، **والجميع** على المسرح السياسى وتجذب إلى الإضراب حتى ضباط الجيش والبوليس. (والناس والجماهير والملايين والجميع هى اسماء جرائد سياسية يسارية).

ولافرق بين طبقة عاملة وطبقة وسطى وطنية إلا بالتقوى، وكانت **الحركة الشيوعية** غارقة حتى الأذنين فى الحركة الوطنية الديموقراطية العامة وكان من الصعب التمييز بين **الشيوعى** وبين عضو الطليعة الوفدية أو الصحفى الوطنى **المستقل**.

وصلاح حافظ مثل يوسف أدريس أيامها كانا طالبين فى كلية طب القصر العينى، ولكنهما لم يقنعا بعلاج أجسام المرضى، بل حملا القلم قبل المشرط ومثل الرمح لعلاج الجسم الاجتماعى كله ومحاربة قوى التعفن والموت.

وظهرت معظم كتابات صلاح كما هو متوقع فى صحافة **الوفد** أو فى **روزاليوسف** على الرغم من العداء التقليدى بين المدرستين. وكان أقل القليل من كتابته فى صحافة اليسار العلنية أو السرية، «**الجماهير**» كانت قد اغلقت قسرا وكذلك «**الفجر**» منذ **حرب فلسطين**، وكانت الصحافة اليسارية بعد ذلك تعانى من الاضطهاد وضآلة الموارد وقلة الانتشار.

ونقف هنا قليلا.

فلاجدال فى أن اليسار الاشتراكى فى مصر له محاولات مضيئة فى خلق صحافة مستقلة تعبر عنه، ولكن هذه المحاولات لم تخلق صحافة يسارية لها جذور عميقة أو استمرار ملموس أو انتشار واسع ولم يكن هناك اهتمام ملحوظ داخل التنظيمات بالصحافة السرية أو شبه العلنية بل كانت هناك نشرات حزبية بعيدة عن الطابع الصحفى.

ولماذا يكتب **صلاح** فى هذه النشرات المحدودة معظم كتابته التى يمكن أن تجد طريقها إلى آلاف القراء فى الصحافة الرائجة أيامها ؟.

والحق أن **صلاح** مع المناضلين **كمال عبد الحليم وابراهيم عبد الحليم وحسن فؤاد** وفنان الكاريكاتير **زهدى** وآخرين بذلوا جهدا كبيرا لتأسيس صحافة يسارية ودور نشر يسارية وضحوا بالكثير من أجل ذلك الهدف (ولنأخذ مجلة **الغد** «مايو ١٩٥٣-«بعد يوليو ١٩٥٢» مثالا رائدا). ولكن ذلك لم يحقق نجاحا جماهيريا لائقا بالمستوى الرفيع للمشاركين، ولم يكن القمع البوليسى وحده مسئولا عن ذلك . **فاليسار** الذى انتمى إليه صلاح **كان أكثر اهتماما بتحقيق التحالف الوطنى منه بتدعيم القوة الذاتية لتنظيمه المستقل أو لنظريته المحددة**. ولم تكن احتياجات «**الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى**» تشبه احتياج حزب طبقى الا فى حدود معينة، وكانت المرحلة مرحلة جبهة واسعة كما يقال، مرحلة التشابة بين الملايين.

وهل كان صلاح يحس بالغربة فى **روز اليوسف** أو فى صحافة **الوفد**؟

وهل كان سيقول شيئا آخر مختلفا فى «**الكفاح**» السرية أو «**الملايين**» فى حياتها القصيرة؟ أو «الغد»؟ بعد ذلك

وكان الرأى الذائع أيامها يسمى التركيز على بناء الكيان الفكرى المستقل داخل الحركة الجماهيرية تقوقعا وانعزالا، فالمهم الانتشار فى كل مكان.. بل وفى حصون الخصوم أنفسهم مادام الكاتب يعبر عن فكر متقدم .

ومن المعروف أن صلاح عضو «حدتو» كان يعمل أحيانا فى «الأخبار» الصادرة عن دار أخبار اليوم منذ وقت مبكر جدا على الرغم من وعيه الناضج بالفرق بين صحافة الخبر المثير وصحافة الرأى والدور «الخاص» لأخبار اليوم.

ويذكر المخضرمون الضجة التى ثارت أيامها، حين قيل إن صلاح قام بالصياغة الصحفية فى الأخبار لأحداث الاضطرابات داخل ألمانيا الشرقية عام ١٩٥٣ من وجهة النظر الغربية، وكانت البلاد المسماه اشتراكية تحظى أيامها لدى اليسار بنوع من التوقير العميق (ولم يكن لصلاح رأى مختلف). وتوضح تلك الضجة أن هناك مشاكل قد تكون حادة بين وضع صاحب الرأى اليسارى وبين المؤسسة الصحفية اليمينية أو المحافظة أو الاصلاحية التى يعمل فيها ولكن المسألة الحاسمة كانت ذوبان اليسار حبا فى حركة وطنية عامة تتجه إلى اليسار قليلا ونشأة الصحفى اليسارى المحترف دون صحافة يسارية.

ولنأخذ «الغد» التى صدرت فى الثمانينات بمشاركة من بعض مؤسسى «الغد» الأولى ومن صلاح شخصيا، فلم يكن هناك جديد تضيفه إلى ماتكتبه بعض الأقلام فى الصحافة المصرية ، ولم يغلقها أحد ولكنها ماتت لانعدام مبررات الحياة على الرغم من «جماهيرية» المشاركين فيها فردا فردا

لقد حمل صلاح المناضل الاشتراكى قلمه ومواهبه المتعددة ليكتب على أرض ليست هى أرضه، قد تكون قريبة منه بعض الشئ وقد تكون بعيدة إلى أقصى مدى. وكان مثل صفوة من الكتاب والفنانين تلقت تربيتها فى التنظيم اليسارى السرى ثم اقتنت الصحافة البرجوازية أهم إنتاجها. وهل كان هناك طريق عملى آخر لصحفى محترف؟

ففى فترة البداية لنشاط صلاح الصحفى كانت الصحافة اليسارية محدودة إلى أقصى مدى. مجلة البشير لفتحى الرملى شبه وفدية شبه يسارية شديدة التعثر هزيلة عدد الصفحات واستمرت فى هذا الاتجاه من ابريل ١٩٥٠ حتى نوفمبر من نفس العام!! أما الملايين اليسارية التى شارك صلاح فيها منذ البداية فاستمرت من ابريل ١٩٥١ حتى ديسمبر ١٩٥١ فلم تكمل احداها العام. ولم [illegible] صلاح حافظ إلا من الصحافة الاخرى.

لقد وقف المناضل صلاح حافظ الذى انضم إلى حدتو بعد ١٩٥٠ وأصبح فى لجنتها المركزية المؤقتة فى اواخر ١٩٥٣ بعد حركة الجيش أمام محكمة عسكرية وكتبت نشرة «الحزب الموحد» السرية «الكادر» عنه وعن الرفاق الذين «يحاكمون» الدكتاتورية العسكرية.. وابتلع المنفى «صلاح حافظ» ثمانى سنوات كاملة. لم يدفعها بسبب الاستعمار والرجعية بل كانت الضربة من جانب قوة وطنية أيدها صلاح منذ البداية واختلف معها قليلا ثم خرج من السجن الطويل وهو أشد مايكون تأكيدا لاوطنيتها هذه المرة فحسب بل لاشتراكيتها أيضا.

وعاد صلاح إلى الصحافة التى أصبحت مؤممة، إلى دار **أخبار اليوم**. وكانت أولى المعارك التى خاضها فى **آخر ساعة** ضد الفن التشكيلى التجريدى الذى يرفض أن يكون الفن فى سبيل الحياة وظل بعد ذلك ينتقد موقف **«الطبقة الوسطى»** المتردد من الاشتراكية التى كان يرى أن بناءها يجرى على قدم وساق. وشن هجومه المرح على صغار المسئولين الذين يقومون بإعاقة الخطط الثورية التى يقدمها كبار المسئولين. ومرة ثانية كان الوضع السياسى شفافا شديد الوضوح اعداء الحياة هم **الامريكان والرجعية العربية والرأسمالية العميلة**، والشعب يقف فى طابور موحد وراء قيادته المقاتلة.

واعتبر صلاح أن ماجاء فى **الميثاق** عن **«الاشتراكية العلمية»** تبنيا من جانب القيادة لما دعا إليه هو ورفاقه فى الزمان الأول.

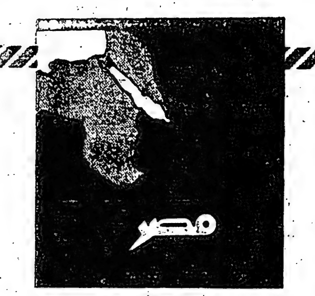
وجاءت كتاباته كلها مناقشات عملية محترمة تبسط المعلومات وتقوم بترتيبها المنطقى فى لغة شديدة الجاذبية سواء أكان يناقش مسألة اختفاء سلعة تموينية أم يرد على صحيفة معادية لثورتنا الاشتراكية وقوميتنا العربية. وهو يدعو إلى بناء أحدث المصانع والمزارع ومنافذ التوزيع وتدريب أجيال من العلماء فى كل المجالات وإلى وضع أهداف سياسية مستمدة من التحليل العلمى للتاريخ وتنظيم حركة الجماهير على أساس قوانين علمية للتطور الاجتماعى. ولا ينتهى الأمر هنا، فهو ينتقد أننا أمام مواضيع معينة مثل الجنس مثلا نتهرب من التفكير العلمى بحجج لاحصر لها بعضها أخلاقى وبعضها يدعى التدين الزائف وبعضها سياسى. ويتساءل الكاتب الجماهيرى لماذا تقبل أعرض الجماهير على كل مايعتبره البعض انحلالا جنسيا بحماس أبلغ من حماسها لكرة القدم؟

ويدعو إلى سيادة التفكير العلمى فى كل شئ.. وفى مناقشة قضايا الجنس وغيره من الأمور المحرمة. ويواصل ذلك عند مناقشة بعض ادعاءات المتعصبين الجامدين المتاجرين بالدين.

وربما بلغت الرغبة فى الجماهيرية أقصى مدى، فى آخر ساعة تحت إشرافه كانت حسناء ترتدى البكينى خفيفة الدم، وكانت تقدميتها شديدة الرقة.

ولكن بعد ١٥ مايو ١٩٧١.. وكان صلاح حافظ قد أبعد أيام ناصر عن الاشراف على آخر ساعة بعد ترك **خالد محيى الدين** لمؤسسة أخبار اليوم، فلم يكن الحب متبادلا بين قلم صلاح وبين المؤسسة الصحفية الحاكمة ومؤسسات ٢٣ يوليو عموما ..ظل صلاح فى روز اليوسف يتصبب عرقا لاثبات أن ١٥ مايو استمرار لثورة يوليو. دون جدوى. وجاءت **انتفاضة الخبز فى يناير ١٩٧٧ ووقف صلاح مع الشعب** وفقد مركزه الادارى المتواضع فى روز اليوسف. وأهم من ذلك أن «المساحة» المتاحة أمام قلمه الساحر السيال كانت شديدة الضيق، وكان مفروضا عليه أن يقبع فى ظل منحسره.

ولم يعد للصحافة الحكومية أيام السادات طابعها «الاشتراكى» «القومى» كما لم تعد تختلف كثيرا عن صحافة النفط. وواجه الصحفى اليسارى مشكلته القديمة على مستوى أكثر تدهورا. وقال صلاح إن الاشتراكية هى حركة الجماهير للمطالبة بحقوقها وقد حققت مكاسب فى مصر والعالم لايستطيع أحد الغاءها **فليست الاشتراكية عنده دولة أو حزبا أو قائدا أو معسكرا بل هى خيوط المكاسب والحريات التى انتزعها الشعب فى نسيج البلاد الرأسمالية والنفطية نفسها**.فليواصل الصحفى الاشتراكى كتابته التقدمية وتقديم خبراته الفنية للجرائد والمجلات دون نظر إلى يمينيتها أو يساريتها فالقراء ينتمون دائما إلى الشعب. وتتسع «الجبهة» القديمة إلى أقصى مدى. وكما لم يكتف صلاح بالمنابر اليسارية مجالا لقلمه فى مطلع الشباب لم يكتف فى قمة نضجه بالجرائد والمجلات الحكومية المصرية، أو بصف المعارضة وبدأ يغرد على أشجار بعيدة عربية متعددة. فإن تأييد «كامب ديفيد» جعل خانة الأعداء التقليديين خاوية على عروشها وأصبحت المهمة التنويرية العامة والنظرات النقدية الذكية لنواحى التخلف وصحارية الأفكار المتحجرة هى الأهداف التى ظل يحملها معه الصحفى الاشتراكى القديم فى غربته الدائمة.



الصناعات المصرية

تواجه فوضى سياسات التحرير .. والمنافسة الأجنبية

حسن بدوى

جاءت الشهور الأولى من عام ١٩٩٢ منذرة بمخاطر جسيمة على الصناعة المصرية المحاصرة فى بحر الأنشطة الريعية والطفيلية منذ بدأت سياسة «الانفتاح» وتعزز حصارها مع سياسة «الإصلاح»!!

جاء العام الجديد مكشرا عن أنيابه للصناعة الوطنية بشقيها العام والخاص.. وتوالت آلاف البرقيات على المسئولين بدءا برئيس الجمهورية ورئيس الوزراء ووزير الصناعة. ووجه أصحاب المصانع نداءات لإعادة النظر فى السياسات القائمة بما يضمن حماية الصناعة الوطنية..

ولم يكن الأمر مفاجئا لأحد من العاملين أو أصحاب الأعمال أو الحكام أو المحكومين.

فقد شهد عام ١٩٩١ عدة سياسات وتشريعات تشكل فى مجموعها مرحلة انتقالية جديدة فى المجتمع المصرى، استنادا إلى ماشهده العالم والمنطقة العربية من تغيرات حادة فى الفترة الأخيرة..

فصدر قانون شاغلى الوظائف القيادية للإدارة العليا بالدولة والقطاع العام، ثم قانون قطاع الأعمال ولائحته التنفيذية، وتم تحرير سعر الصرف وسعر الفائدة، وتحرير الاستثمار والتجارة الخارجية، والاتفاق مع صندوق النقد الدولى..

وبمقتضى كل هذه السياسات والتشريعات رفعت الدولة يدها تماما حتى عن قطاعها العام الصناعى، الذى حقق [illegible] العام الماضى فقط -بأكثر من أربعة آلاف مليون جنيه.. ومع استعلامها

دفعت بالقطاع الخاص المصرى أيضا للوقوف على حافة الهاوية.



د. عاطف صدقى

فقد اتسمت هذه السياسات بخضوع تام لشروط المؤسسات المالية الدولية، التى استهدفت تسييد «الخصخصة». فبلغت أكثر مما تحلم .. فى غياب الإرادة الوطنية، والرؤية الاستراتيجية لمستقبل الاقتصاد المصرى، وفى القلب منه الصناعة.

وقبل أن يتسرع أحد ويفعل كرئيس الوزراء عندما يقف عاجزا أمام الوقائع والمنطق، فيقول: «هذا كلام أيديولوجى»، أو فكر فى ذمة التاريخ»، فإننا ننتقل مباشرة إلى الوقائع والمنطق الذى يحكيه العمال وأصحاب العمل، والخبراء، والباحثون والكوادر الفنية.

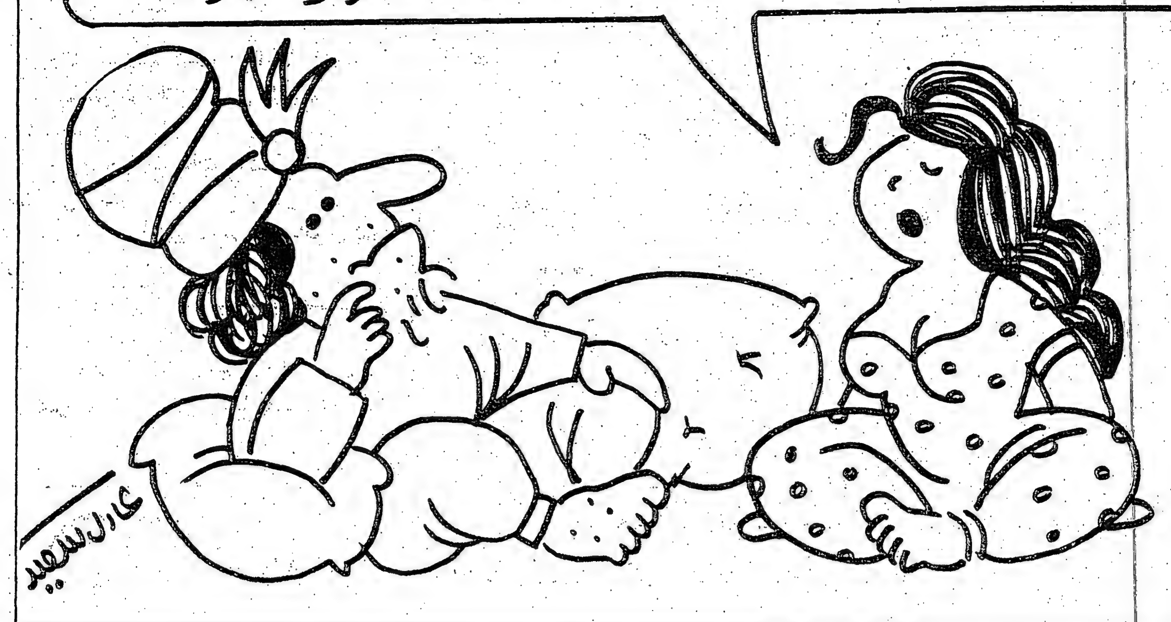
طلقات تحذير

الطلقة الأولى فى قطاع الإنتاج الحربى، وكانت مدوية، حيث شهدت الجمعيات العمومية لعدد من شركات القطاع مواجهة صريحة وساخنة بين ممثلى العمال ووزير الإنتاج الحربى **جمال السيد**، حول مشاكل الإنتاج بهذه الشركات، والتى يعود سببها إلى عدم توفير الخامات ومستلزمات الإنتاج الكافية، والسماح باستيراد منتجات أجنبية لها مثيل محلى، مما يؤثر على الإنتاج، وبالتالى على دخول العمال.

قد تزامنت هذه المواجهة مع **مظاهرات عمال مصانع ٥٤ و٦٣ و٩٩- الحربية**، بهدف زيادة نصيبهم فى مكافآت الإنتاج السنوية ووضع، نظم عادلة للحوافز وزيادة، البدل النقدى للوجبة الغذائية.

وبدأ تقديم كباش الفداء، فتم استبعاد رئيس شركتين. ونشرت «الأهرام» -خلال مارس الماضى- عن إحالة وكيل وزارة بالإنتاج الحربى للمحاكمة بتهمة إعطائه موافقات استيراد لمحركات يتم إنتاج مثيلتها فى مصر. ثم نشرت نفياً لوكيل وزارة آخر- فى اليوم التالى- يؤكد أن المتهم أحد صغار العاملين، وليس وكيل وزارة. فهل رأيتم أحد صغار العاملين يعطى موافقات استيرادية؟!

الطلقة الثانية جاءت من شركات الأسمدة بالسويس وطلخا وكفر الزيات وأسيوط وسوهاج وأبو زعبل وأبو قير. برقيات ومذكرات أرسلها بعض النقابيين لوزير الصناعة تحذر من مخاطر توقف المصانع، بعد امتناع بنك التنمية والائتمان الزراعى عن استلام بقية تعاقداته الممتدة حتى نهاية



يونيه القادم، وتفضيله الاستيراد من الخارج، بعد سياسة تحرير التجارة الخارجية، رغم استلامه، الدعم المالى من وزارة المالية ، عن الكمية المتعاقد عليها مع الشركات حتى ٣٠ يونيه ١٩٩٢.

بدأ البنك الامتناع عن استلام الكميات المقررة فى ديسمبر الماضى، فاستلم من شركة النصر للأسمدة -على سبيل المثال- ٨٠٪ نقط من الكميات المقررة، وفى يناير الماضى، استلم حوالى ٣٠٪ نقط من الكمية المقررة. وبدأت الشركة تخزن المنتجات فى الأماكن المسموح بالتخزين فيها، حتى لم يبق شبر قابل للتخزين، وبدأ تخفيض الطاقة الإنتاجية تدريجيا، منذ بداية العام الحالى، بعد أن كان البنك يحتكر شراء منتجات الشركة طوال أربعين عاما مضت!

الطلقة الثالثة من شركة كولدير.

...العمال برقيات إلى رئيس الجمهورية ووزير الصناعة ورئيس الوزراء يخطرونهم بتراكم منتجات الشركة، فى ظل عدم توفير **شروط حمايتها أمام المنافسة الأجنبية، وعجز الإدارة عن إيجاد سياسة تسويقية ملائمة.**

ولن تتوقف الطلقات.. فالأخبار تتوالى عن تخفيض الطاقات الإنتاجية خلال الشهور الأخيرة بمواقع صناعة السيارات والتليفزيون ووسائل النقل الخفيف، وسبقتها مواقع صناعية عديدة منتجة للعدد الدقيقة ومواد البناء وغيرها.

والقطاع الخاص

آخر الطلقات خلال الشهر الماضى، جاءت فى شكل نداء منشور بصحف الحكومة لجمعيتين ورابطة لأصحاب مصانع النسيج بشبرا الخيمة والمحلة الكبرى.

النداء موجه لرئيس الوزراء ووزراء المالية والصناعة والاقتصاد والقوى العاملة، لاعادة النظر فى قرار رفع الحظر على استيراد المنسوجات والأقمشة والملابس الجاهزة، لحين إعداد الدراسات اللازمة، خاصة وأنه فى الفترة الماضية التى دعت فيها الدولة لتنمية الصناعة الوطنية. قامت الشركات بأحلال وتجديد، باقتراضها من البنوك بفوائد تصل الى ٢٥٪.

أصحاب مصانع النسيج الخاصة يؤكدون عجزهم عن المنافسة مع المنتج الأجنبى فى ظل السياسات الحالية، فمنتجهم المحلى مُحّمل بأعباء كثيرة، منها ١٢ شريحة ضريبية تصل بعضها إلى ٤٢٪ ، وارتفاع أسعار الخدمات، فكيلو الكهرباء ارتفع سعره إلى مابين ١٥ و١٧ قرشا، وكان قبل عدة سنوات لايتجاوز خمسة قروش. وخلال السنوات العشر الماضية ارتفعت أسعار الغزول بنسبة ٤٢٨٪ فضلا عن نقص الغزول اللازمة لتشغيل المصانع، بسبب اتجاه الدولة لتصدير الغزل الجيد، **وفرض الغزول الامريكى الردىء علينا**، وهو عبارة عن عوادم قطن، ولايصلح لتشغيل ماكيناتنا، ويضيفون :إن الواردات تأتى من بواقى المواسم فى أوروبا وشرق آسيا، وبالتالى فهى تكون بأسعار رخيصة (كما لو كان أوكازيون كبير لفضلات العالم فى مصر!)

والحاد الصناعات

كل ذلك يحدث رغم إقرار لجنتى الاقتصاد والصناعة بمجلس الشعب برئاسة د. محمد دكرورى والمهندس أمين مبارك بضرورة اتخاذ اجراءات تشريعية لحماية الصناعة الوطنية، بعد لقائهما مع اتحاد الصناعات المصرية برئاسة د. عادل جزارين، فى يناير الماضى.

*أكد أعضاء الاتحاد فى اللقاء أن حماية الصناعة الوطنية لاتتعارض وشروط صندوق النقد الدولى.

* وطالبوا بخطوات تنفيذية تؤدى إلى تضييق الهوة الواسعة فى الدخول من خلال قانون عمل موحد، يوحد سعر العمالة ويرتبط بالغلاء.

* وتحديد أهداف الدولة من التصنيع وتنظيم نشاطها.

* وبالتفرقة فى الجمارك بين السلع المستوردة تامة الصنع والخامات المستوردة للتصنيع المحلى، وتطبيق نظام الحصص وتحديد حصة الاستيراد من كل منتج عالمى، ووضع سعر حكمى للجمارك، ومنح الأولوية فى توريدات الحكومة إلى القطاع المصرى المنتج.

* وطالبوا أعضاء مجلس الشعب بخوض معركة لحماية الاقتصاد المصرى من سياسة إغراق السوق بسلع مستوردة تامة الصنع من الخارج.

* ووضع ضوابط وحدود لعمل المكاتب الاستشارية والشركات الأجنبية فى مصر.

* وإعادة النظر فى قرار رفع سعر الفائدة على الايداعات فى البنوك والتى أثرت على النشاط الاستثمارى فى مصر.

* وفتح باب التصدير طبقا لقواعد العرض والطلب، مع وضع قائمة بالسلع المحظورة، لحماية المصالح الاستراتيجية.. وإعادة النظر فى فتح باب الاستيراد بلا قيود.

* كما طالبوا بإلغاء حالة الطوارئ التى تعوق العمل التجارى والنشاط الاقتصادى.

* وقصر تطبيق ضريبة المبيعات على السلع، وحظرها على الآلات المستوردة اللازمة لتطوير الصناعة المحلية.

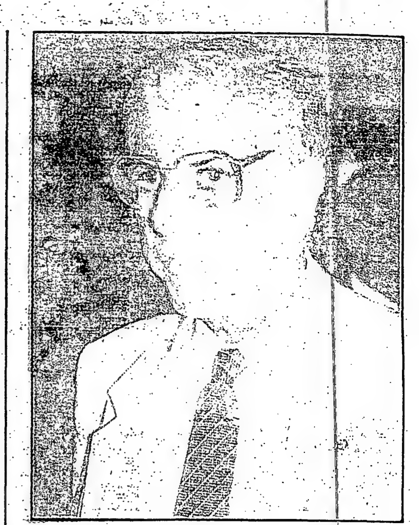
* وإنهاء تضارب التشريعات والقرارات التى تؤدى الى عدم الاستقرار فى الصناعات المحلية.

المنافسة العادلة

ويعترف تقرير للدكتور محيى الدين الغريب رئيس الجهاز التنفيذى للهيئة العامة للاستثمار، صدر فى بداية العام الحالى، بضرورة تطوير هيكل التعريفة الجمركية بالشكل الذى يسمح بحماية الصناعات القائمة

العمال وأصحاب العمل يخوضون معركة حماية الصناعة الوطنية





عادل جزارين

مع مزيد من التيسيرات فى استيراد الخامات والمكونات وقطع الغيار من أجل تشجيع حركة التنمية الصناعية».

ويؤكد د. مختار هلودة، الرئيس السابق للجهاز المركزى للتعبئة والاحصاء ورئيس الفريق المشكل من وزارة التخطيط لإعداد رؤية استراتيجية للتكنولوجيا المصرية أنه لابد من دعم الصناعة الوطنية لخوض المنافسة مع المنتج الأجنبى دون إغلاق الباب أمامه، ويحدد أن الدعم المقصود هو الدعم المالى والتسويقى وزيادة الجمارك بما يجعل الصناعة الوطنية تقف على قدميها، وليس المقصود دعم الشركات لكى تستورد ماكينات إلا عند الضرورة، والاعتماد على أنفسنا فى صناعة معداتنا إلا فى بعض المعدات التى لامفر من استيرادها. ويشير د. هلودة إلى أنه من أهم أشكال الدعم: التعاون والتنسيق بين أجهزة الدولة والقطاع العام، كتعامل قوات البوليس أو الجيش مثلا مع شركات القطاع المنتجة للنسيج وهكذا..

إلا أن النهوض بالصناعة الوطنية- كما يرى د. هلودة- يتطلب أساسا العمل استنادا إلى ثلاثة علوم فى ترابطها مع بعضها البعض، هى التكنولوجيا والإدارة والتسويق ، والمفروض أن تضع الحكومة قواعد بالكمية والجودة والصلاحية، وأن يعمل رؤساء الشركات القابضة والتابعة وفق رؤية محددة وعلمية، وفى إطار استراتيجية واضحة، وللأسف فكل هذا لايوجد فى مصر كما ينبغى، ونحن نحتاج إلى بناء نظام عمل يحسن الأداء داخل دورة العمل، وهذا الكلام ينطبق على الصناعة ككل -عام وخاص، بالإضافة إلى عدم وجود مراكز بحثية فى مجال الإدارة تعطى هذه الأمور الاهتمام الكافى.

الحماية والقائمة السلبية

ويحدد المهندس محمد اسماعيل مدير ادارة التخطيط بمصلحة سك العملة أن السبيل الأساسى لتحقيق العدالة فى التعامل بين المنتج المحلى والمستورد يكون بحسن استعمال سياسات الحماية الجمركية بحيث تكون متجهة نحو الانخفاض التدريجى دفعا للمنتجين المحليين لتخفيض التكاليف ورفع الجودة. ويعبر عن دهشته للتعامل مع الاستثمار الأجنبى بما يسمى القائمة السلبية، أى بتحديد عدد محدود من المجالات لا يجوز له الاستثمار فيها، بينما يفتحون له المجال للاستثمار على مصراعيه فى أغلب مجالات الاستثمار الأخرى. مؤكدا أن الأفضل للمجتمع وللصناعة المصرية ولتلبية الاحتياجات الأساسية للاقتصاد والشعب المصرى، هو تحديد قائمة ايجابية، أى المجالات التى نحتاج المستثمر الأجنبى للدخول فيها، وأن ترتبط التسهيلات والاعفاءات بالدخول فى هذه المجالات فقط.

ويضيف المهندس محمد اسماعيل :إن الدولة لابد أن تتبنى سياسة تكنولوجية مصرية، وتحركها من خلال أجهزة متخصصة للنهوض بالمستوى الفنى للصناعات المحلية، تمكنها لها من مجابهة جودة وأسعار الصناعات العالمية المنافسة، ويؤكد أن هذا موجود- ولكن بشكل جزئى- فى الخدمات التى يؤديها مثلا مركز تنمية التصميمات الصناعية والهندسية بالهرم، التابع لوزارة الصناعة، وهو يقدم خدماته للصناعات الصغيرة والمتوسطة، ولاسيما الخاصة بالحاصلين على قروض من بنك التنمية الصناعية المصرى، ولكن هذا يتم على نطاق ضيق.

ويؤكد أنه كلما كان هناك ميل إلى تكتلات محلية للمنتجين المصريين أو مزيد من التنسيق فيما بينهم على الأقل ، كلما كان موقف الصناعة المصرية أفضل فى مواجهة المنافسة الأجنبية، ولهذا فإن هناك أهمية خاصة للقطاعات التعاونية واتحادات المنتجين.

تحول شامل

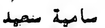
تختلف قليلا الباحثة سامية سعيد ببنك الاستثمار القومى، فهى ترى أن هناك تحولا شاملا فى المجتمع المصرى،



د. محيى الدين الغريب

وهذا التحول يحدث بدرجات متفاوتة فى جميع دول العالم، وهو يحدث فى إطار سيطرة النسق الرأسمالى العالمى، وفى إطار توازنات دولية جديدة.. ومصرمثل كل دول العالم الآن تسير فى هذا التوجه. تتغير وتتبدل الرؤى التنموية وآليات تحقيقها وشرائح تحقيقها فى ظل هذه الظروف، ولن يحدث التحول مرة واحدة أو بقرار سياسى فقط، وإنما سيكون له استمراريته ومداه، وسيفرز تناقضات جديدة، والقدرة على حل هذه التناقضات من المحتمل أن تفرز رؤية تنموية جديدة وصحيحة.

وتؤكد سامية سعيد أن القضية ليست الصناعة فى حد ذاتها، فقد شهدت مصر نهضة صناعية فى ظل الوجود الاستعمارى قبل ثورة يوليو، وبرزت صناعات السكر



سامية سعيد



والزجاج والنسيج وغيرها، بل أن القطاع العام قام على شركات القطاع الخاص المؤممة، بصرف النظر عن التوسعات والإضافات التى قدمها بعد ذلك، وهى كثيرة أيضا. وكما تمت إعادة هيكلة الاقتصاد المصرى ضد القطاع الخاص فى الستينيات، فإنه تتم إعادة الهيكلة لصالحه مرة أخرى، الآن. ولكن السؤال الجوهرى: هل نجحت سياسة الانفتاح التى بدأت فى منتصف السبعينات فى خلق الرأسمالية القادرة على قيادة التنمية الصناعية؟ الإجابة بالنفى بالرغم من وجود نماذج رأسمالية صناعية ناجحة، بلاشك.

وترى سامية سعيد أن النهوض بالصناعة المصرية يستلزم الاقتداء بالصناعات الناجحة والعريقة فى مصر كالألومنيوم والنسيج والصناعات الوسيطة وغيرها، وعلى الدولة أن تدعم هذه الصناعات إما بتقديم تسهيلات لها أو رفع الرسوم الجمركية على الصناعة المنافسة المستوردة، وذلك لحماية الصناعات المحلية بقدر المستطاع وإعادة هيكلة الملكية بتمليك العاملين أسهم القطاع العام وتخفيف الأعباء المالية والضريبية على وحدات الصناعة. وأن تجعل المؤسسات قادرة على تطوير نفسها وإعادة تشكيل التقنيات فى هذه المؤسسات، وتطوير القطاع العام من داخله، خاصة وأنه لايوجد حتى الآن قطاع خاص قادر على قيادة التنمية الصناعية فى مصر..

ومازال الصراع مفتوحا..

والقضية هنا، هى الصناعة الوطنية.. أى قدرة الوطن على الاستقلال وصيانة هذا الاستقلال، والتقدم لتحقيق المتطلبات الاقتصادية والاجتماعية لشعب مصر.

ولهذا فإن جيش المدافعين عن الصناعة المصرية أكبر مما يتصور أعداؤها بكثير.. ويضم العمال والخبراء والعلماء والفنيين ورجال الصناعة من الرأسماليين المصريين.

ولكن.. هل يمكنهم خوض مسيرة مشتركة حول برنامج مشترك هدفه حماية وتطوير الصناعة الوطنية، القادرة على تحرير الوطن من علامات التبعية، وتلبية المتطلبات الاجتماعية الأساسية؟

إنها الضرورة التى نأمل أن تتحقق أسرع.. حتى تكون الخسائر أقل.

دفاعا عن الوطن لا عن المستأجرين

احمد عبد القوى زيدان

أثار مشروع القانون الخاص بالعلاقة بين المالك والمستأجر الذى نشره الحزب الوطنى أخيرا قلقا كبيرا فى صفوف الفلاحين فى الريف المصرى مما دفع المئات منهم للإبراق احتجاجا الى كافة المسئولين (الاهالى ١٩٩٢/٣/٤). ولكن هل يكفى مجرد القلق فى صفوف الفلاحين؟ وهل يجب أن يقتصر الأمر عليهم لان القضية تخصهم (تخص ١ر٢ مليون أسرة مستأجرة تمثل نحو ٦ مليون مواطن مصرى).. أم أن الموضوع اكبر من ذلك وله أهميته الكبرى كما نعتقد لانه يخص الوطن استقراره ونموه.

لماذا القلق

أما عن سبب القلق فيتمثل فى أن جوهر مشروع الحزب الوطنى الديمقراطى المنشور هو **طرد المستأجر من الأرض** وهو موقف ليس جديدا، فمنذ أواخر السبعينيات ينص برنامج الحزب الوطنى بوضوح على ذلك، ولكن لأسباب عديدة ظل مترددا فى الإقدام عليه. والآن وفى هوجة المداليمينى العالمى واستخدام انهيار الاشتراكية الدولية للتدليل على رفض أى تدخل للدولة، والزعم أن السوق باطلاقه هو الأداة الوحيدة لتطوير المجتمع. يبدو أنهم حسموا الأمر.

فإذا أضفنا الى ذلك- وهو السبب الأكثر أهمية- التركيب الطبقى لمجلس الشعب والحزب الوطنى الذى يعلى من شأن كبار الملاك الزراعيين لاصبح الأمر أكثر إتضاحا. فمثلا نواب محافظة الفيوم «ال ١٤» نلاحظ ان (١٣) نائبا منهم ينتمون الى كبار ملاك الأرض وأغنياء الفلاحين والاستثناء هو النائب المتبقى. ومن الطريف والطبيعى أن قيادة الحزب الوطنى قد استبعدته من الترشيح لكنه نجح مستقلا فاستعاده الحزب الوطنى الى صفوفه. يبرز من هؤلاء النواب الملاك **الدكتور يوسف والى** أمين عام الحزب الوطنى ووزير الزراعة صاحب السياسة الزراعية المشهود لها بقدرتها الفذه فى فرض التطبيع مع اسرائيل من ناحية، وفرز اكبر عدد من قضايا الفساد فى صفوف مساعديه!!

وأيضا المهندس **أبو بكر الباسل** رئيس لجنة الزراعة لمجلس الشعب. وهما ينتميان الى طبقة كبار الملاك الزراعيين قبل ثورة يوليو ويلعبان الآن الدور الاساسى فى فرض التوجهات القديمة- الجديدة للحزب الوطنى فى المسألة الزراعية.

وتفتح قوسين لتؤكد بينهما «أن محكمة الفيوم الابتدائية شهدت عددا من القضايا الخاصة بطرد المستأجرين مرفوعة من اشقاء الوزير استخدم فيها كافة الضغوط» نغلق القوس.

لكل هذه الاسباب يزداد القلق هذه المرة من الحملة الأخيرة لأن المناخ مواتى للملاك وصوت القوى السياسية المعبرة عنهم أكثر وضوحا وحسما.

وهذا يفرض على كافة القوى الوطنية والتقدمية فى المجتمع أن تتحد لخوض معركة الوطن. لان هذا المشروع ليس مجرد تشريد ١ر٢ مليون أسرة مستأجره فقط- وان كان هذا مرعبا فى حد ذاته- **بل إنه يدفع بالمجتمع الى دائره مجنونه من العنف الاجتماعى** خاصة وان الأرض فى الريف ممهدة لذلك، والدليل إنتشار جرائم العنف وأخطرها انتشار جريمة السرقة بالاكراه (اسألوا وزير داخليتكم يفتيكم ان كنتم لاتعلمون).

ليس هذا فقط بل أننا نؤكد ان انتشار الجماعات الأصولية، خاصة جماعات الجهاد والتكفير فى الريف بصورة سرطانيه، يؤكد



ذلك. هذه الجماعات التى تتشكل كما أوضح الشيخ خليل عبد الكريم (اليسار مارس ١٩٩٢) من (الشباب الذين يشعرون بالاحباط والهامشية وفقدان أى بصيص من أمل، فليس أمامهم من طريق إلا الكفر بهذا المجتمع وتكفيره بما فيه من مؤسسات ومن فيه من أشخاص ووسمه بالجاهلية لانه المجتمع الذى حرمهم من كل شئ حتى من أبسط حقوقهم فى العمل والمسكن والزواج). إن انتشار هذه الجماعات يعبر عن مدى العنف الموجود فى اعماق الريف المصرى. ومرة أخرى نضرب مثلا بقرى محافظة الفيوم التى يقود نوابها الحمله لإصدار هذا القانون. لنرى أن بعض القرى إمتدت اليها هذه الجماعات بصورة جعلت اسماءها - آى القرى - تتصدر صفحات الصحف اليومية مرتبطة باحداث عنف هزت المجتمع (كحك - سنرو - الخ).

لكن على مايبدو ان المصلحة الطبقية لكبار الملاك لاترى الخطر الذى يهدد أمن [illegible] طوره، خاصة وأن هناك دفعا عنيفا ياتى من خارج حدود الوطن، متمثلا فى روشتة صندوق النقد الدولى المسماه تحرير الاقتصاد المصرى، التى لاتهتم لمصالح الوطن ولو من منطلق الرأسمالية ، حيث يؤثر طرد المستأجرين على الصناعة المصرية ونموها لانه يؤدى الى ضيق السوق الاقتصادى باخراج هذا العدد الكبير من المستأجرين. ونسأل الم يكن هذا الدافع وراء اصدار قانون الاصلاح الزراعى، هذا فضلا عن أن هذا القانون بنقله الأرض الزراعية إلى أيدى كبار الملاك والشركات الاستثمارية والرأسمالية الريفية الكبيرة التى يتربع ممثلوها فى قمه الحزب الوطنى يؤدى الى عدم زراعة ، المحاصيل الغذائية التى يحتاجها استهلاكنا القومى ، كما انها ستدفع الى ان تكون التنمية مرتبطة بمتطلبات الخارج لابمتطلبات الشعب مما يدفع الى مزيد من التبعية.

دعوة للتصدى

يردد البعض مروّجا أن هذا القانون سيمر أيا كانت الامور فلاداعى للمقاومه والوقوف أمام الطوفان الزاحف فى هذه الأيام. ونحن نقول لا لمثل هذا الموقف ونهيب بكافة القوى الوطنية والتقدمية أن تتصدى لهذا القانون الكارثة لأن الثمن الذى سيدفعه المجتمع فى حاله إقراره سيكون غاليا ، ولذلك يجب أن يعلو صوت الرفض لطرد ٢ر١ مليون اسره مستأجره. كما يجب على كافة القوى السياسية المؤمنة برفض هذا القانون أن تقوم بحمله دعائية منظمة تشرح للجميع مدى خطورة هذا القانون على أمن المجتمع وتطوره الإقتصادى - الاجتماعى الخ ودعوة جماهير المستأجرين للتعبير عن موقفهم ومساندتهم فى ذلك بكافة الاشكال الديمقراطية.. إرسال البرقيات الى كافة المسئولين.. التوجه الى مجلس الشعب فى وفود تعبر عن مطالبهم...، الالتفاف حول المنظمات الديمقراطية المعبرة عن الفلاحين ودعمها.

وعلى كافة القوى التقدمية - والتحالف الاشتراكى اساسا - الدور الاكبر فى العمل من أجل ايقاف هذه المذبحة لجماهير المستأجرين وان تعزز ارتباطها بالفلاحين، فالامر اكبر من الاكتفاء بالعمل البرلمانى او الكتابة، انما لابد ان تتم الحركة مع الفلاحين وبهم. ومرة أخرى فهذا ليس دفاعا عن المستأجرين فقط انما هو دفاع عن الوطن فى وجه زحف التتار الجدد طفيليين كانو أو اصوليين.

أول خطة خمسية
فى سياسة الخصخصة الحكومية !

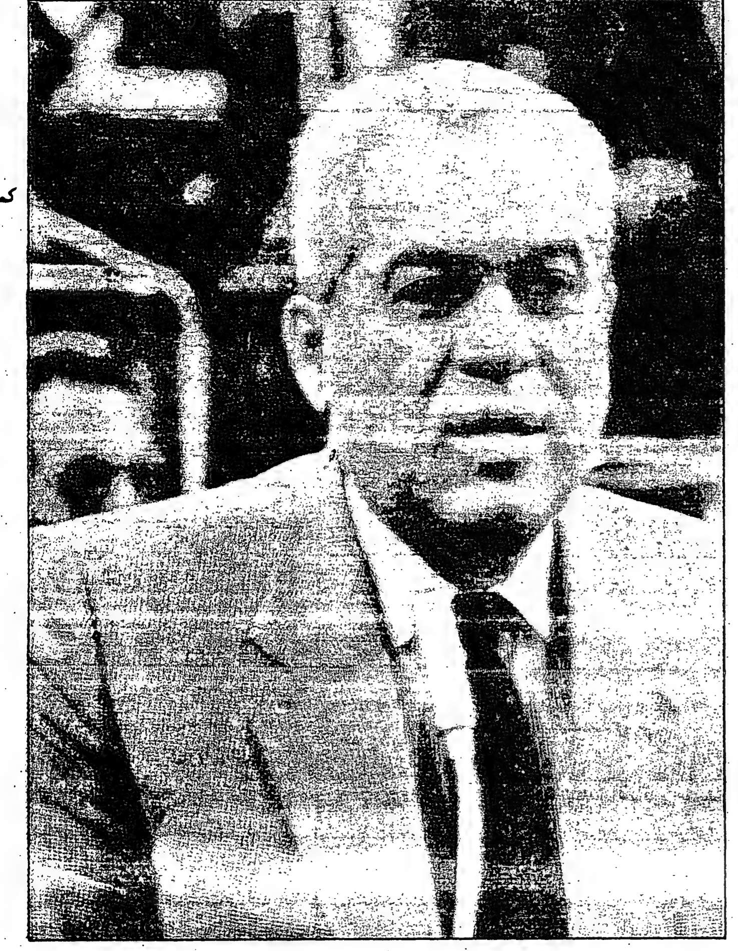
محمود الخضرى

باقى من الزمن ثلاثة شهور قبل بداية العمل بالخطة الخمسية الجديدة «الثالثة» ولم تف الحكومة بوعدها بعرض مشروع تلك الخطة على الأحزاب والهيئات والخبراء لاجراء حوار حولها قبل إقرارها.. وعندما سئل د. **كمال الجنزورى** نائب رئيس الوزراء ووزير التخطيط عن ذلك قال أن الوقت مازال متسعا، والوقت يمر دون أن يتحقق ذلك.. الأكثر خطورة أن مشروع الخطة الذى سيكون بمثابة الاستراتيجية العامة للدولة على مدى ٥ سنوات لم تقدمه الحكومة لمجلس الشعب حتى الآن. مما يعنى أن مناقشات الخطة لن تستغرق سوى شهر واحد «١٢ يوما» أى ٢٤ جلسة.. مع العلم أن الخطة الخمسية الجديدة ستتزامن مع الموازنة العامة الجديدة للدولة، وخطة عام ١٩٩٢/١٩٩٣.. وحسبما يقول د. الجنزورى: أن القضية ليست بهذا الحجم، **فالخطة لاتخرج عن بيانات رئيس الوزراء خاصة البيان الأخير،** ثم إن هناك فرصة على مدى العام الأول من الخطة لتغيير وتعديل أى شئ فى الخطة.. **فالخطة بكل مافيها ليست نهائية.**

وعلى الجانب الآخر يتوقع عدد من الخبراء الاقتصاديين أن الحكومة ستقع فى مأزق خلال الشهر الحالى «أبريل» فإذا لم تتقدم بمشروعى الخطة الخمسية الجديدة والموازنة العامة للعام المالى الجديد خلال النصف الأول من الشهر الحالى، **سيصبح كلاهما باطلا بحكم الدستور.**

ممنوع للقطاع العام

تشير مؤشرات الخطة الجديدة إلى إرتفاع أرقامها إلى نحو ١٤٦ مليار جنيه استثمارات بزيادة ٢٠٪ عن الخطة السابقة، **وتعتمد فى الأساس على القطاع الخاص فى تنفيذها وبنسبة تصل إلى أكثر من ٧٠٪.** والباقى استثمارات حكومية. وعندما بدأت الحكومة مناقشة الخطة تعالت أصوات المتحمسين لبرنامج الخصخصة، وطالبوا باستبعاد القطاع العام تماما من أى استثمارات جديدة بالخطة الجديدة، بل اتجهت النية الى وقف أى استثمارات بشركات القطاع العام خلال سنوات الخطة، على أن تبقى الشركات بوضعها الحالى، وتتجه الاستثمارات للقطاع الخاص، لتكون الشركات العامه فى



كمال الجنزورى

تشريع جديد يتيح ملكيه خاصة ١٠٠٪ فى الشركات العامة

مستهدف بناء مليون و٦٦ ألف وحدة سكنية منخفضة التكاليف ورغم ذلك الخطة لاتعطى سوى ٥٪ من اسكان الايواء.

وضع يسهل معه بيعها، ولتلافى أى زيادة فى قيمة أصول الشركات قد تعطل عملية البيع «الخصخصة».

وعندما اعترض البعض على هذا التوجه الذى تزعمه رئيس الوزراء ونائبه د. الجنزورى ود. عاطف عبيد ووزير السياحة فؤاد سلطان.. قالوا: إن أى استثمارات جديدة بالقطاع العام ستفسر أمام الهيئات المالية الدولية بأنها تراجع عن برنامج الاصلاح الاقتصادى الأمر الذى سيوقع الحكومة فى مأزق.

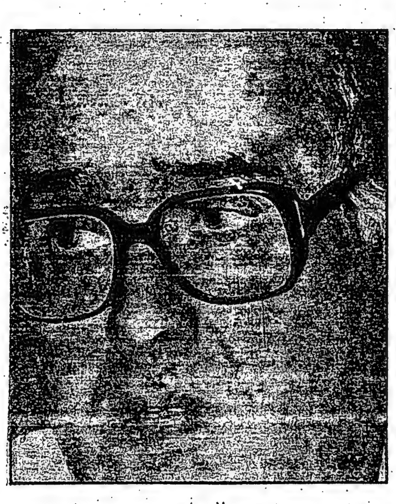
وبعد مناقشات طويلة إنتهى الأمر إلى **وقف أى استثمارات جديدة من جانب الحكومة بالقطاع العام،** على أن تقوم كل شركة قابضة بتحديد احتياجاتها الاستثمارية، ويتم تحويلها وتنفيذها عن طريقين الأول بحصيلة بيع بعض الوحدات والأصول التى سيتم الاستغناء عنها.. والطريق الثانى للتمويل هو القطاع الخاص، على أن يدخل كشريك فى المشروعات الجديدة.

تشريع جديد

وفى هذا الإطار تم التوصل إلى وضع مشروع قانون جديد انتهت منه الحكومة بالفعل وروجع من جانب مجلس الدولة.. يقضى هذا التشريع بتغيير نسب المشاركة فى الشركات المساهمة بين القطاع العام والقطاع الخاص. ويقر المشروع الجديد الذى سيعرض على مجلس الشعب قريبا. **بفتح نسبة مساهمة أو مشاركة القطاع الخاص فى شركات القطاع العام من١٪ إلى ١٠٠٪**، وبالتالى ستنخفض نسب الملكية العامة فى تلك الشركات.. كما يتيح المشروع الجديد **تملك المؤسسات والأفراد سواء مصريين أو عرب أو أجانب لتلك الشركات أو أسهم فيها.** وحسبما يقول مسئول وزارى: ان هذا لن يتم فى يوم وليلة، فالأمر سيحتاج لوقت طويل لتخطيط مستمر من جانب الحكومة. وستخضع الشركات المساهمة لهذا التشريع الجديد.. على أن يجرى تعديل آخر على قانون قطاع الأعمال العام ٢٠٣ لسنة ١٩٩١ **بفتح باب البيع لغير الشركات المساهمة مهما كان حجمها ونوع انتاجها.**

وفى هذا الأطار يقول **فؤاد عبد الوهاب** أمين عام شئون قطاع الأعمال العام **أن كل شئ متاح ومباح فى الفترة المقبلة.** فالخطة القادمة هى أول خطة فى ظل سياسة الخصخصة. ولذا فمن الضرورى أن تخرج ملائمة وكاستراتيجية واضحة للسياسة الإقتصادية الجديدة التى تعتمد على التحرر الكامل، والاعتماد على الاقتصاد الحر كأساس.

الغريب أن تحمس الحكومة تجاهل تماما كل ماتم خلال الخطط السابقة والتى تؤكد، طبقا لما تقوله تقارير المتابعه، **أن القطاع الخاص لم ينفذ سوى أقل من ثلث الاستثمارات التى كانت مسندة إليه،** مما دفع وزارة التخطيط كل عام لتعديل النسب، وإدخال القطاع العام والحكومى لتنفيذ الاستثمارات التى فشل القطاع الخاص فى تنفيذها.



مهندس محمد عبد الوهاب

٥٪ إسكان إيواء

يبدأ الجزء الخاص بالاسكان بالخطة الخمسية بأرقام ومؤشرات مفرطة فى الأمل، حيث تتوقع بناء ٢٠٠ ألف وحدة سكنية منخفضة التكاليف سنويا -- بل الرقم يرتفع فى سنوات الخطة كلها ليصل الاجمالى إلى مليون و٦٦ ألف و١٦٥ وحدة سكنية بل تقول أن الدولة تستهدف إنشاء نحو ٣٢ ألف وحدة لسكان القبور والعشش، علاوة على ٧٨ ألف وحدة لايواء الوحدات السكنية المشتركة. ثم تنتهى الأرقام مفاجآت بأن **خطة الدولة لاتكفى لتغطية سوى ٥٪ فقط من الاحتياجات السنوية لاسكان الإيواء..** وتستمر الحكومة فى خطتها الجديدة بنفس سياستها القديمة وهى التوسع فى إسكان التمليك.. **بل تشير المؤشرات الى أن مايسمى بالاسكان التعاونى فى طريقة للزوال!!**

التعليم والصحة

وعن قطاع التعليم تقول دراسات الخطة التعليم الجامعى ستزداد الرسوم عليه سنويا، حتى يصبح هناك توازن بين رسوم الجامعة المقترحة التى سيبدأ العمل بها خلال سنوات قليله، ورسوم التعليم الجامعى العام. وتؤكد أرقام الخطة الخمسية **أن مجانية التعليم ستقتصر فى غضون سنوات قليلة على المرحلة الأولى من التعليم الأساسى** مع فرض رسوم جديدة، وفى ذات الوقت ليس هناك قيود على التعليم الخاص.

وبخصوص قطاع الصحة فغير واضح تماما وكل مافيه أن الدولة مازالت تدعم الأدوية بنحو ٥٠٠ مليون جنيه.. ولكن ينتهى فصل الصحة بعبارة أن التأمين الصحى لكافة فئات الشعب إحدى أهداف الخطة لتلبية احتياجات العلاج، مع التوسع فى العلاج الاقتصادى فى كل المستشفيات العامه.. وفى الحالتين يعنى ذلك أن العلاج المجانى فى خبر كان.

ممنوع الاستثمارات الجديدة للقطاع العام

باقى ٣ شهور والحكومة فى مأزق دستورى

رسوم على التعليم الجامعى والمجانية للابتدائى فقط

العلاج الإقتصادي هو الحل والمجاني في خبر كان

الأسعار نار ولا عيد للفقراء

الكساد يغزو أسواق العتبة ووكالة البلح بعد أسواق وسط البلد

• سوق جديدة للأحذية المستعملة!

مصطفى الحفناوى

«فى النصف الثانى من رمضان يحضر الخليفة الفاطمى العزيز بالله إلى دار الفطرة ليشاهد مافيها من هدايا صنعت لتوزيعها على الناس فى عيد الفطر، وبعد أن ترص الفطرة- كالجبال- كما قال المقريزى، فى خططه- يبدأ الخليفة فى توزيعها على عريفى الطوائف فيقوم العريف بتوزيعها على أفراد الطائفة فيصبح كل صاحب حرفة لديه من الكعك مايكفيه..»

وجاء فى كتاب **وصف مصر** عن مايحدث فى الاعياد «أن الناس يفضلون أن يرفهوا عن أنفسهم فيرتدوا أجمل ملابسهم وتغص الشوارع بأناس إنغمسوا فى المرح»

هكذا وصف المقريزى وعلماء الحملة الفرنسية بعض «**طقوس العيد**» فى العصر الفاطمى والعصر الحديث

والآن:

أصبحت صينية الكعك تمثل مشكلة رئيسية لرب الأسرة بعد ارتفاع أسعار المسلى والدقيق، وأصبحت «**كسوة العيد**» معضلة لايستطيع رب الأسرة حلها وأصبح المثل الشعبى عن رمضان «**عشرة عرق، وعشرة خرق، وعشرة حلق**» فى خبر كان..

والسبب الإرتفاع الجنونى فى الأسعار.

ففى تقرير **لاتحاد البنوك السويسرى** عن عام ١٩٩١ جاء أن **القاهرة ضمن الـ ٣٥ مدينة الأولى فى معدل ارتفاع الأسعار.** فقد تم رفع سعر جوال الدقيق البلدى زنة ١٠٠ كيلو جرام إلى ٣٠ جنيها بدلا من ٢١٫٨ والدقيق الفاخر إلى ٨٠ جنيها للجوال وكيلو السكر إلى ١٦٠ قرشا والزيت الحر إلى ٢٣٠ قرشا وكيلو اللبن إلى ٢٢٥ قرشا وعلبة السمن زنة ٢ كيلو إلى ١٧ جنيها.

ويقول تقرير **للغرفة التجارية بالقاهرة** صدر أواخر عام ١٩٩١ أن أسعار الملابس شهدت ارتفاعا ملحوظا بسبب ارتفاع أسعار الغزول خلال السنوات الخمس الأخيرة. فالفستان الحريمى ارتفع سعره مابين ٨٨٪ و١٥٦٪ والقميص الرجالى زاد سعره بنسبة ١٨١٪ والبدلة الرجالى الشتوى بنسبة ٢٣٣٪ والبدلة الصيفى بنسبة ١٣٩٪ والبنطلون الجينز بنسبة ١٨٠٪ فماذا تصنع وزير مالية الأسرة «الزوجة» أو «رزاز الاسرة» الزوج.

لندن أرخص

مع ارتفاع أسعار الدقيق والسمن **يصبح شراء الكعك الجاهز بارقة أمل كما تقول «علية محمد»**. لكن سعره يتراوح بين ثمانية جنيهات و١٤ جنيها للكيلو الواحد وبحسبة بسيطة ستجد نفسها فى حاجة الى ٤٠ جنيها على الأقل لشراء ٥ كيلو جرامات.

ويقول **«حسن محمد»**. ارتفاع أسعار السمن والدقيق يوقعنى فى ورطة. وشراء الكعك الجاهز لا يحل المشكلة فأسعاره مرتفعه

وتقول ربة منزل: كانوا يقولون «الكعكة فى يد اليتيم عجبة» والآن أصبحنا جميعا لانستطيع اعداد الكعك وليس اليتيم وحده.

يرد صاحب محل بوسط البلد: لسنا مسئولين عن ارتفاع الأسعار فنحن نقدم منتج نهائى فإذا ارتفعت أسعار المواد الخام فلابد أن يتحمل الزبون هذا الارتفاع، ومهما كانت الأسعار مرتفعة فانها أرخص من إعداد الكعك فى المنزل.

ويقول سيد محمد «موظف» دائما يتحدثون عن مخاطر الإفراط فى أكل الكعك، ونحن لانجد مانشترى به الكعك أو غيره.

الطريف أن الجالية المصرية فى لندن بدأت منذ العام الماضى فى إعداد كعك العيد ومستلزماته وبيعه بأجر رمزى يبلغ ٥ جنيهات للعلبة. وبذلك يصبح سعر الكعك فى لندن أقل منه فى مصر!!

مشاهدين

فى جولة بشوارع وسط القاهرة وجدنا بائعين ومشاهدين.. «لامشترين» المشاهد



ينظر إلى الملابس والأسعار ثم يمد شفتيه ويمش.

بنظرة إلى أسعار الأحذية فى المحال المتوسطة نجد سعر الحذاء الرجالى يتراوح بين ٣٨ الى ٩٠ جنيها والحريمى من ٣٦ إلى ٨٠ جنيها والأطفال ١٦ جنيها، أما البنطلون الرجالى يتراوح سعره بين ٧٠ و١٢٥ جنيها والبدلة بين ٢٠٠ الى ٢٣٠ جنيها والقميص لايقل عن ٣٠ جنيها . أما البلوزة الحريمى فلاتقل عن ٥٤جنيها. والجيبة لاتقل عن ٥١ جنيها أما «التايير» فلايقل عن ٩٠ جنيها.

بسبب هذه الأسعار يجد رب الأسرة نفسه وقد تنازل مضطرا عن شراء أى شئ جديد له ثم تتنازل الزوجة وتبدأ محاولة الشراء للأولاد.

يقول بائع بمحل بوسط البلد أن أغلب المحلات والبوتيكات تعانى من انخفاض فى نسبة البيع مقارنة بنفس الفترة من العام الماضى تبلغ ٣٠٪ تقريبا.

ويقول ثان نحن نهتم بعرض ملابس الأطفال لثقتنا أن رب الأسرة يضع ملابسهم فى أول أولوياته ويحاول تلبية احتياجاتهم من ملابس البيع.

ويقول آخر: أن ملابس الأطفال تحتل المرتبة الأولى فى المبيعات ثم الحريمى ثم الرجالى.

جمعية

يقول محمد على مهندس: لا أعرف ماذا أشترى وماذا أترك «فالجمعية التى قبضتها» ٣٠٠ جنيه فقط فهل تكفى لشراء قمصان أو بنطلونات أو أحذية لى وللأولاد!

أما حسين محمد «موظف» فيقول «لدى ثلاثة أبناء فى مراحل التعليم المختلفة «والدروس الخصوصية مستمرة فمازلنا فى شهر مارس فماذا يتبقى من المرتب لكسوة العيد.

ويقول محمد أمين: مرتبى ٣٠٠ جنيه ولدى ٤ أولاد بالاضافة إلى زوجتى أى أن نصيب الفرد من المرتب ٥٠ جنيها شهريا للأكل والمواصلات والسكن وخلافة فماذا يتبقى لشراء الملابس بعد أن أصبح نصيب الفرد يوميا جنيه ونصف فقط!

أرخص.. ولكن

محلات العتبة والموسكى تنافس أسعارها أسعار وسط المدينة لكن البائعين الجالسين على الرصيف يبيعون أرخص فقميص الأطفال بـ ٨ر٥ جنيه والقميص الرجالى ١١ر٥جنية والبنطلون الرجالى بـ ٢٢ جنيها ويصر البائع أن يراه الزبون جيدا «يمكن يكون مستعمل»!!

يقول أصحاب محلات وسط البلد أن هذه البضائع مستعمله لكن البائعين يصرون على انها جديدة. وأن أصحاب محلات وسط البلد يحملون الزبون ثمن الديكور والكهرباء والعمالة.

يبقى أن نقول أن حالة الملابس «لاتسر» ولايمكن استخدامها أكثر من ٣ مرات!

نعم..استخدام الخارج

سوق آخر يعترف البائعون فيه بانهم يبيعون الملابس المستعملة «استخدام الخارج» وهو سوق وكالة البلح الذى تجد فيه كل أنواع الملابس

سوقا الموسكى ووكالة البلح بهما حركة

بيع وشراء أكثر من سوق وسط البلد لكنك لاتشعر أن العيد مقبل فالأقبال مازال ضعيفا.

يقول مصطفى أحمد بائع بوكالة البلح ان الملابس المباعة نحضرها بالات من بورسعيد، ويتم تحديد سعر البيع حسب حالة الزبون وحالة قطعة الملابس، فسعر القميص قد يصل الى ٥ جنيهات وسعر البلوزة الحريمى قد يصل الى ٨ جنيهات ورغم ذلك فمازال عدد المشترين قليلا، ففى مثل هذه الأيام من العام الماضى لم أكن استطيع أن أجلس معك

وعن المشترين يقول: انهم من كافة المهن والحرف والوظائف فالزبون الذى يدخل الوكالة لايعود إلى وسط البلد مرة أخرى.

ويقول أحمد «بائع ملابس»: ان البائعين يتفقون لتحديد سعر البيع حسب سعر الشراء والجمرك والنقل.

أما شريف حسنى «بائع» فيقول أن النساء هم الاكثر إقبالا على الشراء من الوكالة، وفى الأعياد نشاهد زبائن لأول مرة لكن حتى الآن السوق «مريح» رغم أن الزبون يمكنه شراء قميص بخمسة جنيهات «يتنزه» به فى العيد أما الفساتين الحريمى فتبدأ سعرها من ١٥ جنيها حتى ٤٠ جنيها.

ويقول عبد المنعم عبد المؤمن: بائع أحذية سعر الحذاء الحريمى هنا يصل إلى ٢٠ جنيها بينما لايقل ثمنه فى وسط البلد عن ٤٠ جنيها وسعر حذاء الأولاد ٢٣ جنيها أما حذاء الرجل فسعره ٣٠ جنيها.

ويضيف فى الماضى كنا نحجز مانحتاجه بالدور فى ورش صناعة الأحذية أما الآن فلا حجز بسبب الكساد، ونحن لانبيع أكثر من حذاءين فى اليوم، والزبون «يفاصل فى السعر» لأنه ليس معه.

أما عن الأحذية التى تباع فى سوق العتبة والموسكى- وهى أرخص سعرا- فيقول أنها أردأ أنواع الجلود ولاتلبس أكثر من أسبوعين.

ويقول بائع آخر: أمس بكت طفلة فى المحل لأنها تريد حذاء أبيضا للعيد بينما والدها يصر على شراء حذاء أسود يصلح لبسه فى المدرسة أيضا.

ويقول مجدى محمد: صاحب محل ارتفاع اسعار الأكل التهم المرتبات فمن أين للناس أن يشتروا باقى احتياجاتهم. **ويقول بائع آخر:** «السوق مريح جدا بسبب الغلاء.. الناس هتاكل ولاهتكسى العيال».

خلود طالبة بمعهد ل عال.. تقول انها «المرة الأولى التى تشترى فيها من وكالة البلح ولن تكون الأخيرة لأن الأسعار أرخص.

اما صديقتها إخلاص التى سمعت عن هذا السوق من بعض صديقاتها فى المعهد فتقول أريد «جيبة» طويلة وضيقة بشرط ألا يزيد السعر عن ٢٥ جنيها وهو سعر لايمكن أن أجده فى مكان آخر.

وتقول آمال موظفة: يوجد «تايير» سعره ٣٠ جنيها لكنى لن أشتريه لأن الأولوية لملابس الأولاد.

ويقول محمد سيد «موظف» لأننى أشترى لأولادى الثلاثة ملابسهم بالتبادل أى كل شهر قطعة ملابس لأحدهم فلن أشترى لأحدهم زيا كاملا جديدا ولكنى سأوازن بينهم وأشترى لكل منهمماينقصه. **أما خليل سيد «سباك»** فيقول أشترى لأولادى من وكالة البلح لأن مصروفات الدراسة التهمت كل المدخرات.

ويقول أحد المشترين أتحدى أى وزير مالية فى العالم أن يضع ميزانية لأسرتى مع





الارتفاع الحالى والمستمر فى الاسعار فمرتبى ٢٠٠ جنيه ولدى زوجة وطفلان فكيف نسكن ونأكل ونتنقل لأعمالنا بهذا المبلغ البسيط.. ثم بعد ذلك علينا أن نشترى ملابس للأولاد فى العيد!

حتى الأحذية.. مستعملة

بعد سوق الملابس المستعملة.. يوجد سوف الأحذية المستعملة بمنطقة .. القلاية بالقاهرة ويتراوح سعر الحذاء الرجالى بين ٦ جنيهات وثمانية جنيهات وليس للنساء فيه نصيب.

يقول أحد البائعين نشترى هذه الأحذية من الفحامين من بائعى «الروبابيكيا» ثم نصلحها وندهنها بالورنيش ونبيعها.

ويقول محمد.. بائع على الرصيف بنفس السوق ان معظم المشترين من الصناع أو العاملين فى طائفة المعمار ولاتوجد أحذية حريمى أو أطفال، فالرجل الذى عنده طفل لن «يكسر نفسه» ويشترى له «جزمة مستعملة»

فى كل الأسواق كساد.. والأسعار نار ويبدو أنه لاعيد للفقراء.

بالأمس كتب علماء الحملة الفرنسية فى وصف مصر عن الطبقات الشعبية وكانهم يتحدثون عن اليوم «**خزينه ملابسهم لاتحوى على أكثر من ثلاث أو أربع قطع من الملابس لاتتغير إلا عندما تصبح مهلهلة الأطراف، فالفلاحون** رجالا ونساء يذهبون الى حقولهم **شبه عارين أما عمال الطبقات الدنيا وكذلك جمهرة سكان المدن فيسترون أجسامهم بالكاد ببعض الهلاهيل»**

نعم ببعض الهلاهيل.. ولاعيد للفقراء.



سوق النخاسة

بيع العرض والعرق.. في بلاد العرض والطلب!

مصباح قطب

طالما كان قانون العرض والطلب سائدا، فأن كل شئ مباح، من أول توظيف الإنسان، إلى توظيف الأوطان. هذا هو القانون الذى أكدته وتؤكده آلاف الوقائع كل يوم على امتداد الحياة، بطولها وعرضها وعمقها، إن جاز أن للحياة عمقا، فى ظل ميكانيزم السوق!.

ولقد جاءت واقعة الكشف الأخيرة، عن **شبكة للدعارة** تتزعمها مصريات وعربيات، لتزيح الستار عن أقبح مافى الوجه الآخر لعملة السوق.. وجه توظيف العرض والعرق لخدمة السادة.. الدافعين والدافعات!.

وتشير قضية الشبكة، ومالرتبط بها من ملابسات فى المتابعة والتحرى والضبط والإعلام، إلى عدة دلالات هامة، تعكس تطور مثل هذا النوع من الجرائم، وتطور الأرضية التى تجرى عليها:

– فلأول مرة يعلن عن تورط **أمراء سعوديين** فى عمليات شبكة بغاء.

– ولأول مرة توجد شبكة لها مثل هذه القيادة الجماعية العربية (تزعمت الشبكة **مصرية ومغربية وتونسية وعراقية**)، لأول مرة يصل عدد المعروضات على المحكمة، وهى هنا جنح آداب القاهرة، التى تحاكم الشبكة أمامها، إلى مثل هذا الرقم: ٣٧ متهما ومتهمة، عدا ١٨ فتاة مطلوب القبض عليهن من جنسيات مختلفة.

– رغم ضيق الفاصل بين العرض على النيابة والإحالة إلى المحكمة، حيث لم يتجاوز ١٠ أيام، فأن النائب العام، كما قال لى علاء نور الدين، مدير نيابة الآداب، والمشرف على التحقيقات، حظر النشر، بسبب المشاكل التى نجمت عن الإعلام عن ضبط الشبكة. ومن المرجع أن تكون المشاكل ذات طابع عربى، وقد ربطت بعض المصادر بين المتورطين فى الشبكة من بلد عربى معين، وبين الهجوم الذى شنته صحيفة كويتية على مصر، فجأة، فى الأسبوع الثانى من مارس. أكثر من هذا فقد ترددت أقوال بعضها منشور («الشعب» عدد ١٠ مارس) تشير إلى وجود بعد أمنى استخباراتى فى القضية!

– تأكدت فى القضية «تيمة» عرب+ **فنانات درجة ثالثة**، التى شاعت فى قضايا الدعارة منذ السبعينات وحتى الآن، وبطبيعة الحال. فان الفترة السابقة كانت قد شهدت عمليات توظيف سياسى للمسائل «النسوانية»!!، وإن ظلت فى إطار أمنى مرسوم، ولم تكن انعكاسا لتدهور قيمى فى المجتمع، كما هو الحادث فى الوقت الراهن.

الشبكات تصطاد ماذا؟

وتستدعى قضية شبكة الدعارة، قضية الشبكات، بشكل عام، ونقدم لقراء اليسار هنا، احصاءات مفزعة، عن تطور شبكات الدعارة فى مصر، من ١٩٧٠ الى ١٩٨٥، وهى ملغمة بالدلالات الأشمل والأعم.. فقد تبين فى دراسة سوسيولوجية، انتهت منذ شهور، ارتفاع نسبة المضبوطات، فى شبكة، (فترة الدراسة) إلى ٦٢٫٣٪، بينما ضبطت الباقيات، بمفردهن، وهذه النسبة، عكس السائد قبل ذلك تقريبا.

– ومن فحص محاضر ضبط الشبكات ظهر أن نسبة الزعماء من الإناث كانت ٦٤٫٦٪، والباقى للرجال.

– وثبت بالمحاضر أن نسبة ٤٥٫٨٪ من الشبكات، كان بها أقارب من درجات مختلفة للزعيم، أو الزعيمة.

– وأظهرت نتائج الدراسة ان **الزواج بعربى، سواء كان بعقد موثق أم عرفى، كان أول سلم الصعود إلى هاوية البغاء بالنسبة للفتاة..**

–وأكدت الدراسة ان هناك مناطق معروفة، بها سماسرة ودلالات لمثل هذا النوع من الزواج، وأن الراغبين (الأسر) تسجل

لديهم فى قوائم انتظار مواصفات بناتهن، حتى يهيئ لهن السماسرة الزوج المناسب.. والمضحك المبكى أن الدراسة تشير إلى أن السماسرة يسعون لئلا تطول مدة الزواج، حتى يعيدوا الكرة، أو يتلقفوا الفتاة، بعد عودتها، ليدفعوا بها الى شبكات الدعارة!!.

– وتقدم الدراسة، وبتعبير الباحث نفسه (الاستاذ عادل الكردوسى) وصفا لكيفية عمل آليات العرض والطلب فى هذا المجال، ويذكر ان من نماذج الأسعار التى صادفها: ١٠٠-٣٥٠ جنيه لـ «الشورت تايم»! و٥٠٠-١٠٠٠ دولار «اللونج تايم»!، ومن ٣٠٠ إلى ٨٠٠ جنيه «للبياتة»! ويؤكد الباحث أن الأسعار تفوق ذلك بكثير احيانا، طبقا للصنف والوقت ونوع العميل ومركز الشبكة وطبيعة المكان !!

– ووجد الباحث ان نسبة من الشبكات (بلغت ٨٪ فى المسح الشامل الذى أجراه، و٧ر١٠٪ فى بحث العينة) كان كل أفرادها غير مصريين، بما فى ذلك القوادون!

– وفى تحليل المضمون اكتشف الباحث أن ٣ر٩١٪ من العملاء كانوا عربا!!، وذكر جملة اسباب لذلك من بينها الأمان ورخص الأسعار!

–وأظهر المسح بالعينة ان ٦ر٥٣٪ من البغايا يعتزمن العودة للعمل، بعد انقضاء فترة السجن (سجن القناطر)، وعللت البغايا ذلك بأسباب، أغربها أنهن فى فترة المراقبة والتردد على القسم، لايستطعن أن يرفضن المواقعة، لوطلبهن أى مسئول!!

– ويصل البحث بعد ذلك إلى أخطر نتائجه على الإطلاق.. فقد ظهر من خلال المسح الشامل أن ٧ر٥٤٪ من البغايا حاملات للمؤهلات المتوسطة والجامعية ، وفى مسح العينة كانت النسبة ٢ر٥٧٪. وكانت نسبة الأميات ٧ر١٨و ٩ر١٧٪ فى الحالتين. ويؤكد الباحث ان نسبة الأميات، فى المسح الذى أجراه المركز القومى للبحوث الاجتماعية، على مشارف الستينات، كانت ٤ر٧٩٪، ولم تكن هنالك جامعيات ولاحاملات مؤهلات متوسطة فى مثل تلك الجرائم وقتها.

وثمة خلاف آخر، فقد كانت مهن البغايا تتراوح بين الخدمة المنزلية والتمريض والحياكة والأعمال الكتابية، وفى البحث الجديد يقول [illegible] كل المهن ممثلة فى الجريمة: الطب [illegible] والهندسة والتدريس.. الضباط والطلبة!! فى المسح القديم أيضا كان القوادون من سائقى التاكسى والقهوجية والترجمانات... إلخ، والآن فإن أغلبهم من المتعلمين والجامعيين.

– ويذكر البحث أن جريمة البغاء وصلت الذروة فى الفترة من ٧٣ إلى ١٩٧٨، حيث بلغت ٤ لكل ١٠٠ ألف من السكان، ثم انخفضت إلى ٦ر١ لكل ١٠٠ ألف عام ١٩٨٦، ويرجع الباحث الانخفاض فى جزء منه إلى تطور المهنة وتطور آليات الممارسة والتمويه، وإلى دخول مستويات جديدة إليها.

هذه هى بعض نتائج الرسالة العلمية التى قام صاحبها بتحليل احصاءات البغاء بالادارة العامة لمكافحة الآداب ومصلحة السجون، كما قام بتحليل مضمون لبعض محاضر الشبكات ، ومسح شامل للبغايا بسجن القناطر، بالإضافة إلى مسح بالعينة على ٢٨ بغيا، ودراسة «حالة» لعدد من الزعماء والزعيمات والمعاونين والمعاونات...

وقبل النتائج الخطيرة فإن الدراسة تبين بلا شك ان تطور المجتمع المدنى فى مصر يسبق بكثير التطور فى أى من البلاد العربية، والدليل على ذلك هو اجراء مثل هذه الدراسات، بمثل تلك المكاشفات. كما تبين الدراسة أيضا أن نسبة البغايا الى اجمالى السكان لاتقارن. وهذا بديهى.. فمصر بلد العفة.. لكنها، ومن استقراء الدراسة كذلك -لن تظل هكذا للأبد.. فمصر ليست شيئا واحدا.. وليست محصنة للأبد، رغم كل مايجرى عليها وبها من إعادة هيكلة وخصخصة وافقار وامتهان وإثراء فاحش على حساب الأغلبية، وإعلاء لقيمة المال فوق جميع القيم كما يؤكد عادل الكردوسى. وهو الآن بصدد إعداد رسالة دكتوراه تحت اشراف د. احمد المجذوب حول ذات القضية.

الآداب القومجية

غير أن دلالات الرسالة السابقة، ليست كل شئ، فهناك الرؤية الأوسع، وتتمثل فى احصاءات جرائم الآداب على المستوى القومى. اذ تنقسم قضايا الآداب العامة الى قضايا ادارة محال للبغاء، والاتجار بالبغاء واستغلاله، وممارسة البغاء عادة، والاتجار بالبغاء داخل البلاد وخارجها، إلى جانب التحريض على الفسق والفجور وادارة بيوت القمار وترويج المطبوعات الفاضحة وخلافه.. وقد بلغت جملة القضايا فى هذا المجال مايفوق الـ ٤٥ ألف قضية عام ١٩٩٠، منها أكثر من مئة لكل من النوعين: الأول والثانى ، ونحو ٧٠٠ للنوع الثالث، ونحو ١٥ قضية للاتجار به داخل البلاد وخارجها. جدير بالذكر ان نسبة المضبوط فى بيوت البغاء بمحافظتى القاهرة والاسكندرية تتراوح منذ سنوات، عند (٥٠٪) من جملة القضايا المضبوطة.

مفردات أخرى عن المكتوب والمقدر

ولاتكشف الاحصاءات، سواء الدراسية، أو القومية- بطبيعة الحال- الكثير ، عن الجوانب التى تثير فضول الرأى العام، مثل: من كانت تلك الشخصية، ومن هى السيدة التى...؟ وليست تلك أيضا قضيتنا فى اليسار، غير أنه لابد أن أشيرهنا إلى قول منقول عن لواء شرطة سابق كان يعمل بالآداب لفترة، حيث قال مؤخرا:

– إنه لو لم يكن قد تزوج قبل هذا العمل (والحب) لما تزوج أبدا.. لأن ماراّه فى العمل، من انحلال تشارك فيه سيدات على مستويات عالية، جعله يفقد الثقة فى كل شئ.. وفى كل النساء!. وقال ضابط آخر يعمل بالمرور حاليا- منقولا من الاداب- ان وزيرا للداخلية تدخل بنفسه لوقف اتخاذ اجراءات ضد سيدة كانت تقوم بتسفير الطلبات (النسوانية طبعا) الى افراد فى أسرة حاكمة عربية، واعادتهن فى اليوم نفسه، مقابل عشرات الآلاف من الدولارات.. والسيدة ضبطت فيما بعد فى قضية معروفة.

ويقول المحامى **محمد عبد الغفار ابو طالب** صاحب التجارب فى مجال قضايا الاداب: إن أغلب المتهمين ينفقون جل مايتحصلون عليه فى المظاهر. غير انه قال إن التطورات الأخيرة فى المهنة تشير إلى وجود «مستويات» تختار بكامل إرادتها الانخراط فى عمليات الدعارة، كوسيلة لتحقيق التراكم المالى، الذى يعقبه «غسل» الأموال، فى استثمارات متعددة!!. وقال المحامى: إن القانون الحالى لمكافحة الدعارة (١٠ لسنة ١٩٦١) غير دستورى، لانه لم يستوف الأجراءات المقررة فى اصداره، فضلا عن انه غير كاف من الناحية العقابية، وطالب المحامى النيابات المختلفة، بحسن مراقبة اذون المراقبة والضبط الممنوحة لضباط الشرطة، بعد ان ثبت أن بعض عمليات التصنت كانت تبدأ قبل الحصول على الاذن !!، وأن قضايا كثيرة يحكم فيها بالبراءة بسبب الطعن على سلامة الاجراءات.

تأجيل قضية شبكة الاداب إلى ٢٤ مارس الحالى

الدفاع يطعن فى إجراءات الضبط لعدم وجود حالات تلبس

كتبت - إيمان خضير وعبدالغفار رشدى :

فى جلسة عاصفة استمرت ٦ ساعات بدات أمس محكمة جنح اداب القاهرة برئاسة زكريا عبدالعزيز نظر قضية الاداب التى تضم ٣٧ متهما ومتهمة بالاضافة لـ١٨ فتاة مطلوب القبض عليهن من جنسيات مختلفة

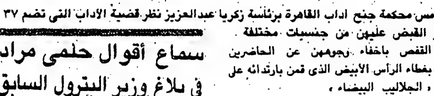
وقد قرر رئيس المحكمة فى البداية أن تكون الجلسة سرية نظرا للتزاحم الشديد من قبل الجمهور واهالى المتهمين والمحامين واصرارهم على متابعة القضية . كما تحرش اهالى المتهمات بالصحفيين الموجودين بالمحكمة وحاولوا الاعتداء عليهم ومنعهم من الدخول إلى القاعة لمتابعة وقائع الجلسة الا أن رئيس المحكمة قرر السماح للصحفيين بالحضور مع الالتزام بعدم تصوير المتهمات .

وقد قامت المتهمات لدى ظهورهن فى القفص باخفاء وجوههن عن الحاضرين بغطاء الرأس الابيض الذى قمن بارتدائه على « الجلاليب البيضاء » .

وقد دفع المحامون فى القضية ببطلان قرار احالة المتهمات للمحاكمة لان القضية ليس بها الا واقعة واحدة محل نظر والتى حدثت فى مدينة نصر . كما ان المتهمات قبض عليهن فى منازلهن ولا توجد حالة تلبس واحدة تؤخذ قرينة ضدهن بالاضافة إلى عدم وجود شهود لتحقق الادانة .

كما طعن الدفاع فى قرار النيابة بتكليف يوسف عبدالله خبير الاصوات بالاذاعة لسماع الشرائط المسجلة وكتابة تقرير عنها حيث انه غير حاصل على شهادة الليسانس أو البكالوريوس من احدى الجامعات المصرية مما سيترتب عليه الدفع ببطلان ما سوف يقدمه الخبير من تقارير توضع بملف القضية . فهو يفتقد ابرز شروط الخبير الاذاعى . ثم طلب الدفاع استبعاد القضية من « الرول » لعدم وجود الادلة الكافية واخيرا طلب الدفاع الافراج عن المحبوسين على ذمة القضية وعددهم ٢٥ سيدة و ٤ رجال .

وفى نهاية الجلسة قررت المحكمة تاجيل



سماع أقوال حلمى مراد فى بلاغ وزير البترول السابق

استدعى المستشار محمد فهمى المحامى العام بمكتب النائب العام ، الدكتور محمد حلمى مراد لسماع اقواله يوم السبت القادم فى البلاغ المقدم من الكيميائى عبدالهادى قنديل وزير البترول السابق ضد محمد طالب زارع خبير البترول وكاتب المقالات بجريدة الشعب التى اعتبرها الوزير السابق تمثل فى حقه جريمة القذف والسب .



محكمة أمن الدولة العليا تنظر اليوم قضية المحجوب

تواصل اليوم محكمة امن الدولة العليا طوارىء نظر قضية اغتيال الدكتور رفعت المحجوب رئيس مجلس الشعب السابق حيث تستمع المحكمة إلى عدد من شهود الاثبات فى القضية .

كانت المحكمة برياسة المستشار وحيد محمود ابراهيم قد استمعت على مدى ٥ جلسات لعدد من شهود الاثبات الذين شاهدوا الحادث كما استمعت المحكمة إلى اثنين من ضباط المباحث من بينهم النقيب حاتم حمدى لطيف الذى كان مرافقاً للمرحوم

شيك بعشرة الاف ياسيد.

وتشكل جرائم تزويج الفتيات الصغيرات بالعرب العواجيز، سعيا وراء الأموال، وهروبا من الفقر، الوجه الآخر لجريمة البغاء. وقد تطور الاثنان معا، منذ السبعينات، وبالتوازى. وأشارت رسالة الماجستير المنوه اليها، إلى علاقة هذا الزواج، حتى مع مشروعيته الشكلية، بجرائم البغاء. وفيما يلى لقطة أخرى توضح شكلية اهتمام الحكومة المصرية، بوقف هذه المهزلة..

توجهت إلى الشهر العقارى بشارع رمسيس وسألت موظف الاستعلامات: اين مكتب توثيق الزواج بغير المصريين؟

قال: هوه فارق السن قد إيه؟

قلت: كبير شوية

قال: والزوج سعودى؟

قلت:نعم

قال: اذهب الى الطابق الثالث، للأستاذ فلان. سألت الأستاذ عن الاجراءات المطلوبة فقال لى: الزوج سعودى قلت: نعم -وفارق السن قلت خمسين عاما -والبنت؟ قلت: صغيرة شوية.. بس بالغ!

فقال لى وهو يكتب بخط يده على ورقة بيضاء فى الوقت نفسه: مطلوب صورة جواز السفر وشهادة من السفارة موثقة من الخارجية وصورة، بالنسبة للزوج.. أما الزوجة فمطلوب منها شهادة الميلاد وصورة البطاقة شخصية وصورة ، ويكتب طلب باسم السيد الأستاذ رئيس قطاع الشهر العقارى للاستثناء من قيد فارق السن، وقال الموظف ان الطلب سيعرض على وزير العدل شخصيا، وان الاجراءات ستنتهى فى ظرف ١٥-٢٠ يوما.

ولأننى أعلم أن القانون لايجيز ان يتعدى الفارق ٢٥ عاما، سألت الموظف: وممكن البيه الوزير يرفض؟

- قال:جايز

قلت بحزن: خسارة.

قال: لكن ممكن لو الزوج اودع باسم البنت عشرة الاف جنيه، وتجيب صورة الشيك أو دفتر البريد، السيد الوزير يوافق.. واخيرا قال ان شهر العقد يتم فى حضور الزوج والزوجة ووالدها أو وكيلها، وبعد ذلك على بركة الله يمكنهما ان يسافرا.

والسؤال: هل يكفى الحل البيروقراطى- حل موافقة السيد الوزير- لمواجهة هذه الكارثة؟ لقد ذكر د. محمد أبو مندور انه التقى بطفلة فى قرية العزيزية بالجيزة، قالت إن كل أمنياتها ان تتزوج بواحد سعودى كبير، لتساعد أبيها المنكوب بالفقر وكثرة العيال.. فهل نظر أحد إلى الفقر أولا قبل ان ينظر إلى الروتين؟! (راجع عدد اليسار الثالث- باب ديموقراط وارستوقراط- ودور الوسطاء والمزورين فى هذه الزيجات)

المضيفة.. وثمن الدائم

وبشاء القدر، ان يجئ الكشف عن شبكة الدعارة، فى نفس الوقت الذى نشر فيه الأستاذ سلامة أحمد سلامة مدير تحرير الأهرام، خطابا على ثلاثة أيام، لفتاة مصرية، قالت إنها عملت كمضيفة، بعقد مؤقت، مع وعد بادامته، على الخطوط ... فى موسم الحج الماضى، وأكدت أن الشركة ميزت بين المصريات وغيرهن فى كافة الامتيازات، وفى النهاية ابقت الشركة على ١٨ مصرية فقط من بين ٤٥٠ فتاة، والمحت الى أن بعضهن دفعن ثمنا غاليا، فهمنا بلا حداقة أنه شرفهن.

وقد كان الاستاذ سلامة أمينا فى تعقيبه على الرسالة وهو يشير إلى أن التمييز يبدأ من مصر، من هناو حيث أصبحت فرصة العمل، محجوزة فقط، للأقارب والمسنودين وطالب الدولة ووزارة القوى العاملة بالتدخل لمنع المهازل داخليا وخارجيا. وبالرجوع الى وزارة القوى العاملة والاستاذ **احمد العماوى** رئيس اتحاد عمال مصر، عرفت أن القضية التى نشرها الأهرام لم تناقش ، وأن الجميع راض عن مستوى ماتقوم به الجهات المعنية من متابعة ورقابة، وقال الاستاذ **العماوى** لماذا لم تتقدم الشاكية بشكواها إلى نقابة العاملين بالنقل الجوى؟و اضاف: وإن فرص العمل عرض وطلب، (نفس القول فى الوزارة). والمصريون هم الذين يرخصون انفسهم بتزاحمهم. وأكد على أن كل من لديه شكوى عليه ان يبحث بها للجهات المعنية، وقال فى نفس الوقت ان اللجوء إلى منظمات العمل العربية والدولية صعب ومحرج بالنسبة لمشاكل العمالة المصرية، وبالذات مع بعض الدول العربية التى تعتبر العمل النقابى كفرا!

وفى منظمة العمل العربية، علمت ان اتحاد عمال مصر، واتحاد عمال اليمن، سحبا منذ فترة، شكوتين، كانتا مقدمتين حول مشاكل لعماليهما، فى دولة معينة.. وان الاتحادين فضلا الحلول الودية على الحلول الرسمية!!

وببساطة، قال مسئولون كثيرون ان فتيات الدول العربية اللواتى حصلن على عقود دائمة- حسبما ورد فى شكوى الفتاة بالأهرام- حصلن على هذا الامتياز.. لأنه «مفيش مانع» عندهن من الـ «كذا» إذا كان هو الطريق الى العقد الدائم!! ياحليم.. ياستار.. يارب!!.

وصورة مقاس صغير من بلاد الزبائن

يشكل «الزبائن» السعوديون نسبة عالية من الزبائن العرب، المتعاملين مع شبكات الدعارة، ويشاء الحظ أن تتسرب في الأسابيع الأخيرة، وثيقة خطيرة، تكشف الى أي حد أصبح الانفصام ضاريا في هيكل قطاعات واسعة من النخبة السعودية. تشير الوثيقة إلى حصول أحد رجال الدين الرسميين على صك براءة يعد الأول من نوعه في المملكة، إذ يتضمن تنازلا متبادلا بين المدعي والمدعى عليه في قضية لايمكن تصور قيام مثل هذا التنازل فيها، وفي المملكة السعودية بالذات.

وتؤكد المصادر السعودية ان الشيخ كان قد اتهم بالاختلاء بغلام، ابوه فلسطيني الجنسية، كما تذكر المصادر ان التحقيقات الأولية وتحاليل الطب الشرعي أثبتت واقعة اللواط.. وازاء مكانة الشيخ العلمية، والضغوط التي مورست على والد الصبي، فإن التحقيقات انحرفت عن مسارها، ولكن بعد أن ثبت فيها ان الشيخ حرر شيكا للصبي بمائة ألف ريال، ومعلوم طبعا السبب، بالرغم من أن الشيخ قال في التحقيقات انه حرر الشيك من باب الصدقة..! تلى ذلك عقد صك البراءة، وقد أقر فيه الطرفان بالتنازل عن كافة حقوقهما المادية والمعنوية، من أي نوع، تجاه كل منهما الآخر، وقال المدعي مع ذلك انه يبرئ المدعى عليه مما اتهمه به (ولم يذكر ماهو؟). الغريب بعد كل ذلك ان الشيخ من أصحاب «الصيت» في مسائل وضع ضوابط الصحوة الإسلامية، وضرورة الاعتراف بالتقصير وتجديد التوبة، وتقديم النصح المفيد للشبان والشابات، وتنبيه «الغافلين والغافلات في الدنيا المليئة بالفتن والانحلال».

فهل يصبح مستغربا بعد ذلك أن يشارك مثل هؤلاء في تطوير الطلب على شبكات الدعارة، وفي دفع العاملات المؤقتات إلى دفع ثمن باهظ، لقاء تمديد عقودهن؟!



المملكة العربية السعودية
وزارة العدل
الصكوك الصادرة من المحاكم الشرعية

العرب

حوار مع "عبد الله النيبارى"

هكذا يفكر "القوميون" الكويتيون بعد الكارثة:

«التعلل بالحل العربي كان موافقة ضمنية على استمرار احتلال الكويت»

يكتسب الحديث مع «عبد الله النيبارى» أهمية خاصة، من أكثر من زاوية «فالنيبارى» هو قطب بارز فى المعارضة الكويتية التقدمية، وتم إنتخابة مؤخرا أمينا عاما بالأجماع «للمنبر الديمقراطى»، الذى يعد الإطار التنظيمى للمعارضة اليسارية فى الكويت. وجاء ذلك تقديرا لنضاله السياسى والبرلمانى الممتد منذ الستينات. فقد بدأ «النيبارى» نشاطه السياسى عضوا بحركة القوميين العرب وهو طالب للسياسة والأقتصاد بالجامعة الأمريكية بالقاهرة، ثم واصل نشاطه وسط صفوف الحركة فى الكويت بعد إنتهاء دراسته فى مصر، كما انتخب لدروتين متتاليتين نائبا فى مجلس الأمة الكويتى فى أعوام ٧١ و٧٥ . كما أن «النيبارى» هو واحد من قيادات المعارضة الكويتية القلائل الذين رفضوا مغادرة الكويت أثناء الغزو العراقى، وشاركوا فى مقاومته. والحديث التالى مع«عبد الله النيبارى» هو نموذج للأفكار التى أفرزتها التجربة القاسية للمغامرة العراقية على المواطنين فى الخليج. ولأن «النيبارى» ليس مواطنا عاديا بل واحدا من النخبة السياسية ذات التوجهات القومية والعروبية، فان اراءه الواردة فى الحديث سوف تفتح الباب للتساؤل: إذا كانت النخبة الكويتية تفكر هكذا، فما بالنا بالجماهير؟

وتعود أهمية هذا الحديث إلى أنه يقدم صورة صافية للذهنية التى تسود الخليج الآن، وفهم هذه الذهنية هو الخطوة الأولى لكيفية التعامل معها، وإزالة الآثار المدمرة التى لحقت بها.



أمينة النقاش

ميزان القوى

قلت «لعبد الله النيبارى»

*** وقع الغزو العراقى، وهناك أزمة بين الحكومة والمعارضة، فهل يمكن القول أن تغييرا قد حدث فى علاقة الحكم بالمعارضة، على ضوء ما أفرزته محنة الأحتلال؟**

– لابد من الأعتراف بأن كارثة غزو العراق للكويت قد خلفت آثارا عميقة جدا فى النفسية الكويتية، وخاصة فيما يتعلق بالموقف من العروبة والقضايا القومية. وأثناء الغزو كان هناك شعور عميق بخيبة **الأمل تجاه الدولة التى سقطت بعد ساعات منه دون مقاومة.** وفيما عدا المبادرات الفردية لبعض الضباط لم يوجد أى إجراء ينم عن إستعداد للدفاع عن الكويت من قبل الغزو. أما الفاجعة الأخرى التى **تضاف إلى فاجعة الغزو فهى نزوح الحكومة**، وتركها الناس لشأنهم يتصرفون بدون أدنى تعليمات، فأخذ الناس على عاتقهم إدارة شئونهم بأنفسهم. ولقد أصبح ذلك موقفا إنتقاديا صريحا ضد الحكومة، تمثل فى **إعتقاد الناس أن هؤلاء الحكام لن يعودوا أبدا إلى مواقفهم**، أو فى أقل تقدير يقدمون للمحاكمة.

أما الجانب الهام الذى أفرزته هذه المحنة، فهو الصمود والمقاومة والتماسك وعدم الأنصياع لأوامر الأحتلال، التى واجه بها من بقى من الكويتين فى الداخل الغزو العراقى. وبرغم أنها مقاومة رمزية إلا أن الناس دفعوا ثمنا غاليا لها من السجن والتشريد والتعذيب وحتى القتل. ولم يكن بوسع أحد أن يتصور أن المقاومة الكويتية، قادرة على إزاحة الأحتلال، ولكنها كانت تعبيرا حيا عن التمسك بالوطن، وكان من نتائجها الهامة تكوين روح جديدة لدى الكويتيين منحتهم نوعا من الثقة بالنفس، وفتحت لهم الطريق لأعادة إكتشاف ذواتهم. **وإذا كان البعض يأخذ على الكويتيين أنهم كانوا يتصرفون فى الخارج بشكل لايتناسب مع وضع شعب بلده محتل، فلقد كانت الصورة فى الداخل عكس ذلك تماما.** فالكل كان مستعدا لعمل أى شئ دون تأفف أو مكابرة لتوفير سبل الأعاشة، من توزيع التموين وتجميع القمامة وتنظيم المستشفيات وعمليات الأسعاف وتكفين الموتى ودفنهم. وبرغم الفظائع التى كان يرتكبها الأحتلال العراقى، فلقد تحلى الكويتيون بالشجاعة فى مواجهتها، وتمسك الشعب الكويتى بالبقاء **داخل البلاد، ورفضوا الأنصياع لأوامر قوات الأحتلال.** وكان من الطبيعى أن يخلق كل هذا أوضاعا جديدة تكرس الأيمان بأنه بعد



التحرير لايمكن ولايجوز أن تعود الأحوال إلى ماكانت عليه فى السابق.

وكان لدى الناس ثقة ويقين بأن الحكومة قد تلقت الدرس، وأنها سوف تجرى بعد التحرير الأصلاحات والتغييرات التى تتلاءم مع المطالب الشعبية، وإذا ظهر من يحذر من الأفراط فى التفاؤل، لم يكن الناس من كثرة يقينهم يصدقونه.

غطاء كويتى

*** كيف عبرت المعارضة الكويتية عن هذا المناخ الجديد فى مؤتمر جدة؟؟**

– مؤتمر جدة إنعقد أثناء الأحتلال العراقى للكويت، ومثلت فيه مختلف القطاعات السياسية من حكومة ومعارضة. والشئ المؤكد أنه لم يكن لهذا المؤتمر أى قيمة لولامشاركة المعارضة. فالتحالف الدولى الذى كان يستعد لخوض الحرب، كان يحتاج إلى ورقة مساندة كويتية تؤكد أن قضية الكويت ليست مسألة إعادة أسرة حاكمة إلى العرش، بل هى قضية تحرير شعب، وقد حقق مؤتمر جدة هذا الهدف، حين ضم كل القوى السياسية وعلى رأسها المعارضة، وهى القوى الأساسية المطالبة بالتطوير والتغيير والأصلاح الديمقراطى القائم على إعادة العمل بالدستور الذى علق فى عام ١٩٨٦. وفى هذا المؤتمر تعهدت الحكومة بأعادة العمل بدستور ١٩٦٢ وإعادة النظام البرلمانى والحياة الديمقراطية بعد التحرير. كما شهد مؤتمر جدة إنتقادا لأدارة الحكومة الكويتية للأزمة فى الخارج بما فى ذلك [illegible] القوى الدولية، بما أنتهى بأخذ قرار بمشاركة المعارضة فى إدارة الأزمة، وعدم قصرها على الأسرة الحاكمة. وماتم الأتفاق عليه فى مؤتمر جدة، كان تأكيدا على مطالب المعارضة التى كانت مطروحة فى الكويت قبل الغزو العراقى.

*** قبل الغزو مباشرة، جرى حوار بين الحكم والمعارضة، فما هى ملابسات هذا الحوار وماالذى أسفر عنه؟**

– لهذا الحوار قصة طويلة. فقبل الأزمة مباشرة، كانت القوى الشعبية فى الكويت تخوض معركة من أجل إعادة الديمقراطية، فقامت المظاهرات، وعقدت اللقاءات والتجمعات الشعبية ، وقدمت العرائض الجماعية، مما أجبر السلطة على التعديل من تصلب موقفها، والظهور بمظهر المتجاوب مع المطالب الشعبية فدعت للتحاور حولها. ولأن النفسية الكويتية لاتقبل بالتصعيد أو المجابهة، فمن الصعب على القوى السياسية الكويتية، إذا ماطرحت الحكومة فكرة التحاور والتفاوض أن ترفضها، لأن الشعب الكويتى آنذاك لن يقبل ذلك. وبالفعل أوقفت المعارضة من نشاطها، أو بمعنى آخر هدأت منه سعيا لأنجاح الحوار حول مطالبها مع الحكومة. وقد أجمعت كل الجماعات السياسية والقطاعات التى حاورها الحكم على ضرورة العودة للعمل بدستور عام ١٩٦٢، وعودة الحياة الديمقراطية وفقا لما يقرره الدستور، الذى يؤدى الفهم الصحيح له إلى حكم الأغلبية، وأبقاء العائلة الحاكمة كرمز. ولأن الحكم كان يستهدف أمتصاص الغضب، لا التوصل لحل سليم لأسبابه، فقد أثمر الحوار معه عن مولود غير شرعى من خارج رحم الدستور، هو المجلس الوطنى الذى تم تشكيله قبل عدة أسابيع من الغزو، وهو صيغة لمجلس إستشارى ينتخب جزء منه ويعين الجزء الآخر، وليس له أى صلاحيات سوى رفع التوصيات غير الملزمة للحكومة.

وأعتبر الناس تشكيل هذا المجلس، أسوأ إستغلال من الحكم لورقة الحوار معه، وإنحراف بها لأغراض بعيدة عن مطالب الشعب الكويتى. ولما فتح الباب لأنتخابات المجلس الوطنى

وقع عدد كبير من التجار والمهنيين والعمال والمثقفين والبرلمانيين المستنيرين على عريضة، تدعو الشعب الكويتي لمقاطعة الأنتخابات، وترفض الطريقة التي يجرى بها تشكيل المجلس الوطني، وتندد بالشكل الذي استشمر به الحكم الحوار معه. **وبرغم الأغراءات المالية والتهديدات التي مارستها الحكومة لدفع الناس إلى التصويت، فلم تزد نسبة المشاركة في التصويت في المناطق الحضرية عن ٣٠٪.** وفي ظل هذا المناخ الذي شهد تصاعد الحركة الشعبية، المطالبة بالديمقراطية وإعادة العمل بدستور ١٩٦٢ ، حدث الغزو العراقي.

مصداقية أكثر

* **هل عدلت المعارضة الكويتية مطالبها أثناء الغزو وأعادت ترتيب أولوياتها؟**

– العكس هو الصحيح. فقد أكسب الغزو العراقي تلك المطالب مصداقية أكثر مما مضى. فلو أن الكويت كانت تتمتع بالديمقراطية، فربما ساهم القرار الجماعي للكويتيين في مواجهة بوادر الأزمة، أو تفويتها أو تجنبها، أو على الأقل مواجهتها بأدارة مختلفة من حيث الدفاع او إدارة شئون البلاد أثناء الاحتلال. ولذلك **كرست محنة الغزو الأصرار الشعبي على أنه لا أصلاح للكويت إلا بالعودة للعمل بالدستور وتطبيق الديموقراطية والحكم البرلماني.** وقد تم التأكيد على ذلك في مؤتمر جدة بصورة واضحة. ومن المعروف أن هذا المؤتمر قد تم عقده بعد تصريحات الرئيس الفرنسي **«ميتران»** قبيل إندلاع الحرب، التي طرح فيها ضرورة إستشارة الشعب الكويتي وأخذ رأيه في إدارة هذه الأزمة، وكانت السلطة من جهتها تطمع في أن يسد مؤتمر جدة ثغرة مطالبة التحالف الدولي بوحدة الموقف الرسمي والشعبي الكويتي من قضية التحرير، وكانت المعارضة على إستعداد لتوحيد الموقف الكويتي الحكومي والمعارض لتحقيق هذا الهدف، لكن على قاعدة الألتزام بوثيقة الدستور، وبشرط الايستغل الموقف لصالح طرف ضد الطرف الاخر.

لذلك كبرت الآمال، وكثرت التوقعات عند الكويتيين، أن يأخذ النظام درسا من كارثة الأحتلال، وأن تحدث تعديلات جذرية ليس في السياسة فحسب بل في نمط الحياة، وإعادة شاملة لبناء كويت جديد، وأن تسعى السلطة بعد التحرير إلى تلبية المطالب، التي رفعتها الحركة الشعبية قبل الأحتلال، وأعادت التأكيد عليها أثناؤه في مؤتمر جدة.

* **هذا عن التوقعات، فما الذي جرى في ساحة الواقع؟**

– مع الأسف الشديد عادت السلطة بعد التحرير لنفس أساليبها القديمة المتمثلة في **إحتكار العائلة الحاكمة للسلطة وإنفرادها بأتخاذ القرار ورفضها لأي مشاركة شعبية.** وعدم إستجابتها للمطالب الخاصة بأعادة العمل بالدستور، أو إعادة سلطة البرلمان التشريعية، أو تكوين حكومة إئتلافية تضم ممثلين للقوى السياسية والأجتماعية وتضم عناصر تتمتع بالكفاءة والقدرة على مواجهة التحديات الضخمة التي تواجهها الكويت بعد إنهاء الأحتلال. وأكتفت السلطة بتشكيل حكومة ضعيفة من بضعة موظفين لالون لهم ولاطابع، ويفتقدون للكفاءة ويتمتعون فقط بموهبة إطاعة الأوامر!!

ودخلنا في صراع جديد بعد التحرير، بين سلطة تصر على إحتكار الحكم والقرار والأنفراد بكل شئ، وقوى شعبية ترغب في إصلاح سياسي يحيي الدستور ويطبق الديمقراطية. ولقد طرحت القوى الديمقراطية بعد العودة صيغا متعددة لأجراء الأصلاح السياسي أهمها ضرورة البحث عن صيغة لممارسة السلطة التشريعية لدورها إما بعودة البرلمان الذي حل عام ١٩٨٦ أو اللجوء إلى التشاور للتوصل إلى صيغة تمارس بها السلطة التشريعية، حتى تجرى إنتخابات جديدة، وتشكيل حكومة إئتلاف وطني للمحافظة على الوحدة الوطنية للشعب الكويتي التي تمثلت أثناء الأحتلال وجمعت بين مختلف فصائله من شيعة إلى سنة ومن قبائل إلى حضر ومن رجال إلى نساء ومن يمين إلى يسار، على أن تكون حكومة سياسية تملك صنع القرار لاتنفيذه فقط، وتمتلك خطة إصلاحية لأعادة البناء. وكانت الفرصة لتحقيق ذلك مهيأة بعد أن كسر الأحتلال الحواجز بين الناس ووحد بينهم، لكن عودة السلطة لممارسة أساليبها القديمة أضاع تلك الفرصة، فضلا عن أن القوى السياسية لم تمارس ضغوطا كافية لأجبار السلطة على التجاوب مع المطالب الشعبية.

جبهة وطنية

* **ماهي بالتحديد الخريطة السياسية لقوى المعارضة الكويتية؟**

– هناك تحالف واسع يضم مختلف القوى السياسية فيما يشبه الجبهة الوطنية، وهو الذي يحرك الشارع السياسي، ويضم **القوى الديمقراطية والقومية وجماعات الأسلام السياسي.** ومن حيث الفئات الأجتماعية التي يمثلها هذا التحالف، فهو يضم التجار الوطنيين والعمال والمهنيين من الطبقة المتوسطة، وممثليهم في الهيئات الشعبية كالجمعيات والأتحادات والنقابات، وكافة العناصر النشطة في مجالات الفكر والثقافة والسياسة فضلا عن الشخصيات المستقلة من الوزراء والبرلمانيين السابقين.

* **وماذا عن المنبر الديمقراطي، وأين موقعه من القوى السياسية الأخرى؟**

–المنبر الديمقراطي هو جزء من هذا التحالف العريض، وهو يضم القوى الديمقراطية ذات التوجه القومي، وبسبب موقفه الأجتماعي يمكن القول أن

عبد الله النيباري



المنبر هو يسار الحركة السياسية فى الكويت. أما القوى السياسية الأخرى فتضم «الحركة الأسلامية الدستورية» وهم الأخوان المسلمون، والجماعات السلفية وتحمل أسم «التجمع الشعبى الأسلامى» و «الأئتلاف الوطنى الأسلامى» ويضم مجموعات من الطائفة الشيعية تمثل شرائح سياسية دينية وليبرالية، وهناك كتلة النواب من مجلس الأمة الذى حل عام ١٩٨٦، فضلا عن تكتل من كبار التجار الدستوريين من العائلات التقليدية ويحمل أسم «الحركة الدستورية» ، مع الأخذ فى الأعتبار أن تلك القوى تضم فى داخلها قوى أخرى.

*** ماهو المشترك بين تلك القوى السياسية، وماهو الشئ الذى يميز المنبر الديمقراطى عنها؟**

– المشترك بينها التمسك بالتطبيق السليم للدستور. أما المنبر الديمقراطى فيطالب بالأضافة الى ذلك بأن يكون رئيس الوزراء من خارج الأسرة الحاكمة لفتح المجال للتغيير، الذى يصعب حدوثه حين يكون رئيس الحكومة هو ولى العهد كما هو الحال الآن ولأحقاق المساواة بين المواطنين وفقا للدستور، والتى لايمكن ضمانها ورئيس الحكومة والوزراء من الأسرة الحاكمة. وهيمنة الأسرة الحاكمة على الحكومة الكويتية ومجالات العمل المختلفة أمر لم يعد مقبولا فى الكويت، ولقد عززت كارثة الأحتلال مطلب الكويتيين بتشكيل وزارة معبرة عن الأرادة السياسية للشعب الكويتى، بعد أن تبينوا أنهم تمكنوا من إدارة الأمور أثناء الغزو بأنفسهم أفضل من الطريقة التى كانت تدير بها حكومتهم وبالطبع أقل تكلفة وأكثر استنهاضا وتعبئة لطاقات الأفراد.

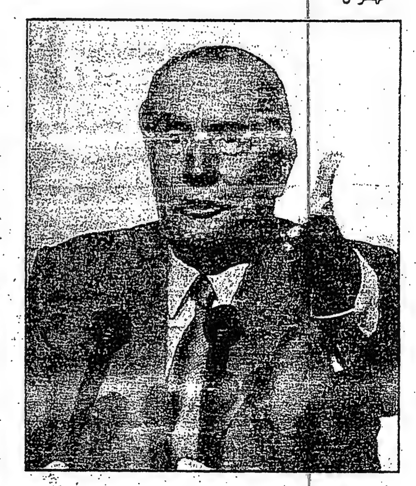
سلاح حكومى

*** هناك من يأخذون على الأوضاع الديمقراطية أنها تمهد الأرض لفوضى داخلية، قد تمكن الطامعين فى أن يكون لهم ركائز فى داخل البلاد، فما مدى صحه ذلك على الغزو العراقى للكويت؟**

– الحقيقة أن هذا القول، لايعدو أن يكون نوعا من سلاح الحرب الدعائية والأعلامية للسلطة الكويتية، وهو لحسن الحظ سلاح فاسد لايجد من يصدقه خارج أطر السلطة الحاكمة. والعكس هو مايقال فلو أن الديمقراطية كانت مطبقة فى الكويت فربما كنا نستطيع تفادى الكارثة. والسؤال الذى يطرحه الجميع أين الأستعدادات ونوايا صدام حسين تجاه الكويت كانت واضحة؟ ولماذا لم تقرأ توجهات النظام العراقى قراءة سليمة؟ والجواب معروف لدى الجميع، أن الحكومة فاقدة للقدرة على التوقع والتصور وطرح البدائل ، مسكونة برغبة فى إحتكار القرار. ولو كانت هناك مشاركة فعلية فى صنع القرار وإدارة شئون البلاد من قبل قطاعات عريضة، لأمكن أن يكون هناك تحذير وتنبية ووضع الأستعدادات لكل الأحتمالات. وآنذاك كان يمكن أن يكون الحل العربى للأزمة واردا. لقد كنا فى المنبر الديمقراطى لدينا تصورات واضحة أن غزو الكويت كان ضمن المخططات الرئيسية لصدام حسين ،فقد غزا إيران، فمن باب أولى أن يجد فى الكويت غنيمة كبيرة ليلتهمها، وهو خارج من حربه مع إيران يفتقد للأموال ، ويعتقد أنه يمتلك رصيدا شعبيا على المستوى العربى، وخاصة بعد تهديده لأسرائيل بالسلاح النووى. والحاصل أنه نتيجة لغياب الديمقراطية لم يكن مسموحا بأنتقاد صدام حسين فى الكويت، وكانت الحكومة الكويتية هى أكثر المساندين له والمعادين لخصومه.

وأثناء الغزو العراقى، لم ترفع المعارضة الكويتية شعار إسقاط النظام أو تغييره، وبقيت متمسكة بالدستور، الذى يمنح مكانة خاصة للأسرة الحاكمة. **كما أن الجماعات السياسية التى بقيت فى الداخل أثناء الغزو، لم تنخدع بدعاوى «صدام حسين» ورفضت التفاوض أو التعاون معه طالما بقى جندى عراقى واحد على أرض الكويت**، وهذا يعنى أن الممارسة الديمقراطية قد منحت القوى السياسية تحصينا ضد الأنزلاق إلى القرار الخاطئ، وأعطتها ثقة واسعة بالنفس، جعلتها تتخذ مواقف تتسم بالمخاطرة، أكثر من المواقف التى أتخذتها السلطة التى كانت خارج البلاد. ولولا الخبرة التى أكتسبها الكويتيون عبر الممارسة الديمقراطية، ما كان يحدث ذلك، **ولو أن أى قوى سياسية كويتية ذات وزن قبلت بالتعاون مع العراقيين، فربما تغير مجرى الأحداث**. ولاشك أن الصورة العامة التى برزت، وتمثلت فى اتحاد الكويتيين على عدم القبول بالأحتلال، ورفضه ومقاومته وتمسكهم بصيغة الدستور، قد ساعدت التحالف الدولى على الأسراع بأتخاذ الموقف لتحرير الكويت. **ونحن ندرك أن التحالف العالمى جاء للكويت لضمان مصالحه قبل مصالح الكويتيين** ، لكن حتى حماية مصالحه كانت تحتاج لتوفر عناصر أخرى، من بينها وحدة الكويتيين . ونحن نعلم أن قرار الكونجرس الأمريكى بخوض الحرب، جاء بأغلبية ضئيلة، ولقد قال لنا بعض أعضائه أنه لولا الصورة التى بدا فيها أن الكويتيين متحدين، وانعقاد مؤتمر جدة، لكان من الصعب إتخاذ قرار بأستخدام . القوة فى تحرير الكويت.

مهتران



غزو صدام أفقد الكويتيين الثقة بالعروبة والقومية

المثقفون العرب تعاملوا معنا كبدو وقبائل وليس كشعب ووطن محتل

نتيجة لغيبة الديمقراطية، لم يكن مسموحا بانتقاد صدام فى الكويت

الأستنجاد بالغرب

***إذا كان من المفهوم أن تستقوى الحكومة الكويتية بالغرب لتدعيم مراكزها وسلطتها، فكيف يمكن أن نفهم إستنجاد المعارضة الكويتية بالغرب، لتحقيق مطالبها الديمقراطية؟**

– الحقيقة هناك فرق بين استنجاد الحكومة الكويتية بالغرب، وإستعانة المعارضة به. فالحكومة تقول للغرب أنها تنفذ مصالحه وتصونها فى مقابل حمايته لها. وكانت تلك هى المعادلة التى تتبعها أغلب الحكومات المحافظة فى المنطقة العربية والآن وبعد كارثة الغزو، أصبح المناخ مهيئا أكثر مما مضى لتبرير هذا الأستنجاد. **فمنذ بداية القرن والكويتيون يعرفون بمعاداة أمريكا والغرب أما الآن فقد تكسر هذا الحاجز نهائيا، بعد أن وجد الكويتيون أنفسهم ينقذون بواسطة التحالف الغربى الذى كانوا يعادونه فى الماضى.**

وبطبيعة الحال فإن الحكومة تستغل هذه الحالة فى تعزيز علاقاتها بالغرب، لتقوية مواقعها، وقد إنعكس ذلك فى أمرين أولهما توقيع الأتفاقات الأمنية مع أمريكا وبعض الدول الغربية، والثانى الأستعانة بالغرب لأبقاء نمط الحكم السائد على ماهو عليه، تحت ذرائع متعددة كالقول بأن المطالبين بالديمقراطية هم شرائح محدودة من المجتمع. ويبدو أن الحكومة قد نجحت فى ذلك، وهوما تمثل فى تصريحات الرئيس الأمريكى **بوش**، حول الأصوات التى إنتقدت تباطؤ الحكومة الكويتية فى التحرك نحو الأصلاح الديمقراطى، والتى قال فيها أن قوات التحالف لم تذهب للكويت لكى تزرع الديمقراطية، وأن الديمقراطية شأن داخلى، وأننا لايجب أن نتوقع أن تطبق الكويت الديمقراطية وقال وزير خارجيته **«جيمس بيكر»** أن وعد أمير الكويت بأعطاء المرأة الكويتية حقوقها السياسية، هو ثورة فى حد ذاته وغيرها من التصريحات الأمريكية التى تنم عن عدم رغبة فى الضغط على الحكومة الكويتية لتطبيق الأصلاحات الديمقراطية التى طالب بها المجتمع الدولى أثناء الأحتلال من جهة، ومن جهة ثانية تؤكد قبول الغرب بمبررات السلطة الكويتية فى إرجاء تلك الأصلاحات.

*** هذا عن إستعانة الحكم الكويتى بالغرب فماذا عن المعارضة؟**

– نعم نحن فى المعارضة نستعين بالغرب لدعم الديمقراطية فى الكويت، لكن **ليس لدينا أوهام، أن الحكومات الغربية التى تتشابك مصالحها فى المنطقة وتتقاطع يمكن أن تكون حليفة لنا فى معركة الديمقراطية**، لكننا نسعى لأستخدام المناخ الدولى لدعم قضيتنا على أكثر من صعيد. ففى أمريكا مثلا ونتيجة لحسابات داخلية، حاول «الديمقراطيون» إستثمار ورقة الكويت لصالحهم فى معركة الرئاسة ضد **«بوش»** بالقول بأن أمريكا ذهبت إلى الكويت لتعيد حاكما فردا إلى السلطة، وأن سياسة تحرير الكويت كانت انجازا ناقصا لأن الكويت لم تعد دولة ديمقراطية، فلماذا لاتستثمر المعارضة الكويتية هذا المناخ سواء بمخاطبة وسائل الأعلام الأمريكية ومطالبة الحكومة الأمريكية عبرها بالوفاء بعهودها بضمان حقوق الأنسان فى الكويت وضمان إقرار الأوضاع الديمقراطية، أو بالأتصال بالشخصيات العامة فى المجتمع الغربى وبمؤسسات ولجان الدفاع عن حقوق الأنسان والديمقراطية. **ولاشك أن الأعلام الغربى، منذ التحرير وحتى الآن يساند بكل إتجاهاته التقدمية واليمينية الحركة الديمقراطية فى الكويت**، وينتقد تجاهل السلطة لمطالب هذه الحركة فى الأصلاح إنتقادا شديدا.. وبالطبع نحن ندرك أن لكل دوافعه، لكننا نعتقد أن استثمار هذا المناخ، هو عامل مساعد لنا، وهو مناخ ضاغط ليس من أجل تطبيق الديمقراطية فى الكويت فحسب، بل فى المنطقة العربية كلها التى تتحالف مع الغرب وتتخذه نموذجا لها. **وبسبب الأحتلال والتحرير، أصبح هناك إنفتاح عالمى على الكويت، ونحن نعتقد أنه لابد من الأستفادة من هذا الانفتاح ومد خطوطنا معه لدعم قضية الديمقراطية فى المنطقة العربية كلها، التى يصعب أن تشهد إستقرارا بدون إجراء اصلاحات ديمقراطية جذرية تشمل جميع أقطارها.**

تراجع وانكفاء

*** ماصدى صحة مايقال حول وجود إنقسام فى صفوف المعارضة الكويتية بين من كانوا فى الداخل أثناء الغزو ومن كانوا فى الخارج؟**

–الكلام حول هذا الموضوع كثر لسبب بسيط هو أن المراقبين كانوا يتوقعونه. لكنه غير صحيح على الأطلاق. وقد يشعر من كانوا فى الداخل أنهم دفعوا ثمنا أكبر ممن كانوا فى الخارج، وتعرضت حياتهم لمخاطر أكبر بطبيعة الحال، لكن ذلك لم ينعكس بأى شكل على الحركة السياسية فى المجتمع الكويتى.

*** يلاحظ كثير من المراقبين إتجاها للأنغلاق على النفس، والتباعد عن القوى السياسية العربية، والتراجع عن فكرة العروبة داخل الكويت، فهل تعتقد أن هذا الأتجاه مفيد للكويت فى المدى البعيد، وكيف يمكن التخلص منه؟**

– للأسف أن هذه الحالة لاتخص الكويتيين وحدهم، بل تمتد لتشمل **كل الدول الخليجية**. ولاشك أن حالة الأنكفاء على الذات هى رد فعل لمواقف بعض الحكومات والقوى السياسية العربية وبالتحديد المثقفين العرب أثناء الغزو. **فالنشاط السياسى فى الكويت منذ بدايات القرن يأخذ طابع المساندة لحركة التحرر الوطنى العربية والقضايا القومية حتى أنه كان يقال عن الكويت أنها** ساحة ناصرية، كما كان الكويتيون منذ عام ١٩٣٦ ينقلون السلاح الى الفلسطينيين، كما كانوا يتبرعون بالذهب والفضة لقضايا الثورة الفلسطينية. وفى المرحلة الأخيرة كادت أن تكون الكويت حاضنة لكافة القوى السياسية العربية وفى مقدمتها القوى الراديكالية التى تتناقض مع النظام الكويتى، وكانت تلك الحركات تتلقى دعما شعبيا وحكوميا. وحتى على المستوى الثقافى والفكرى، أحتضنت الكويت أنشطة عربية كثيرة، وكانت الصحافة الكويتية قبل فرض الرقابة عليها، تعكس خطا عروبيا واضحا.. أقول هذا ليس من قبيل المن ولكن على سبيل معرفة

الديمقراطية هى المدخل الأول

للاصلاح فى المنطقة العربية



جابر الأحمد الصباح — صدام حسين

الواقع الذى دمرته مغامرة «صدام حسين». وعندما حدثت كارثة الغزو فوجئ الكويتيون بالحديث عن توزيع الثروة، ووصفوا بأنهم ليسوا شعبا بل بدوا وقبائل، كما فوجئوا بقوى سياسية عربية تقدم المبررات تلو الأخرى للأحتلال العراقى لبلادهم. وفى غمرة الحماس نسى هؤلاء أن تلك قضية شعب وقضية حقوق الانسان، وأن الوحدة لايجوز ان تطبق بالفرض أو الدمج كما نسوا أيضا مواقف الكويت كلها، مما شكل صدمة رهيبة فى الأعماق الكويتية.

وكان من الطبيعى أن يبدى الكويتيون عجبهم من موقف كبار المثقفين العرب الذين كانوا يقولون بأنهم ضد الأحتلال العراقى وضد التدخل الأجنبى، فى الوقت الذى لم يكن هناك حل عربى بأمكانه إنقاذ الكويت من صدام. **وبالتالى فقد كان التعلل بالحل العربى، ماهو فى الواقع سوى موافقة على إستمرار الأحتلال العراقى.** ومن هنا فأن الكويتيين لايجدون أى مبرر لكل من ساند بالصوت العالى أو بالصمت إحتلال «صدام حسين» للكويت، كما يصبح تساؤلهم عما فعلت لنا العروبة التى عشنا طوال عمرنا نؤمن بها، عندما أحتلت بلادنا، تساؤلا منطقيا. **لقد أصبح لدى الكويتيين إقتناع بأن القوى السياسية العربية جماعات غير مبدأيه لوقوعها فى محظور تأييد صدام حسين، ولاشك أن هناك أتهام كويتى لهؤلاء بالأنتهازية السياسية**، وكلها عوامل ساهمت فى الكفر بالقومية وبالحركات العربية ذات التوجه القومى، وفى مقدمتها المنظمات الفلسطينية. **فالفلسطينيون مع الأسف الشديد قبلوا الزعم بأن «صدام حسين» طالما سيحرر فلسطين، فحلال عليه الكويت، وليس مهما التضحية بالكويت من أجل القضية الفلسطينية ، فما هذه المعادلة الظالمة.** لقد أثرت تلك المواقف تأثيرات بالغة فى النفسية الكويتية، التى يحق لها الأعتقاد بأن **العرب حكومات ومثقفين غير مهتمين سوى بثروة الكويت** وليس بالشعب أو بالوطن وأنهم تنكروا للمبادئ التى سبق وأعلنوا تأييدهم لها، وبالتالى فأن الدعوة القومية تشهد إنحسارا حادا الآن فى الكويت، ولاتوجد لها أى مصداقية.

* **هذا عن التوصيف والمبررات، فماذا عن المخرج والقرائن؟**

- مع الأسف الشديد، فأن الحكومة الكويتية تشجع هذه المشاعر غير العروبية وتغذيها، اعتقادا منها أن الأنغلاق السياسى يدعم مراكز ... وهو تفكير خاطئ وساذج ومضر. فنحن لانستطيع أن نغير مكان الكويت من الجغرافيا، أو ننزعها من محيطها العربى، ولانستطيع العيش بدون العرب. وهذه الأوضاع لكى تصحح فى الكويت وفى الدول الخليجية الأخرى التى تنحو إلى تصفية الجو العربى داخلها تحتاج إلى وقت كما تحتاج لبعض التغييرات فى مقدمتها سقوط نظام «صدام حسين» ، وسيادة النظم الديمقراطية كأرضية للتعاون العربى، وقيام القوى **السياسية العربية بنقد ذاتى لمواقفها يشمل اجراء تعديلات فى رموزها القيادية.** فمن غير المعقول أن هذه الرموز التى أخطأت فى التقدير والتعبير أثناء الأزمة أن تستمر فى ممارسة دورها. فالخطأ الكبير الذى ارتكبته القيادة الفلسطينية تلمس نتائجة الآن على ضعف الموقف التفاوضى العربى بشكل عام والفلسطينى بشكل خاص ولو أن القيادة الفلسطينية اتخذت موقف الحياد من الغزو العراقى لكان الموقف التفاوضى الفلسطينى الآن أفضل مما لايقارن. **وموقف القيادة الفلسطينية هو الذى اسقط الثقل الذى كان يمكن أن يكون للدول الخليجية فى قضية التفاوض وأدى لنكبة كبيرة للفلسطينيين انفسهم.** ومالم يكن هناك نقد ذاتى معبر عنه فى تغييرات فى الرموز القيادية وحتى فى التكوينات القيادية ضمن الحركة السياسية العربية وبين المثقفين العرب فسوف يكون من الصعب على الكويتين إعادة النظر فى موقفهم تجاه القضية القومية والتعاون العربى!

أجراء سياسى لا أمنى

* **كيف تنظر المعارضة الكويتية لقضية أمن الخليج، وماهو موقفها من الاتفاقات الأمنية الكويتية مع أمريكا والدول الغربية؟**

- كثيرون فى الخليج غير راضيين عن تلك الاتفاقيات ويقبلونها على مضض على إعتبار أنها مسألة لابديل لها، بعد أن ثبت أن الدور العربى فى المحافظة على الأمن القومى هو مجرد كلام لاوجود له وخاضع للمصالح. **وبرغم إدراكنا أن تلك الأتفاقيات تضعف السيادة الوطنية والقرار السياسى العربى المستقل، إلا أننا لانستطيع أن نقدم للشعب الكويتى شيئا بديلا عنها لحمايته**، بعد أن ثبت أنه لم تكن هناك قوة عربية لديها القدرة أو الرغبة فى مواجهة صدام حسين اثناء إحتلاله للكويت.

لكن فى واقع الأمر فأن الاتفاقيات الأمنية التى وقعت هى تعبير سياسى أكثر منها تعبير عسكرى. ونحن نعتقد أن **أمريكا حين قررت خوض الحرب لإنقاذ الكويت، فعلت ذلك وفقا لحسابات أمريكية محضة خاصة بالربح وبالخسارة وبحماية مصالحها**، ولم تكن هناك إتفاقية أمنية معها، وإذا تكرر الحدث وتعرضت الكويت لتهديد جديد فلن يكون بمقدور الأتفاقية الأمنية أن تجبر أمريكا إلى إتخاذ نفس الخطوات ،الا إذا كان فى ذلك مايخدم المصالح الأمريكية.. ومن هنا نقول أن تلك الاتفاقيات هى إجراء سياسى لا أمنى من قبل الطرفين الحكومة الكويتية والحكومة الأمريكية.

إنتهى الحديث مع «عبد الله النيبارى»، لكن الأسئلة التى تطرحها إجاباته، أكثر من أن تحصى، وأهمها هل من المصلحة العربية ترك الخليجيين نهبا لتلك المشاعر المعادية للعروبة؟ وهل قرر العرب التضحية النهائية بدول الخليج، التى تنسلخ بخطوات سريعة من المحيط العربى وتعيد ترتيب أمنها ووجودها بالإعتماد الكلى على الغرب وبالقبول المجانى بأسرائيل؟

وإذا كان لبعض الأنظمة العربية مصالح فى استمرار مثل تلك الأجواء ،فلماذا تبدو القوى السياسية العربية غير مبالية بهذه القضية ومن هى ياترى القوة السياسية التى سوف تمتلك القدرة على المبادرة والشجاعة لفتح هذا الملف؟!!

رسالة الرياض

تمخض الجبل فولد فأرا...!

فى الثانى من مارس الماضى، أصدر الملك **فهد بن عبد العزيز** ملك السعودية أوامر ملكية حدد بموجبها النظام الأساسى للحكم، ونظام مجلس الشورى ونظام المناطق. بهدف «تعميق العلاقة بين الحاكم والمحكوم مع التزام كل ماجاء به الدين الإسلامى الحنيف..» كما قال الملك فى كلمته الموجهة للشعب بهذه المناسبة.

فما الذى تنطوى عليه هذه الاجراءات الجديدة؟ وماهى دوافعها؟! وكيف كانت استجابة القوى السياسية المختلفة لها؟

قبل أن نرد على السؤال الأول، لابد أن نسجل أن السعودية تمر بفترة من القلاقل وعدم الاستقرار منذ بداية أزمة الخليج، وحتى قبل اندلاع الحرب «انظر اليسار العدد الماضى». ففى هذا الوقت تزايدت الضغوط على نظام الاسرة الواحدة، والتى كشفت الصحف الأمريكية أثناء الأزمة عن عمق الفساد المتفشى فى أوساطها، وعن غياب أى شكل من أشكال الحرية أو الديموقراطية.

ومن جهة أخرى تزايد نشاط الأصوليين المتطرفين الخارجين على المؤسسة الدينية الرسمية والذين تميز موقفهم برفض الوجود العسكرى الأمريكى على أرض المملكة، لأن الجيوش الأجنبية تدنس الأرض الطاهرة، وأصبحوا ينقدون الأسرة المالكة بعنف.

بينما شهدت الرياض مظاهرة النساء اللاتى قدن سياراتهن قبل الحرب بشهور قليلة.

وتوالت مطالب القوى الليبرالية مطالبة بالحريات الديمقراطية أسوة بتلك التى عرفوها فى بلدان أوروبا وأمريكا التى تلقوا تعليمهم فيها.

وفيما بعد الحرب تزايدت الضغوط وازدادت عنفا ببروز الأزمة الاقتصادية. وفى هذا العام يواجه الاقتصاد السعودى «سنة أخرى من النمو المحدود فى قطاعه النفطى وغير النفطى ومن انحسار الإنفاق على الاقتصاد السلمى»...كما يقول الكاتب السياسى **نبيل الحيدرى**، ويضيف «إن المشاكل، بعيدة المدى على الصعيد الاقتصادى، تتضمن إحتمال حصول العديد من الإفلاسات التجارية والمالية.. وقد قامت الحكومة بسحب جوازات سفر عدد كبير من التجار والاقتصاديين السعوديين ومنعت سفرهم إلى الخارج، بعد أن امتنعوا تحت الظرف الاقتصادى الحالى، عن دفع قروضهم إلى المصارف، والتى تصل- فى تقديرات البعض- إلى عدة مليارات من الدولارات..».

ولما كان خط الدعاية الأمريكية ضد نظام **«صدام حسين»** فى العراق ينهض على فكرة أساسية هى غياب الديموقراطية وانتهاك حقوق الإنسان ورفض التعددية فى العراق، فإنه من المحرج للصديقين معا- أمريكا والسعودية- أن يكون النقد الموجه للنظام العراقى هو نفسه «بل وأكثر منه موجها للنظام السعودى. ولذلك رحبت الإدارة


الملك فهد


الأمير عبد الله..ولى العهد

الأمريكية ترحيبا حارا بالاجراءات الأخيرة، وقدرتها بأكثر من حجمها.

فما هي النظم الثلاثة التي صدرت بها أوامر ملكية في بداية الشهر الماضي..؟

١- نظام المناطق، ويقع في أربعين مادة. ويهدف كما تقول مادته الأولى إلى «رفع مستوى العمل الإداري والتنمية في مناطق المملكة..».

ومن قراءة المواد الأربعين، تبين لنا أن كل المسؤولين في المواقع المختلفة، بدءا **بالأمراء الذين يعينهم الملك وقد منحهم التنظيم الجديد اختصاصات واسعة**- وانتهاء بالموظفين **الذين يعينهم رئيس الوزراء** وممثلي الأهالي الذين يشترط فيهم أن يكونوا من أهل العلم والاختصاص والخبرة، **يتم تعيينهم أيضا بأمر من رئيس الوزراء**، أي أن فكرة التمثيل والنيابة بالانتخاب غير واردة.

كذلك يبرز دور هائل لوزير الداخلية، مما يضفي طابعا أمنيا، أكثر منه سياسي على التشكيل الذي **لايشغل فيه أي شخص موقعه بالانتخاب**. وتنقسم المناطق إلى ثلاث وحدات هي المحافظات والنواحي والمراكز.

أما مجلس الشورى فيضم الرئيس وستين عضوا، ويقع نظامه في ثلاثين مادة، ويجري إختيار أعضائه وتعينهم جميعا بعد أن **يختارهم الملك**، ومدة المجلس أربع سنوات، وتشابه اختصاصاته اختصاصات المجلس النيابي في مساءلة الوزراء، وتقديم مشروعات قوانين.. لكن لاعلاقة له من قريب أو بعيد بميزانية الدولة، سواء من زاوية مراقبتها أو إقرارها.

وبصدور النظام الجديد يكون نظام الشورى القديم الذي صدر منذ خمسة وستين عاما قد ألغي. أما النظام الأساسي الجديد للحكم فينص على أن نظام الحكم هو **نظام ملكي وراثي** «فالحكم يكون لأبناء الملك عبد العزيز وأبناء أبنائه، وأن تتم مبايعة الأصلح منهم». وللملك حق تعيين ولي العهد، وتعيين الوزراء ونوابهم، وأعضاء مجلس الشورى، **وله حق حل كل هذه الهيئات جميعا وإقالتها أو إعادة تشكيلها.**

وأكد النظام الأساسي للحكم، وهي الصيغة التي يجري استخدامها بدلا من الدستور، أكد في عبارات عامة -تفتقر إلى التحديد- الحريات الأساسية للمواطن السعودي، وعلى حقوق الانسان وفق الشريعة الاسلامية وعلى إلتزام المملكة بكل المعاهدات والمواثيق الدولية، ونص على أن السلطات في المملكة هي قضائية وتنفيذية وتنظيمية، وأن الملك هو مرجع هذه السلطات، وأن القضاء سلطة مستقلة.

ويستخدم التنظيم الجديد مصطلح السلطة التنظيمية عند الإشارة إلى سلطات الدولة الثلاث، عوضا عن مصطلح السلطة التشريعية، حيث أن المبدأ المتفق عليه في المملكة هو **«أن الله سبحانه وتعالى هو مصدر السلطة التشريعية..»**.

وأشار النظام إلى وجود جهاز مختص للرقابة تكون صلاحياته الرقابية على جميع ايرادات الدولة ومصروفاتها، والرقابة على كافة أموال الدولة المنقولة والثابتة، ويتم التأكد من حسن استعمال هذه الأموال والمحافظة عليها، كما أن هناك جهاز رقابة يختص بمراقبة الأجهزة الحكومية.

وكان الملك فهد قد وعد السعوديين بأجراء تعديلات على نظام الحكم إبان أزمة الخليج وقبل الحرب، ثم تجاهل هذه الوعود، إلى أن ظهرت بوادر الأزمة الاقتصادية، ونشطت القوى الدينية الخارجة عن المؤسسة الدينية الرسمية، وقدم أربعمئة عالم وأستاذ جامعة مذكرة شاملة تضمنت انتقادات قاسية للنظام، وكشفت بالوقائع عمليات الانتهاك الشامل لحقوق الإنسان، سواء حق السفر أو العمل أو التنقل أو التعبير أو التنظيم.. والنساء والشيعة هم الضحايا الأوائل لهذه الممارسات الملكية المنافية للديموقراطية والحرية. كذلك بدأ بعض أئمة المساجد في استخدام الخطب والمواعظ لنقد النظام نقدا جذريا، في الوقت الذي تحركت فيه بعض بلدان الخليج المجاورة (عُمان.. الامارات...) في انشاء مجالس للشورى وادخال بعض الأصلاحات الجزئية على نظمها السياسية، كما شهدت الجمهورية اليمنية- وهي منافس تقليدي وقديم للسعودية- تحولات كبيرة في إتجاه الديموقراطية والتعددية وحرية الصحافة، بعد توحيد شطري اليمن قبل مايزيد على العام، وبالرغم من المصاعب الكبيرة التي تواجه تجربة الوحدة.

لكل هذا، كانت للأسرة السعودية والقوى المستفيدة من انفرادها بالسلطة وسيطرتها على الثروة، مضطرة لإجراء التغييرات الجزئية الأخيرة.

فكيف استجابت القوى المختلفة لهذه الإجراءات؟.

فقال متحدث باسم **المعارضة السعودية** في لندن، في تصريح مطول نشرته مجلة **«الجزيرة العربية»**- الشهرية: «إن النظام الأساسي الذي أعلنه الملك فهد يوم الأحد الماضي كان أقل بكثير من ترقعات المواطنين، الذين عبروا في مناسبات عديدة عن الحاجة إلى إصلاحات واسعة للنظام السياسي. وقال السيد **«توفيق الشيخ»**: إن النظام الأساسي الذي يقوم مقام الدستور لم يتضمن إقرارا بالحقوق الأساسية للمواطن، ولاسيما **حرية العقيدة والتعبير وتشكيل الجماعات، والمشاركة في العمل السياسي...»**. وأضاف المتحدث «إنها تعبر عن تطور أولي في الحياة السياسية التي بقيت مغلقة وجامدة عند وضعها القديم طيلة نصف قرن من الزمن. وأنها (أي المعارضة) تجد فيها خطوة في الطريق الصحيح. لكنها تعتبر أن ما أعلن بالفعل لايلبي حاجة البلاد الراهنة والمستقبلية لاسيما في ضوء الانعكاسات المحلية لأزمة الخليج.

ويضيف: «إن المادة الخاصة التي وصفت نظام الحكم أوضحت أنه ملكي، لكنها أغفلت الإشارة إلى أنه دستوري الأمر الذي يشير إلى أن النظام الأساسي يقر بالوضع السابق لنظام الحكم بأعتباره **ملكيا مطلقا** ومما يؤكد هذا الاتجاه: خلو النظام الأساسي من أي إشارة إلى حدود صلاحيات الملك. في الوقت الذي تقرر له حق التدخل في كل جوانب الحياة السياسية والإدارة الحكومية.. وعلى مختلف الأصعدة..».

وبعد أن يرصد المتحدث الرسمي بأسم المعارضة صلاحيات الملك في خمس عشرة نقطة تبدأ باختيار وإعفاء ولي العهد وتنتهي بتعيين أمراء المناطق ونوابهم ومحافظي المحافظات وأعضاء مجالس المناطق وعزلهم، مرورا بتعيين وعزل ضباط القوات المسلحة **والانفاق من الأموال العامة خارج المقرر في ميزانية الدولة، وتوقيع الاتفاقيات الدولية والامتيازات وإلغائها**، إلى أخطر ما، في هذه الصلاحيات اللانهائية وهو **تعديل النظام الأساسي.**

يقول المتحدث:

«إن هذه الصلاحيات الواسعة التي أعطاها النظام للملك تجعل الدولة كلها تقريبا تحت تصرفه، مع أنه **لايوجد أي نظام لمحاسبته أو مساءلته**، الأمر الذي يثبت حقيقة أن الأنظمة الجديدة كرست الانفراد المطلق للملك في حياة البلاد السياسية».

ثانيا: أغفل الدستور الاعتراف الصريح بالحقوق الأساسية للمواطنين بالرغم من وجود إشارة مجملة إلى احترام حقوق الإنسان.

ثالثا: ينص النظام الأساسي على إلحاق **وسائل الاعلام المحلية بالدولة ويفرض عليها الالتزام بسياساتها «م.٣٩»**. وفي ذلك خرق واضح لحرية المواطنين في التعبير الحر عن آرائهم، لاسيما في القضايا التي لاتنسجم مع السياسات الحكومية.

رابعا: اعتبر النظام أن الحكم قائم على قواعد الشريعة الإسلامية، لكنه لم يشر إلى التعاقد والتراضي بين الشعب والحكومة باعتباره مصدرا للشرعية، وأغفل أي دور للمواطنين في اختيار الملك أو ولي العهد، كما أغفل الواجبات والمسئوليات التي يتحملها الملك إزاء الشعب في مقابل هذه البيعة.

خامسا: أغفل النظام الأساسي ونظام مجلس الشورى النص على الحصانة السياسية لأعضاء مجلس الشورى وأعضاء مجالس المناطق، والحصانة القضائية للقضاة، وألحقهم- وظيفيا- بنظام الخدمة المدنية، الأمر الذي يسمح باتخاذ إجراءات إدارية ضد أي منهم، وهو مايخالف الأنظمة والأعراف الدستورية المتعارف عليها في العالم.

سادسا: أغفلت الأنظمة أي ذكر للتمثيل الشعبي الانتخابي. وكان الملك قد تحدث في مناسبات سابقة عن احتمال تشكيل مجلس الشورى من أعضاء ينتخب نصفهم ويعين النصف الآخر.

سابعا: خلافا لما هو متوقع من أن تشمل الإصلاحات إقامة نظام لامركزي للإدارة، فإن النظام الجديد أبقى على الارتباط الشديد بين رؤساء المصالح الحكومية الإقليمية وبين الإدارة المركزية في العاصمة.

وعشية صدور المراسيم أصدر التجمع الوطني الديمقراطي «الذي يضم قوى اليسار ومن بينها الحزب الشيوعي» تصريحا صحفيا قال فيه «إنها تعكس مدى التخلف السياسي الذي يعاني منه نظامنا الحاكم والقائمين عليه، وتجاهلهم أو عدم استيعابهم لما يجري في هذا العالم من تطورات عاصفة. أدت إلى سقوط أنظمة أغفلت في ممارساتها قضية الديموقراطية إن المراسيم الجديدة، لم تقدم جديدا بل قننت ماهو قائم فعلا..

لقد كان حريا بالنظام، وقد مضى عام على أزمة الخليج، أن يستوعب دروس هذه الأزمة التي كشفت عن ضعف الوحدة الوطنية بسبب سياسة التفرد بالقرار والسلطة، وغياب الديموقراطية، وتهميش الشعب. وأن التطور الإقتصادي والاجتماعي الذي فرض نفسه بات بحاجة إلى ما يلازمه من تغيرات جذرية في أسلوب الحكم ونظامه السياسي.

إن إغفال حقيقة الوضع الراهن الذي تعيشه البلاد، وحالة الوعي السياسي الذي وصلت إليه مختلف الفئات الشعبية، واستيعابها العميق لأهمية الديموقراطية والحريات الأساسية في حياة شعبنا، والقفز على هذه الحقائق، من شأنه دفع البلاد إلى مزيد من التوتر والمواجهة مع المعارضة التي أخذت بالاتساع، لتضم في صفوفها- إضافة إلى ماسمي بالتيار **«الليبرالي»** الواسع- التيار **«الأصولي»** المنسلخ عن المؤسسة الدينية الرسمية والذي بات يشكل خطرا على النظام القائم وبقائه.

إن المخرج الوحيد من هذا الوضع المنذر بمختلف الاحتمالات هو إتخاذ خطوات جريئة تتناسب ومستوى طموح شعبنا وهمومه وإدراكه لأهمية إحداث انفراج سياسي ملموس يقوم على الديمقراطية واحترام حقوق الإنسان، وإصدار عفو عام يشمل إطلاق سراح جميع المعتقلين والمسجونين السياسيين، وعودة المنفيين وإحقاق حقوقهم المشروعة ولجميع الذين تضرروا من التجاوزات الإدارية والقمعية..»

ويوجه التجمع في ختام بيانه النداء لكافة فصائل المعارضة الوطنية، بمختلف اتجاهاتها الفكرية والسياسية والمذهبية للعمل المشترك من أجل فرض التغيير المنشود من قبل الشعب في السعودية.

أما الناشر ورجل الأعمال السعودي **محمد سعيد طيب** فكان تعليقه على المراسيم، كمايلي..

الأمير سلطان



«إنني أتوقع أن أصحاب القرار يتطلعون إلى النخبة من أبنائهم في أن يتصدوا لمسئولية الشروع فورا في حوار وطني كبير حول الأنظمة الثلاثة يشارك فيه أكبر عدد من المثقفين الإصلاحيين ودعاة التقدم، بما يكفل تطويرها ودعمها والتطبيق الإيجابي لأهدافها..»

ومن حيث لايدري ولايقصد يسوق الناشر ورجل الأعمال بنفسه الأسباب التي ستغذي التوتر والتذمر وعدم الرضا، حين يقول «لقد أتاح صاحب القرار الفرصة لشريحة كبيرة جدا من أبناء الوطن أن تتلقى تعليمها في أرقى جامعات الدنيا، وأن تنهل من مختلف الثقافات وروافد المعرفة، ولابد أن يتوقع- وقد قال كلمته- أن يرى ويسمع ويقرأ ما يعكس خلاصة تجاربهم في خدمة الوطن..»

فهؤلاء المتعلمون في الخارج تعليما راقيا يشكلون قاعدة تزداد اتساعا للمطالبة بديمقراطية غير منقوصة، ديمقراطية كانوا قد تعرفوا على الوجوه المتعددة الفنية لها في خبرتهم بالخارج، وهم ليسوا أقل شأنا من أقرانهم الأوروبيين والأمريكيين الذين يتمتعون بحقوق واسعة في العقيدة والتعبير والتنظيم في ظل هذه الديمقراطية، فلماذا تأتي الديمقراطية في السعودية منقوصة ومقصوصة الجناح؟!

من جهة أخرى، قال ناطق باسم وزارة الخارجية الأمريكية «إن الولايات المتحدة ترحب دائما بالجهود لتوسيع المشاركة السياسية».. وأضاف «نرحب أيضا بإعادة تأكيد الملك فهد حماية حقوق الأفراد مثل حرمة المنازل، والحماية من أعمال التفتيش والمضايقة..»

وربما لأول مرة تسجل الخارجية الأمريكية في بلاغ رسمي معرفتها بانتهاكات حقوق الإنسان في السعودية.

وحتى كتابة هذا التقرير، لم تكن الجماعات السلفية المتشددة قد أعلنت رأيها وكانت قد دخلت في معارك صريحة ضد النظام والمؤسسة الدينية الرسمية، خلال الشهور الماضية، أدت إلى توسع الحكومة في إلقاء القبض على أعضائها ومنعهم من إلقاء الخطب في المساجد والتجمعات العامة.

وفي النهاية، فكما يقولون هنا في الرياض وكل مدن البلاد، فإن أدق ماتوصف به هذه القرارات، بعد كل ماقيل عن الاتجاه للانفتاح السياسي والديمقراطي والتخفيف من قبضة الملكية الدكتاتورية: **«تمخض الجبل.. فولد فأراً»**.

رسالة حيفا

الفرج العربي لاسرائيل

نظير مجلي

** فجأة، حكومة اسرائيل.. التى تمارس من عشرات السنين سياسة قمع وارهاب وتشريد وقتل للشعب الفلسطينى بنسائه وأطفاله وشيوخه، أصبحت تبدو أمام العالم «حملا وديعا» و«ضحية للارهاب العربى والاسلامى» «تسعى لحماية اطفالها ونسائها من الارهابيين». وكل ذلك بفضل مغامرات بائسة.. تصب اساسا فى خدمة اهداف هذه الحكومات العدوانية.

مرة أخرى، فى عز زنقة حكام اسرائيل. يأتيهم «الفرج العربى»، ليحولهم من معتدين إلى ضحايا.

ولهذا الفرج العربى قصة طويلة فى تاريخنا المعاصر، تمتد إلى العام ١٩٤٧ وربما اكثر.

كانت الصهيونية وتتذاك تعد العدة لسيطرة على فلسطين، بنت جيشا، اشترت مساحات واسعة من الارض، أسست بنية اقتصادية شاملة ومتماسكة. زراعة وصناعة مؤسسة طبية ضخمة وبنك والزعامات العربية تتاجر بالكلام. فترفض أى تفاهم مع اليهود دون ان تعمل شيئا لتكون بمستوى الرفض.

نجحت الصهيونية فى اقناع العالم بضرورة قيام دولة اسرائيل. ، فصدر قرار تقسيم فلسطين فى الأمم المتحدة (١٩٤٧/١١/٢٩) الى دولتين، واحدة يهودية واخرى عربية. لكن القيادات العربية رفضت القرار دون أن تعطى بديلا أفضل. فقامت اسرائيل واحتلت مساحات اوسع بكثير مما تقرر لها.

اعلنت القيادات العربية الحرب على اسرائيل لتدميرها، فتعاطف العالم معها. بينما كان جيشها يدمر مئات القرى والبلدان الفلسطينية . وكانت تلك حربا كذابة. استفادت منها اسرائيل اكثرمن أى طرف آخر وبدلا من أن يدينها العالم على جرائم الهدم والترحيل والمذابح (مذبحة دير ياسين، مذبحة عيلبون، عيلوط، اللد والرملة- وهذه قادها ضابط اسمه يتسحاق رابين، الذى هو اليوم زعيم حزب العمل- وغيرها) راح يلوم العرب على سياستهم العدوانية.

وكلما تفاقمت سياسة الترحيل والتشريد الاسرائيلية، التى أدت الى تفريغ فلسطين من معظم اهلها، كانت الصورة المعروفة امام العالم صورة الدولة اليهودية الوديعة، بينما العرب يتحدثون عن ابادة الكيان الصهيونى ورمى اليهود فى البحر. والمعلق الشهير احمد سعد يبارك: «هنيئا لك ياسمك» بينما اسرائيل تشرد الشعب الفلسطينى فى خيام الصحراء.

.. حتى حرب حزيران العدوانية عام ١٩٦٧، نجحت حكومة اسرائيل فى اظهارها حرب دفاع عن النفس.

وان ننسى، فلاننسى زنقة حكام اسرائيل فى اكتوبر ١٩٧٧، اثر صدور البيان الامريكى- السوفييتى الشهير، الذى اعترفت فيه الادارة الامريكية لاول مرة بالحقوق الوطنية المشروعة للشعب الفلسطينى. وبدا أن العملاقين قررا فرض حل سياسى سلمى لازمة الشرق الأوسط يعطى لهذا الشعب حقه السليب فى فلسطين. فمن اين جاء حكام اسرائيل الفرج؟ من اعلان السادات ومن ثم زيارته الشهيرة لاسرائيل. وتبعها باتفاقيات كامب ديفيد عام ١٩٧٩، التى سبقتها غزوة الليطانى (شباط ١٩٧٨) وتبعتها حرب لبنان (١٩٨٢).

وذهب الفرج العربى مثلا، مع كل زنقة جديدة تعيشها اسرائيل.

واليوم تعيش اسرائيل فى زنقة كبيرة:

العالم كله مقتنع بضرورة وضع حد للتوتر فى الشرق الأوسط، بما فى ذلك أوساط جدية واسعة فى الولايات المتحدة وفى اسرائيل.

وذهبت حكومة اسرائيل إلى مؤتمر مدريد للسلام مغتصبة، وكذلك الى واشنطن. شامير وصحبه لم يخفوا قلقهم واعتراضهم على عملية السلام وحاولوا ويحاولون تفجيرها كل يوم. وما يعوزهم هو ذريعة عربية أو «فرج عربى» يتيح لهم الادعاء بأن العرب هم السبب فى تفجير المفاوضات. وفى الوقت نفسه يمارسون عمليات تخليد احتلالهم للاراضى العربية الفلسطينية والسورية واللبنانية، وهو آخر احتلال فى التاريخ ينهبون الارض العربية ويقيمون المستوطنات اليهودية عليها. يطردون عربا من اماكن عملهم ويشغلون مهاجرين يهود جدد مكانهم ينفذون سياسة قمع وقتل وعقوبات جماعية وممارسات ارهابية شرسة ضد الشعب الفلسطينى. يفرضون حصارا اقتصاديا يصل إلى حد التجويع. وينهبون الماء. فى كل يوم يسفك دم فلسطينى الكنيست سنت قانونا (١٩٩٢/٣/١٦) يجيز للمستوطن اليهودى (المدنى وليس فقط العسكرى) اطلاق الرصاص القاتل على الشخص العربى، رجلا أو شابه، أو فتى الذى يشتبه فيه انه قذف او سيقذف حجرا.

مثل هذه الممارسات كانت، لو حوسبت عليها حكومات اسرائيل، تكفى لفرض عقوبات صارمة ضدها فى الحظيرة الدولية.

تضرب عرض الحائط بحقوق الانسان وبالشرعية الدولية. عند التعامل مع العرب تتوقف الديمقراطية والانسانية والقوانين. فطعان الفاشية طليقة حرة تبث سمومها وتنفذ اعتداءاتها ضد العرب بشكل عشوائى. هتاف «الموت للعرب» بات كالصلاة. وحزب «الترانسفير» (ترحيل العرب من البلاد) يستعد لمضاعفة قوته فى الانتخابات القادمة، كما تشير كل استطلاعات الرأى.

فقط قبل يومين من كتابة هذه السطور (١٩٩٢/٣/١٩) قام افراد عصابة كهانا باقتحام قرية كفل حارس قرب طولكرم المحتلة، فى زمن فرض منع التجول، حطموا السيارات والبيوت. وداسوا حرمة المسجد. ومزقوا القرآن الكريم.. وفى اليوم نفسه فرضت سلطات الاحتلال حصارا على كل قطاع غزة. ومنع اهلها من الدخول او الخروج.. لا للعمل ولا للعلاج.

السياسة الاسرائيلية تجاه العرب الفلسطينيين لم تعد تحتمل ليس فقط فى أوروبا ،بل حتى فى البيت الابيض. والادارة الامريكية تنقد السياسة الاسرائيلية علنا. وتهاجم سياستها الاستيطانية. وتدخل معها

في مـواجـهـات. وزارة الخارجيـة الامـريكيـة تضطر إلى ادخال اسرائيل في تقريرها السنوي حول الدول التي تدوس حقوق الانسان. منظمة العفو الدولية باتت تصدر تقريرا شهريا عن دور حـقـوق الانسـان في ظل السـيـاسـة الاسـرائيليـة. محكمـة المياه الدوليـة في ستوكهولم تدين اسرائيل لانها تحرم ٧٠ قرية عربية داخل الخط الاخضر من مياه الشرب.

وفوق كل هذا «تعيش اسرائيل زنقات» داخليـة. فـعـدم الحـصـول على الضـمـانات الامـريكيـة يدخلها في مـأزق مـالي قـاس. البطالة وصلت الى نسـبـة ١١٪ (٢٠٠ الف عـامل). والفـقـر بنسـبـة ١٠٪ من السكان (نصف مليـون نسـمـة). والمهـاجـرون اليـهـود الجدد يعيشون مآسي حقيقية. بعضهم بلا عمل. وآخرون بلامسكن. كثيرون يعيشون في جوع. العشرات منهم انتحروا. الدعارة مهنة احترفتها مئات صباياهم. والمسنون منهم يفتشون عن قوتهم في صناديق القمامة.

..في ظل هذه الزنقـات..يأتي الفـرج. ومن اين؟ من طرف عـــربـي. أو من طرف يوحي بأنه عربي.

– عبوة ناسفة تنفجر في كنيس يهودي في العاصمة التركية انقرة، ويروح ضحيتها عدد من المصلين.

– رجل أمن في السفارة الاسرائيلية في تركيا يقتل بسيارة مفخخة في المدينة نفسها ويصاب عدد من المارة الاتراك.

– شاب عربي فلسطيني يأتي الى يافا حاملا سيفا ويطعن ١٨ شخصا، بينهم طالبات الصف التاسع (عمر الواحده منهن ١٤ عاما)، ويقتل شابة يهودية عمرها ١٩ عاما ورجلا عربيا كان صائما عمره ٤٤ عاما.

– سيارة مفخخة تنفجر امام السفارة الاسرائيلية في الارجنتين وتدمر المبنى وتدمر كنيسة قبالته وعددا آخر من المباني ويصاب حوالي ثلاثمئة بجراح ويقتل اكثر من ثلاثين .. معظمهم ارجنتينيون.

..وكل هذا في شهر واحد، آذار. وكل هذه العمليات اعلنت المسؤولية عنها منظمة «الجهاد الاسلامي». وهي. كما يعرف عنها، منظمة اصوليين مسلمين متطرفين لها فروع في عدة دول عربية.

.. بالطبع، قد تكون منفذه هذه العمليات منظمة الجهاد الاسلامي وقد لاتكون. فقد اعتدنا على ان تعلن اكثر من منظمة عربية أنها تحمل مسئوليتها عن الحادث الواحد. ولكن حكومة اسرائيل، والاعلام الغربي الذي يساندها، نجحا في الصاق مسؤولية هذه الاحداث بالعرب وبالمسلمين.

وقد تكون هناك أسباب أخرى، غير الارهاب، وراء عملية هنا وعملية هناك. فمثلا عملية يافا نفذها شاب فلسطيني من غزة. والده اعتقل في معسكر الاعتقال انصار مرتين. وفي المرة الاخيرة لم يعد لانه قتل برصاص الاحتلال. والشاب نفسه اعتقل في المعتقل نفسه. ويبدو انه جاء لينتقم لوالده. ولكن.. أي منطق يقبل ان يكون الانتقام من أبرياء؟! وماذنب الشابة اليهودية في مقتل والده؟ وماذنب الفتيات الصغيرات المجروحات؟ لابل وما ذنب المواطن العربي الفلسطيني ابن يافا؟! هذه هي الأسئلة التي طرحت في العالم، وفي الشارع الاسرائيلي.

اذن، فقد تحولت حكومة اسرائيل، مرة اخرى الى ذلك الحمل الوديع «الذي يطالب بحماية العالم لاطفالة وممتلكاته في العالم، بينما هي في الواقع تنفذ سياسة متواصلة منذ اربعين عاما ونيف جعلت حتى الصخر ينطق زاعقا: أنقذوا أطفال فلسطين وشعب فلسطين من أيديهم.

بعمل مغامر طائش.. يتحول المعتدي الحقيقي الى ضحية. ويبدأ بجرف الارباح.



لقد أصبحت مساومات اسرائيل تعرف كيف تستثمر هذه العمليات لمصلحة سياستها العدوانية تجاه العرب، وذلك على الصعيد العالمي وعلى الصعيد المحلي أيضا.

ففي العالم تنجح في جعل كل حادث كهذا يحتل عناوين الصحافة ووسائل الاعلام. وفي عصر الـ «سي.أن.ان» والاقمار الصناعية تدخل صور الضحايا المدنية اليهودية الى كل بيت في العالم.. لتهز مشاعر الانسانية. وعندما تكون هناك ضحايا من شعب آخر، مثل تركيا او الارجنتين، فان كل هذا الشعب يجند لصالحها. ويتم التلاعب بالعواطف. ويصبح وزراء اسرائيل، الذين يعطون الأوامر لسياسة القمع والقتل، وجنرالاتها، الذين ينفذون هذه الأوامر، يصبحون نجوم اعلام عالميين. وتنهال برقيات التعزية والتضامن من كل رؤساء الدول في العالم.. على اورشليم.

وبالمقابل، يقف الزعماء العرب محرجين مطأطئين. فلاهم يستطيعون الدفاع عن مثل تلك الاعمال التي تدينها الانسانية جمعاء. ولا هم يقبلون ان يدينوها ويستنكروها.. (باستثناء القيادات المصرية التي تحتفظ بعلاقات رتيبة مع اسرائيل) بملء الفم. حتى الدول العربية التي تعاني هي الاخرى من الارهاب الفكري والجسدي من أصوليين وغير اصوليين، تراها تحجم عن الادانة والاستنكار. وان فعلت، فيكن ذلك في رسائل تعزية شبة سرية تمر بالقنوات الدبلوماسية الى الدولة المعنية.

وأما على صعيد داخلي، فان حكومة اسرائيل تستغل كل حادث كهذا، اضعاف استغلالها اياه في الخارج. اننا نذكر جيدا ماحدث في انتخابات الكنيست السابقة عام ١٩٨٨. لقد تم وضع كمين عسكري أمام سيارة باص اسرائيلية قرب مدينة اريحا. وكانت السيارة تقل نساء ورجالا من المستوطنين. فما ان وصلت إلى المنطقة حتى انهال عليها اطلاق الرصاص بكثافة. واصيب كثيرون بجراح.

بعد الانتخابات قال رئيس حزب العمل، شمعون بيرس، ان اليسار الاسرائيلي خسر بضعة مقاعد في البرلمان رلولاها لكنا اليوم في الحكم وأسرعنا في عملية السلام.

قد تكون تقديرات بيرس مبالغا فيها. ولكن من دون ادنى شك، فان اليمين الاسرائيلي يستغل هذه العمليات لصالحه بدون أية رحمة. اليمين يزيد يمينية ويزيد قوة. فتطهر الذي يروج لسياسة التصلب والتطرف والعداء الحاقد للعرب. هو الذي يريد كل ارض اسرائيل الكاملة، التي ان سمح للعرب أن يعيشوا فيها فيقبلون، في احسن الحالات، خدما لشعب الله المختار. يعيشون كالولد الشاطر الذي ينفذ اوامر سيده. فلاحرية ولااستقلال. ولا دولة. ولاوطن.

في كل كل جنازة لاحد ضحايا تلك العمليات يأتي وزير كبير من وزراء حكومة شامير، ويلقي خطابا ناريا ضد «الارهاب العربي» ويهدد - «يدنا ستطول الارهابيين في كل مكان..»، ويكون هذا التهديد بمثابة اخذ موافقة مسبقة من الشعب لمواصلة قصف لبنان ومخيماته ومدنه وتعزيز احتلاله. في كل غارة اسرائيلية يموت اناس. بين الضحايا، بل معظم الضحايا مدنيون. ولكن العالم العربي، ليس فقط، لاينجح في اثارة اهتمام الرأي العام العالمي مثلما تنجح حكومات اسرائيل، بل أن هذه الحكومات هي التي تنجح في «اقناع» العالم بأن غاراتها الهجومية العدوانية هي نوع من الدفاع عن النفس. وتقنع الرأي العام في اسرائيل أن هذه الغارات انتقام لهم من «الارهاب العربي» في هذه العملية او تلك. ثم تنظم انتقامات اخرى في زيادة الاستيطان وتشديد القمع على الشعب الفلسطيني والعقوبات الجماعية ضده (كما حدث في عملية يافا، اذ لأن الشاب الذي نفذها من غزة اغلق قطاع غزة كله إلى اشعار آخر، فلا يتاح لاحد أن يغادره..لا للعمل ولا أي شئ آخر).

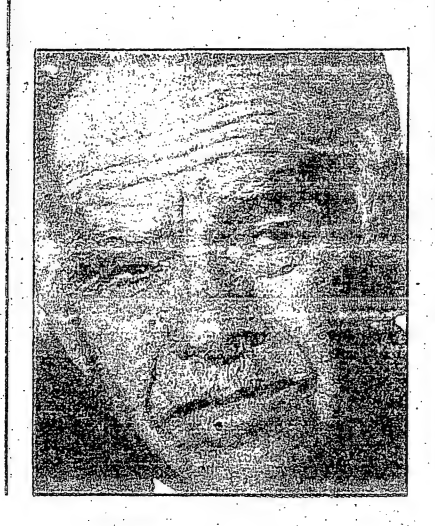
وفي مثل هذه الحالات، اذ تتربع صور الجنازات على شاشات التليفزيون وصدور صفحات الجرائد، تتقبل عقلية المواطن العادي كل مايقال من تحريض دموي على العرب وعلى الاسلام والمسلمين. صحيفة «معريب» الاسرائيلية سمحت لنفسها ان تنشر كاريكاتيرا (٩٢/٣/١٩) تصور فيه الصليب المعقوف (شارة النازيين) وعلى رؤوسة الأربعة، أربع مآذن..ينطلق منها الآذان: الله اكبر. والنازيون أبشع حركة فاشية في التاريخ وفي أذهان اليهود وكل قوى التحضر والديمقراطية في العالم، هم أصحاب خزانات الغاز التي ابادت ملايين اليهود وغيرهم من البشر. فأية مقارنة بينهم وبين الاسلام، على الرغم من ان لامقارنة بين الطرفين وان الجهاد الاسلامي وكل المجموعات الاصولية معا، لاتمثل سوى اقلية بين مسلمي العالم، فان هذا التوجه يجد آذانا صاغية في اسرائيل. فيصبح متهما ليس فقط كل كسلم، بل كل اسرائيلي يؤمن بالسلام والتعايش مع هذا المسلم.

.. وهكذا، بتخطيط دقيق وبرنامج مدروس ومثابرة نشيطة يجرفون الارباح لقوى اليمين المتطرف وللشعارات الفاشية العدوانية.

إننا، ونحن نراقب من هنا.. داخل اسرائيل، أية ارباح يجنيها اليمين من مثل تلك العمليات المغامرة يبدأ بالضغط على تفكيرنا شعور.. بأن من غير المستبعد ان تكون هناك يد غير نظيفة، غير اسلامية، غير فلسطينية، غير عربية..لها ضلع فيها. وانني اختار كلمات حذرة جدا بشكل مقصود. وتاريخنا العربي حافل بمثل تلك الايدي الخفية. حتى اقرأوا تاريخ «أبو نضال». واقرأوا ماينشر عن أجهزة المخابرات في منطقتنا وعالمنا فستذكرون مدى واقعية هذه الشكوك.

لانه، ليس هناك مستفيد من تلك الاعمال المغامرة البشعة، اكثر من قوى اليمين المتطرف في اسرائيل. وليس هناك خاسر من جرائها اكثر من الشعب الفلسطيني والعرب عموما بل والاسلام والمسلمين عموما، سمعتنا بين البشر ومكانتنا في هذا العالم.. مع كل مايعكسه هذا على مستقبلنا. لا بل، وان شعوبنا نفسها، الفلسطيني المصري والجزائري والاردني وكل المسلمين، باتوا هم انفسهم ضحايا لعنف الارهاب الفكري والجسدي الذي تمارسه تلك الحركات.

.. وهكذا، أفلا يمكننا ان ننظم عملا عربيا واسلاميا شاملا، لكف يد هذه الاعمال فكرا وممارسة.. اننا بحاجة لذلك من اجل أنفسنا اولا، وايضا من أجل ان يظهر للعالم الوجه الحقيقي لحكام اسرائيل. فلا يعودون رمزا للضحية وهم الذين يمارسون ابشع انواع العدوان.





مناحم بيجن
القاتل الذى حصل على جائزة نوبل

د. عبد العظيم أنيس

قصة مناحم بيجن يمكن أن تروى على مستويين.. مختلفين نعم ولكن بينهما صلة وثيقة. والمستوى الأول هو المستوى التاريخى بماضيه منذ مولده فى بولندا عام ١٩١٦ حتى وصوله إلى دولة الانتداب (فلسطين) خلال الحرب العالمية الثانية، وتأسيسه لمنظمة الارهاب المسلح (أرجون زفاى ليومى)

أما المستوى الثانى فهو دلالة حياة بيجن ومواقعه وأحلامه فى المأزق التاريخى الراهن حول المواجهة بين العرب واسرائيل.

ولد مناحم بيجن فى مدينة بريست ليتفسك البولندية عام ١٩١٦ وانضم منذ نعومة أظفاره الى تنظيم صهيونى (بيتار) . وعندما قامت القوات النازية بغزو بولندا عام ١٩٣٩ هرب بيجن الى ليتوانيا، وهناك أخذ ينشر دعايته الصهيونية بين يهود ليتوانيا فاعتقلته السلطات السوفييتية وحاكمته وأصدرت عليه حكما بالعمل فى معسكرات الاعتقال فى سيبريا ثمان سنوات، قضى منها ثلاث سنوات فعلا ثم أفرج عنه بعد الغزو النازى للاتحاد السوفييتى فى يونيو سنة ١٩٤١ ونجح فى الهرب والوصول الى فلسطين.

وفى فلسطين اتضحت كفاءات بيجن فى العنف المسلح عندما نجح فى تأسيس منظمة (أرجون) التى أفزعت حكومة الانتداب البريطانية بهجماتها المسلحة على مراكز شرطة القوات البريطانية فقتلت العديد من الجنود البريطانيين فى تلك الهجمات، كما أنها المسئولة عن حادث نسف فندق الملك داوود فى القدس- مقر قيادة القوات البريطانية- وهو الحادث الذى أدى الى مصرع مائة شخص من البريطانيين والفلسطينيين واليهود.

وقد تجذر هذا الحادث عميقا فى الضمير البريطانى حتى اليوم، فعندما ذهب بيجن وهو رئيس للوزراء لزيارة بريطانيا منذ أعوام شنت عدة صحف بريطانية هجوما شديدا عليه ودعت الى إلقاء القبض عليه ومحاكمته كقاتل وسفاح وباعتباره المسئول الاول عن حادث فندق الملك داوود

.ولقد أدى ذلك الحادث الى ملاحقته، لكن بيجن هرب واختبأ ولم يظهر له أثر إلا بعد إعلان دولة اسرائيل عام ١٩٤٨، وعندئذ قام بتأسيس حزب حيروت ودخل كنائب فى أول برلمان لاسرائيل.

ومن الثابت أن منظمة (أرجون) هى التى نفذت مذبحة قرية (دير ياسين) الفلسطينية عام ١٩٤٨ وهى المذبحة التى راح ضحيتها مائتان وخمسون من العمال الفلسطينين الذين كانوا عائدين وقت الغروب من عملهم فتربص لهم أعضاء (أرجون) وقتلوهم - بأعصاب باردة- بالرصاص. وكان الهدف الحقيقى لبيجن من تلك الجريمة المروعة هو دفع عشرات الالوف الفلسطينيين إلى ترك منازلهم وأراضيهم الى الاقطار العربية الاخرى بحثا عن الأمان.

وتلك كانت فى رؤيته الخطوات الأولى لحلم اسرائيل الكبرى لاحلال «شعب بلا أرض فى أرض بلا شعب».

والمحاولات التى تبذل الآن فى بعض صحف الغرب بمناسبة وفاته لتصوير مناحم بيجن كسياسى ماهر ليست جديرة بأى تصديق .فحتى جيمى كارتر- الرئيس الامريكى أيام معاهدة الصلح مع اسرائيل- لم يملك الا أن يعترف بأن بيجن كان رجلا ضيق

الانق لا فى الشئون الدولية فحسب وإنما فى الشئون الاقليمية كذلك.

إنه قاتل عريق ومتآمر من الطراز الأول، ومن سخريات القدر أنه حصل على جائزة نوبل للسلام! فمناحم بيجن لم يطرف له جفن عندما قابل **السادات** فى شرم الشيخ بينما دكت الطائرات الحربية الاسرائيلية **المفاعل النووى العراقى** فى بغداد ولم يتردد بيجن فى إصدار أوامره بغزو لبنان فى نفس الموعد الذى قامت فيه اسرائيل بالهجوم على مصر عام ١٩٦٧.. أوائل حزيران سنة ١٩٨٢.

ولقد كان القضاء على منظمة التحرير هو أمله، ومسعاه من غزو لبنان. فحلم اسرائيل الكبرى الذى دفع الى مذبحة **(دير ياسين)** يفترض أيضا **أغتيال منظمة التحرير** لتسهيل عملية إخراج من تبقى من شعب فلسطين من أرضه.. ولقد كان القادة العسكريون الاسرائيليون، قد توصلوا إلى قناعة بأن الاجهاز على منظمة التحرير يستلزم بالضرورة غزو لبنان وتغيير نظام الحكم فى بيروت بترتيب مع الكتائب.

وكان بيجن يعد لها ويظن أن القوات الاسرائيلية سوف تشق طريقها إلى بيروت كما تشق السكين قالب الزبدة، وأنها سوف تطبق على مخبأ **عرفات** فى بيروت كما أطبقت القوات السوفييتية على مخبأ هتلر فى برلين عام ١٩٤٤. ونظر بيجن وناصحوه إلى اتفاق الصلح مع السادات من هذه الزاوية بالدرجة الأولى.. **فهى معاهدة تعزل جيش مصر عن الحدود الاسرائيلية بمناطق شاسعة فى سيناء منزوعة السلاح وبقوات مراقبة أمريكية تملأ هذه المناطق الشاسعة، أى أن هدف بيجن الذى نجح فيه هو إخراج مصر نهائيا من معادلة المواجهة،** وكان هذا هو الشرط الضرورى الذى أوضحته حرب ١٩٧٣- لإطلاق يد اسرائيل فى التعامل العسكرى مع الفلسطينيين واللبنانيين والسوريين.

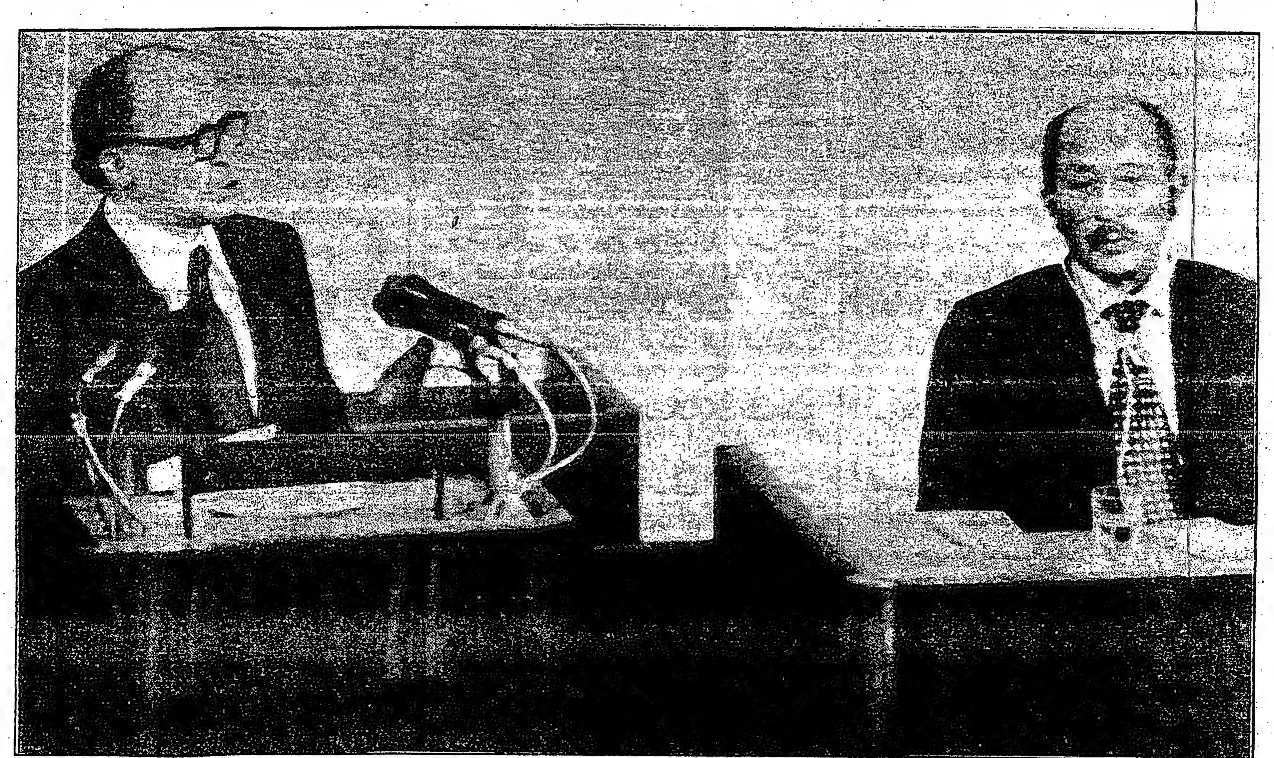
وهكذا دفع الشعب اللبنانى والشعب الفلسطينى فى «يونيه» حزيران عام ١٩٨٢ فاتورة حساب كامب دافيد.

لكن نتائج الغزو الاسرائيلى للبنان لم تكن على هوى **مناحم بيجن** ..نعم لقد جاء قاتل عريق آخر رئيسا لجمهورية لبنان **(بشير الجميل)** والدبابات الاسرائيلية تحاصر بيروت ،ولكن مصرع بشير الفاجع بعد ذلك بفترة وجيزة لم يدع الآمال الاسرائيلية تستمر طويلا. نعم.. لقد خرجت منظمة التحرير من لبنان، لكن كوادرها الاساسية لم تدمر بل وعادت بعض هذه الكوادر بعد ذلك لحماية المخيمات.

نعم.. لقد وضع الاتفاق اللبنانى الاسرائيلى على طراز كامب دافيد ، لكن الحكومة اللبنانية- تحت ضغط سوريا والحركة الوطنية اللبنانية- قد رفضت أن تضع توقيعها النهائى عليه.

وفى اللحظات الاخيرة تردد بيجن فى اقتحام كامل بيروت ، وطافت السيارات الاسرائيلية وعليها مكبرات الصوت تعلن «ياأهالى بيروت الكرام إننا منسحبون» ولقد اتضح بعد ذلك أن الذى كان وراء قرار بيجن **بعدم اقتحام كامل بيروت هو أن الخسائر البشرية فى صفوف الجيش الاسرائيلى كانت فى تزايد مستمر نتيجة المقاومة البطولية لحركتى المقاومة المسلحة اللبنانية والفلسطينية..** أكثر من ٦٠٠ قتيل اسرائيلى ونحو ألفى جريح مما أثار أكثر المظاهرات شعبية ضد الحرب فى تاريخ اسرائيل، ثم جاءت مذابح صبرا وشاتيلا وأصدرت لجنة **كاهانا** تقريرها المشهور الذى حمل بيجن علنا قدرا من المسئولية عن تلك المذابح.

وكما كان حلم بيجن فى غزو لبنان هو القضاء على منظمة التحرير نهائيا وإلى الابد، فقد ثبت أن خسائر اسرائيل البشرية فى



مناحم بيجن.. والسادات...ونوبل

هذا الغزو كانت العامل الاول فى اعتزال بيجن الحكم وتسليم السلطة الى شامير فى سبتمبر سنة ١٩٨٣. وكان المسرح اللبنانى وماجرى من تدمير لمركز قيادة القوات المتحالفة الامريكية والفرنسية على يد حزب الله، ومن معارك فى الجبل بين الاسطول السادس الامريكى وقوات الحركة الوطنية اللبنانية المدعومة فلسطينيا قد أوضح أن ابتلاع شبه لبنان ليس نزهة وأن خسائر هذا العمل فادحة، فانسحب الامريكيون والفرنسيون كما انسحب الاسرائيليون من بيروت.

***

وهكذا حل شامير محل مناحم بيجن.. يسير على نهجه ويحلم بأحلامه.. اسرائيل الكبرى كما جاءت فى «التاريخ» وكما وعد بها «الرب» شعبه المختار! ومع أن بيجن قد وصل عام ١٩٨٣ إلى قناعة بأن اعتزاله واستلام شامير هو الانسب لتحقيق هذا الحلم، إلا أنه ظل مداوما على تقديم النصح لهذا الأخير. وأنباء الصحف العربية تقول إن مناحم بيجن قدم لشامير -خلال مفاوضات مدريد وواشنطن الاخيرة- نصيحتين تمسك بهما شامير تمسكا شديدا. **الاول هى ألا ينسحب من المفاوضات الثانية والا يقدم أية تنازلات على الاطلاق.**

وهذه النصيحة الثانية هى التى أدت إلى المواجهة الاخيرة- أو قل المأزق الاخير- بين الادارة الامريكية وشامير حول قضية ضمانات القروض المطلوبة للسنوات الخمس القادمة (١٠ مليار دولار) وعلاقتها بمسألة المستوطنات فى الاراضى المحتلة. فلا توجد فرصة لدى اسرائيل للحصول على هذا القدر من المال دون ضمان أمريكى. ومالم يأت هذا القرض فإن النشاط الاقتصادى الاسرائيلى سوف يصاب بأضرار فادحة، وليس صحيحا أن هذا القرض يتعلق فقط ببناء مستوطنات جديدة بالاراضى المحتلة. فحقيقة الامر أن هذا القرض هو العنصر الجوهرى فى استراتيجية ليكود الاقتصادية للسنوات الخمس القادمة، وبدونه يستحيل تحقيق توسع فى النشاط الاقتصادى الاسرائيلى لخلق فرص عمل لعشرات الآلوف العاطلين من الموجودين باسرائيل اليوم وللقادمين الجدد، وبدونه يستحيل المحافظة على معدلات عالية من الهجرة الى اسرائيل كما يستحيل الاستمرار فى بناء المستوطنات فى الاراضى المحتلة.

فكيف تخرج قيادة ليكود من هذا المأزق وهى الملتزمة إيديولجيا بمشروع اسرائيل الكبرى على أساس حق «التاريخ» ووعد «الرب»؟

إن التوسع المستمر فى بناء المستوطنات فى الضفة الغربية هو مسألة حياة أو موت عند قادة ليكود، وتجميد المستوطنات يعنى توجيه ضربة عنيفة لاسطورة اسرائيل الكبرى. فهل يمكن القول إن قادة اسرائيل قد بدأوا يستيقظون على حقائق دولية جديدة- كما يزعم بعض المحللين الغربيين- بعد انتهاء الحرب الباردة وتوسع الصحوة الاسلامية وانفتاحها على دول آسيا الوسطى المستقلة حديثا؟

ليس بعد فيما يبدو حتى الآن.. فالحسابات الاسرائيلية لاتزال تراهن على الوصول الى حل وسط مع الادارة الامريكية حول قضية ضمانات القروض، أو المراوحة حتى تضطر الادارة الامريكية على ضوء الضغوط الانتخابية اليهودية قبل نوفمبر الى التراجع.. وفى أسوأ الاحوال فإن ليكود يمكن أن تراهن على سقوط برش فى الانتخابات القادمة ووصول المرشح الديمقراطى إلى البيت الابيض.

والذى جرى فى واشنطن فى الجولة الرابعة من المفاوضات، والذى جرى فى لبنان مؤخرا من قتل الشيخ عباس موسوى وعائلته- بأمر من شامير- والذى يجرى كل يوم فى الارض المحتلة من قتل الفلسطينيين ضمن محاولة تصفية الانتفاضة.. إنما يدل على أن نصيحة بيجن لشامير هى النصيحة السائدة.. لاتراجع خطوة واحدة.



مناحم بيجن.. ومعه السادات ومصطفى خليل

وهذا التمسك بنصيحة بيجن ذو ارتباط وثيق بمسألة الانتخابات الاسرائيلية التى سوف تجرى فى يونيو القادم. فليكود تراهن على أن تفوز فيها على حزب العمل، ومعظم استطلاعات الرأى هناك تشير إلى ذلك.

إنه المأزق إذن مستمر.. فى المنظور القريب على الاقل.

ولكن مع تزايد الضغوط الدولية فإن الحل سوف يأتى مع الزمن، عندما تتزايد المقاومة الفلسطينية واللبنانية خصوصا والعربية عموما.. عندئذ وعندئذ فقط سوف ينصت الاسرائيليون لصوت العقل ويدركون أن إقامة دولة فلسطينية وحق تقرير المصير للشعب الفلسطينى هو أمر حتمى سهما طال الزمن، لكن شرط هذا الادراك أولا وأخيرا هو حجم الخسائر البشرية الاسرائيلية.

إن هذا هو درس فرنسا فى الجزائر، ودرس بريطانيا فى اليمن الجنوبى، ودرس أمريكا فى فيتنام. ومن حسن الحظ أن أعمال المقاومة الفلسطينية قد تحولت اليوم من مجرد العمل الجماهيرى والحجارة الى المزج بين العمل الجماهير والنشاط المسلح فبدأت أعداد القتلى والجرحى من الاسرائيليين كل يوم فى تزايد نتيجة المقاومتين.. الفلسطينية فى الضفة الغربية والقطاع، واللبنانية فى جنوب لبنان

وعلى الحكومات العربية التى تعيش فى وهم أن السلام على الابواب وأن تستيقظ على حقائق الموقف.

"نظام الجبهة" يزداد ضعفاً والمعارضة تزداد قوة!

التيجانى الطيب بابكر

لابد لى أولا، كسودانى معارض، من ان أشكر الصديقة الاستاذة «أمينة النقاش» على اهتمامها المثابر بالسودان وعلى سعيها المثابر لرفع صوت تحذير لنا، نحن الغارقين فى مشاكل وهموم العمل اليومى، فى هذا المنعطف أو ذاك من منعطفات المعركة القاسية التى نخوضها للإطاحة بنظام الجبهة الاسلامية الديكتاتورية الدموى.

غير أن هذا العرفان بجميل الأستاذة أمينة لايمنعنى، بل ينبغى ألا يمنعنى، من إبداء بعض الملاحظات على مقالها بعنوان (صراع الضعفاء فى السودان) المنشور فى العدد الماضى (مارس) من مجلة اليسار. فالاستنتاجات التى وردت فيه تبدو غريبة إذ تأتى من قلمها وهى التى أتيحت لها معرفة حميمة بالسودان وحركته السياسية:

ولتسمح لى الأستاذة أمينة بان أبدأ، بالتعجب من طابع الحياد بالغ البرودة الذى ساد المقال. ان الموضوعية فى معالجة القضايا السياسية تتطلب قدرا من البرود والحيدة. ولكن الانحياز للحقيقة هو أساس الموضوعية.

والحقيقة التى لايمكن التغاضى عنها هى أنه تتشكل الآن فى السودان قسمات دولة دينية ظلامية، وينشأ فيه مركز لأممية جديدة تستخدم التعصب والأرهاب أدوات للانتشار والتمكن، وتتبلور فيه سياسة خارجية عدوانية «شرانية» لاتأخذ فى الاعتبار مصالح الجوار والمنافع المشتركة مثل المياه والتبادل التجارى، وانما تسخر الحاجات المتبادلة لتنفيذ الأطماع والوثوب إلى السلطة بكافة الوسائل.

لذلك تصبح النظرة «المتجردة» المطلقة محاولة يائسة للاستغناء بالتحليل الشكلى عن التحليل الموضوعى الذى ينفذ الى أعماق الواقع وحركته ليصل الى الحقيقة. وبالتالى يكون ابتعادا فعليا عن ذلك الواقع وظله الكثيف القائم على مصر وشعبها ومايترتب على إدراكه من مهام على مجمل الحركة الوطنية والديمقراطية المصرية.

كيف تصور الأستاذة أمينة الوضع فى السودان؟

القارئ العادى للمقال و«اليسار» نافذة للكثيرين من القراء العاديين للأوضاع خارج مصر- يخرج بالانطباع بان طغمة الجبهة الاسلامية الحاكمة فى الخرطوم تلعب أوراقها بمهارة، فتنجح فى كسر طوق العزلة المضروب حولها وفى تحييد الدول الافريقية المجاورة، وفى الاستقواء بالقوة الاقليمية الايرانية" الصاعدة فى مواجهة القوة الاقليمية المصرية مما يتيح لها الخروج بمكاسب فى علاقتها بمصر وفى صراعها ضد المعارضة رغم إخفاقاتها فى السياسة الاقتصادية.

أما المعارضة السودانية، ورغم النجاح النسبى الذى حققته فى لندن، فتعانى من الانقسامات مما يحسب رصيدا إضافيا لنظام البشير لأنه المستفيد الأول من تشتت خصومه وضعف معارضيه. ومن هنا تقترح الاستاذة أمينة على المعارضة أن تتوصل الى حل جذرى لخلافاتها، وأن تطرح برنامجا عمليا يفسح مجالا أوسع للمناورة وتمهد الطريق لتنفيذه بمد جذورها لتوظيف السخط الشعبى المتصاعد فى الداخل لصالح أهدافها.

وفى الختام يتوصل المقال الى الاستنتاج النهائى التالى والذى يشكل محتوى عنوانه: **ستظل إشكالية «المسألة السودانية» ان الحكومة ضعيفة رغم ادعاءاتها، و وان المعارضة ليست قوية بالشكل القادر على مواجهتها.**

عنوان المقال وختامه يوحيان بوجود صراع عقيم، أزمة عقيم stalemate، فى السودان، وبان هذه الحالة «ستظل». ولعل هذا هو مصدر الاقتراح الغامض، كمخرج للمعارضة، بأن تطرح برنامجا عمليا **«يفسح مجالا أوسع للمناورة»**. وهذه فكرة تراودها فى مايبدو وتلح عليها، اذ تحدثت فى عدد سابق من **«اليسار»**، دون سند ملموس، عن ميل بعض أقطاب المعارضة للتصالح مع طغمة الجبهة الاسلامية. فما الذى يمكن أن تناور عليه المعارضة مع نظام ظلامى سافر، تتناقض آفاقه تناقضا تاما مع أهداف استعادة الديمقراطية القائمة على التعددية السياسية والدينية والعرقية والثقافية؟

الشئ العملى الوحيد الذى يمكن التناور والتصالح عليه هو التعايش أى القبول بحرية الرأى والتعبير، وحرية التنظيم والنشاط السياسى والثقافى، والتعددية، وتداول السلطة. وهذه كلها مرفوضة من الأساس فى طرح الجبهة الاسلامية وفكرها، فضلا عن انها انقضت بالفعل عليها عندما انقلبت عليها فى الثلاثين من يونيو عام ١٩٨٩. ومنذ ذلك التاريخ إرتكبت الجبهة من الجرائم فى حق التعايش مالايمكن معه طرح المصالحة معها بأى قدر من الجدية. فمع مشرق كل شمس تتخذ

سلطتها من الاجراءات والسياسات ماتحلم عبثا بان يجتث من الجذور أي فكر أو تنظيم آخر في الحياة السودانية.

ومن ثم فان اقتراح الحل العملي الذي «يفسح مجالا أوسع للمعارضة» ليس في جوهره سوى دعوة لتلك المعارضة بان تستسلم. وهذا استنتاج يتفق مع منطق مقال الأستاذة أمينة. فنظام البشير يخرج من حصار العزلة ويزداد قوة بضعف المعارضة وتشتتها. ولذلك فالخير كل الخير للمعارضة ان تجد سبيلا للتصالح معه.

وأعتذر بإخلاص ان كان ذلك فهما مغلوطا للمقال او لنوايا الأستاذة أمينة. يزيد من حرصي على الاعتذار ان الوضع صعب معقد فعلا في السودان. وواقع الأزمة المقيم stalenate، الظاهر الآن في السطح، يدفع الكثيرين حتى بين السودانيين أنفسهم للتساؤل: **إذا كانت الأغلبية الساحقة من الشعب، كما تدعي المعارضة، ترفض نظام الجبهة الاسلامية، فلماذا بقي مايقرب من ثلاثة أعوام ويبدو وكأنه سيبقى أمدا غير معلوم؟**

الإجابة ليست سهلة ولابسيطة. فهناك جملة من العوامل الداخلية والخارجية المتشابكة والمتداخلة التي تتطلب أخذها في الأعتبار ووزن دور كل منها في تشكيل الوضع القائم الآن في السودان. ولن أحاول هنا أن أطرح أجابة تفصيلية وافية، وانما سأكتفي برؤوس موضوعات امل أن أعود اليها مرة أخرى.

* سارع نظام الجبهة الاسلامية الى تجريد الشعب ليس فقط من الأحزاب والصحافة والدور السياسية والاجتماعية وحرية الاجتماع، وانما ايضا من النقابات في بلد صارت فيه **النقابات منذ مايقرب من خمسين عاما نمط حياة وتنظيمات للقوى الحديثة**. وهكذا غيب النظام أدوات العمل الجماهيري بصورة لم يعرفها شعبنا من قبل حتى في أشد عهود الديكتاتورية ظلاما.

* طرد النظام الاف العناصر من القوات المسلحة والشرطة والخدمة المدنية، من بين معارضيه وحتى من الذين لاينتمون للجبهة الاسلامية فحسب، وأبدلهم بكوادر عناصر الجبهة، بحيث لم تعد تلك الجبهة حزبا حاكما وحسب وانما صارت **الحزب/الدولة**. وهذه من المستجدات ذات الاهمية الكبرى. **ففي كل الانتفاضات الواسعة السابقة، كان العاملون في المكاتب الحكومية يشكلون أساس الاضرابات** والمظاهرات، **كما كان تركيب القوات المسلحة والشرطة يسمح بان تنحاز أقسام مؤثرة منهما للانتفاضة أو ترفض توجيه حد القمع ضدها. لكن تغير الوضع اليوم.** صحيح انه مازالت هناك امكانات واسعة للعمل في هذا المجال. غير أن طابع القمع ازداد وتقلص حجم القوى التي كانت يمكن ان تنحاز للانتفاضة او ان ترفض ضربها. يضاف الى ذلك ان النظام شكل **مليشيا من عناصر الجبهة ودربها على التجسس والتعذيب والقمع**. وهكذا تضعف امكانات الانتفاضة بشكلها الذي عرفته الحياة السودانية (اضراب عام ومظاهرات)، ويصبح من الواجب التفكير في حماية أية انتفاضة مقبلة بالسلاح- **أي ان تكون انتفاضة شعبية مسلحة.**


التيجاني الطيب بابكر

* يمارس النظام العنف ضد معارضيه بصورة لم يعهدها شعبنا من قبل، حتى في عهد السيطرة التركية في القرن الماضي، وقد صار التجسس والطرد من العمل والاعتقال والتعذيب سمة ثابتة ويومية للحياة في السودان. وليس المطلوب في مواجهة هذا هو فقط الصمود وعدم الانكسار، وانما التوصل الى الأشكال الملائمة في ظل دولة بوليسية شديدة الوطأة لتنظيم قوى المعارضة الحزبية والنقابية وغيرها لمواصلة وتصعيد النضال ضد النظام الحاكم.

* هناك ايضا **الانقسام الذي وقع في «الحركة الشعبية لتحرير السودان»** والذي قدم خدمة كبيرة لطغمة الجبهة الاسلامية، سواء في إضعاف «الحركة» عسكريا، أو في رفع شعارات الانفصال والتجزئة على أسس دينية وعرقية.

* وهناك ايضا سقوط نظام منجستو في اثيوبيا. **ومن المفارقات ان يؤدي انتصار الديمقراطية، او على الأقل سقوط الديكتاتورية، في البلدان المجاورة الى مايساعد على دعم الديكتاتورية في السودان!!**

هذه الاسباب، ويمكن إضافة غيرها، تشترك جميعها بأقدار متفاوتة في بقاء نظام الجبهة الاسلامية، رغم انه كنظام يستند الى قاعدة ضيقة وهشة. لكن أهم الأسباب يكمن في تقديري في ان الاقسام الواسعة من الشعب، وفي مقدمتها قواه الحديثة، من عمال وموظفين ومهنيين وزراع في مناطق الانتاج الحديث، والرافضة حتى الآن وفي المستقبل المنظور لنظام الجبهة الاسلامية **ترتعد من مجرد التفكير في انها قد تضحى مرة أخرى، كما ضحت مرارا من قبل، لتعود من جديد الى نفس الاوضاع التي عاشتها منذ الاستقلال وحتى ٣٠ يونيو ١٩٨٩.**

ان طلائع هذه القوى في الاحزاب والنقابات هي التي تحتمل اليوم عبء آلة القمع الرهيب التي تسخرتها ضدها الجبهة الاسلامية. ورغم تعاطف الجماهير الواسع مع طلائعها، **الا انها تفكر في البديل، ليس فقط للنظام الراهن وانما لمجمل حياتها السابقة.**

وقد صاغ التجمع الوطني الديمقراطي ملامح هذا البديل في اجتماع قياداته في لندن (٢٦ يناير- ٣ فبراير من هذا العام). غير أن المطلوب ان تقتنع الجماهير بهذا البديل، وان يصبح بديلها، وأن تستطيع فرضه والمحافظة عليه بعد الاطاحة بنظام الجبهة الاسلامية وهذه مهمة يتطلب تنفيذها بنجاح جهدا تنظيميا وفكريا وسياسيا لايستهان به.

وإذن فإشكالية «المسألة السودانية» (على حد تعبير الأستاذة أمينة) ليست في الجانب الموضوعي وانما هي في الجانب الذاتي، في القدرات الذاتية للمعارضة. **ومن زاوية وجهة التطور الموضوعية فان نظام الجبهة الاسلامية يزداد ضعفا، في حين تزداد المعارضة قوة.** من الناحية الموضوعية لايمكن لنظام لايقدم لشعبنا سوى المجاعة والحرب إلا أن يجد المعارضة المتزايدة، مهما بلغ جبروته ووحشيته. أما التجمع الوطني الديمقراطي فان الطريق أمامه مفتوحة، بعد لندن، ليتخلص من كل نقاط ضعفه وليكسب ثقة الجماهير ويقودها الى النصر.

عالم مابعد الحرب البــاردة

أمريكا ضد حلفائها

رسالة واشنطن



فى عام ١٩٧١ حدثت «أكبر» عملية تسريب لوثيقة سرية أمريكية وكانت حتى ذلك الوقت «أخطر» عملية تسريب اسرار من نوعها فى التاريخ الأمريكية «أكبر» لأنها كانت تتمثل فى وثيقة تجاوز عدد صفحاتها سبعة آلاف صفحة. و«أخطر» لأنها كانت تتعلق- وقت تسربها إلى الصحافة- بأخطر قضية مثارة فى الحياة السياسية والثقافية الأمريكية.. وهى قضية الحرب الأمريكية فى فيتنام. ووقتها- فى عام ١٩٧١- كانت ثورة الرأى العام الأمريكى على هزم الحرب قد بلغت ذروتها وفجرت فى المدن الأمريكية انتفاضات لم تشهد أمريكا لها مثيلا فى أى وقت.

كانت المؤسسة الحاكمة الأمريكية فى أزمة عميقة وتحاول «الخروج» من ورطة الحرب فى فيتنام بسياسة تسير على خطتين منفصلين: تصعيد جنونى للجهمات الجوية ضد فيتنام (الشمالية) وتصعيد من نوع آخر على موائد المفاوضات أمام النيتناميين فى محادثات باريس ولم يكن خافيا على أحد فى ذلك الوقت أن المؤسسة العسكرية الأمريكية- وهى قسم لايستهان به من مؤسسة الحاكمة- كانت قد توصلت إلى استحالة تحقيق انتصار ولو زائف فى الحرب النيتنامية. وأصبح الهدف الحقيقى الملقى على عاتق الادارة- ادارة ريتشارد نيكسون آنذاك- البحث عن «مخرج يحفظ ماء الوجه.»

تلك كانت علية تسريب أصبحت معروفة بعد ذلك باسم «البنتاغون السرية» ..وكانت وثيقة ضخمة من وثائق وزارة الدفاع الأمريكية تؤرخ لتدخل امريكا العسكرى فى فيتنام من عام ١٩٤٥ إلى عام ١٩٦٧. وقد أعلن مسؤوليته عن تسربها الى صحيفة ... الأمريكية (التى بدأت ... حلقات يومية فى ١٣ يونيو

(١٩٧١) باحث يسارى أمريكى اسمه **دانيل الزبرج** كان وقتها مستشارا لشئون الأمنية فى وزارة الدفاع الأمريكية. وكان هو نفسه عضوا فى الهيئة التى وضعت هذا التقرير الضخم بعنوان «**عملية صنع القرار الأمريكى بشأن فيتنام: ١٩٤٥-١٩٦٧**».

كان لنشر هذه الوثيقة الصحافة وقع الصاعقة على الادارة الأمريكية- التى سارعت إلى القضاء تطلب وقف النشر، وساعت أيضا باقامة الدعوى على الزبرج بثلاث اتهامات رئيسية هى الجاسوسية والتآمر وسرقة وثائق الدولة. وقد رفض القضاء الأمريكى طلب الحكومة اصدار حكم بوقف النشر.. ورفض القضاء بعد ذلك عام ١٩٧٣، أى بعد عامين- اتهامات الحكومة ضد الزبرج.. دون الحاكمة.

ومنذ ذلك الوقت لم تقع عليه تسريب الوثائق أو أسرار رسمية إلى الصحافة الأمريكية لها القدر نفسه من الزهمية، سواء من حيث طبيعتها العسكرية أو ظروف نشرها، ولاشك أن نشر «**أواق البنتاغون السرية**» عن جذور التورط الأمريكى فى حرب فيتنام قد ساهم فى النهاية فى اجبار حكومة نيكسون على انهاء الدور العسكرى الأمريكى فى فيتنام على مائدة مفاوضات باريس.. أى قبول الهزيمة فعليا.

... إلى أن سربت إلى صحيفة «**نيويورك تايمز**» أيضا فى شهر مارس الماضى وثيقة عسكرية على درجة بالغة من الخطورة عن الخطة الاستراتيجية الامريكية لعالم مابعد الحرب الباردة.

وحتى كتابة هذه السطور لم يعرف من سرب هذه الوثيقة السرية من وزارة الدفاع الى الصحافة الأمريكية. وأغلب الظن أن لن يعرف أبدا. كما أن الادارة الأمريكية لن تحاول محاسبة أحد على هذا التسريب. ربما لأن القضية ليست للتهبة كما كانت قضية حرب فيتنام عندما تسربة أوراق البنتاغون السرية عام ١٩٧١. وربما لأن الادارة الأمريكية تعرف أنها من تحصل على قرار من القضاء أفضل من ذلك يتقدم بطريقة بطولية - كما فعل الزبرج قبل ٢١ عاما- ليعلن أن هو الذى سرب الوثيقة السرية.. فليست هناك فى الحقيقة قضية امريكية كما كان الحال عام ١٩٧١، حينما كان الامريكيون فى ذروة ثورتهم ضد إهدار الدم الامريكى عبثا فى فيتنام وربما لأن واشنطن سربتها عاهدة(...)

مع ذلك فان خطورة الوثيقة السرية الزخيرة لاتقل عن خطورة تلك التى فجرت أزمة قومية واسعة النطاق عام ١٩٧١.

ولنلاحظ- أولا- أن الوثيقة السابقة كانت تتعلق بالماضى.. تكشفت عن جذور تاريخية لتورط أمريكا العسكرى التدريجى فى حرب فيتنام. وثانيا أنها كانت وثيقة سياسية فى الأساس تقررت عن الكيفية التى كانت تجرى بها عملية «صنع القرار» فى السنوات من نهاية الحرب العالمية الثانية حتى ١٩٦٧. ولم تكن مشحونتبأية أسرار لخطط سياسية أو عسكرية.

أما الوثيقة التى تسربت فى الشهر الماضى فأنها تتعلق بالمستقبل تملن- بتسربها- **أسرار التفكير والتخطيط العسكرى والسياسى الامريكى بشأن الوضع العالمى ككل لسنوات طويلة بعد نهاية القرن الحالى**. وهى- فضلا عن هذا - تبئ دولا كثيرة أخرى- بالأخص أقرب حلفاء الولايات المتحدة- عن الخطط الامريكية المستقبلية التى تتعلق بها وبأموراها فى عالم المرحلة المقبلة فى ظل «**النظام العالمى الجديد**».

والخطة الاستراتيجية السرية فى هذه الوثيقة ترمى الى تأكيد «**عالم تسيطر عليه قوة عظمى واحدة (هى الولايات المتحدة طبعا) تعزز مركزها بالسلوك البناء وبقوة عسكرية تستطيع أن تروج أى دولة أو مجموعة من الدول عن تحدى**

التفوق الأمريكي.. ولكي تحوز الولايات المتحدة هذا الدور ينبغي أن تأخذ في الحساب مصالح الدول الصناعية المتقدمة بدرجة كافية لكي تثنيها عن تحدي زعامتنا أو السعي لقلب النظام السياسي والاقتصادي القائم».

وتستخدم «نيويورك تايمز» في عرضها للوثيقة السرية الخطيرة تقديرات لابد أن نلاحظ أنها لايمكن أن تكون قد جازفت بها دون الرجوع إلى المصدر أو المصادر التي سربت اليها الخطة الاستراتيجية.

على سبيل المثال تقول «الصحيفة أن وثيقة البنتاغون تحدد بدقة أوضح رفض- حتى هذا التاريخ- للجماعية الدولية»، وهي الاستراتيجية التي كانت قد برزت من الحرب العالمية الثانية حينما سمحت الدول الخمس الكبرى (أمريكا، الاتحاد السوفيتي، بريطانيا، فرنسا، الصين) لتكوين الأمم المتحدة، حتى يمكنها أن تتوسط في النزاعات وأن تضبط اندلاع أعمال العنف.

وهذه اشارة يمكن الجزم بأن الادارة الأمريكية تريدها أن تصل إلى الرأي العام في الدول التي يمكن أن تفكر في تحدي ادارة أمريكا.. اشارة إلى أن **الولايات المتحدة- لا الأمم المتحدة- هي الحاكم على النظام العالمي الجديد.. مهما قيل- حتى من جانب الولايات المتحدة نفسها- عن أهمية دور الأمم المتحدة في المرحلة المقبلة.**

والأمر المؤكد ايضا أن وثيقة البنتاغون السرية ليست مجرد وثيقة من وضع مجموعة من مخططي المؤسسة العسكرية الزمريكية- أو الجنرالات الاستراتيجية. بعد ساعات من نشرها كان قد أصبح معلوما في دوائر العاصمة الأمريكية- في الكونجرس وفي مراكز الابحاث وفي الصحافة وفي الدوائر الدبلوماسية الأجنبية أيضا- أن **الرئيس بوش وأعضاء الأمن عن القومي ووزارة الخارجية لعبوا أدوارا في وضع الوثيقة.**

وقد ذكرت **«نيويورك تايمز»** فما وصف الشخص الذي سرب اليها الوثيقة أن **«مسؤول رسمي يعتقد أن هذه الاستراتيجية لحقبة مابعد الحرب الباردة ينبغي أن تناقش علنا».**

ويبدو من المرجع أنها ستثير مزيد من الجدل في الكونفرس وبين حلفاء أمريكا بشأن مدى استعداد واشنطن للتسامح مع طموحات أكبر الى القيام بادوار القيادة الاقليمية من جلب أوروبا موحدة أو من جانب اليابانى بعد أن تكون قد أصبحت أكثر تأكيدا لذاتها».

لم تقل «نيويورك تايمز» شيئا عن مغزى توقيت تسريب هذه الوثيقة اليها. مع أن هذا أمر بالغ الأهمية.. لماذا الآن بالذات في وقت لايبدو فيه أن أحدا في أوروبا أو اليابان أو «كومنولث الاول المستقلة» الذي يضم معظم أشلاء الاتحاد السوفيتي السابق يبدي أي تحرك لتحدي الزعامة الوحيدة «لامريكا في العالم».؟

لكن اذا لم تكن «نيويورك تايمز» تريد أن تذكر شيئا عن التوقيت.. وهو بالتأكيد رغبة «المصدر» إلا أن هذا لن يعفي الآخرين من وضع السؤال عن التوقيت في الحسبان.

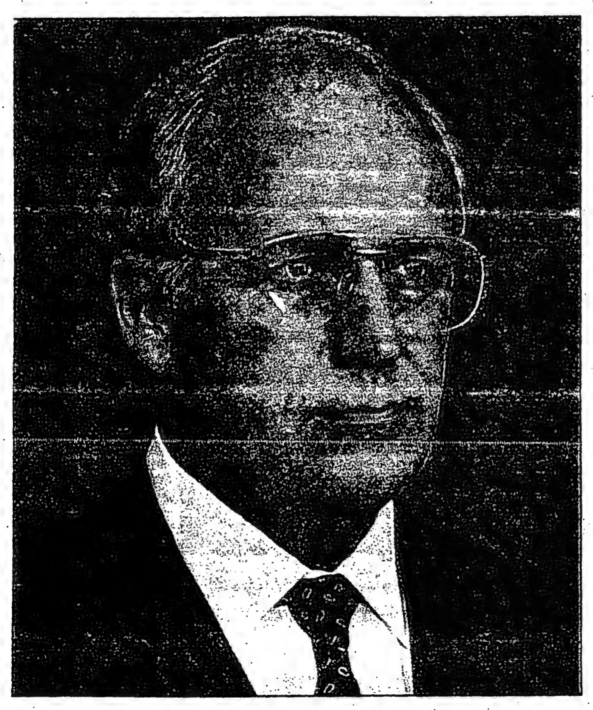
وتختص الاجابات حسب معيار أساسي واحد: هل تسربت هذه الوثيقة على الرغم من الادارة الامريكية؟ أم أنها تسربت بايعاز منها؟

والذين **يذهبون الى الوثيقة تسربت دون ارادة الادارة الامريكية- يوجهون اتهامهم اساسا الى اسرائيل وأنصارها وطابورها الخامس، في** محاولة لاحرج مركز الولايات المتحدة مع حلفائها الرئيسية في اوروبا واليابان، أو احراج **بوش** ووزير خارجية **بيكر** في وقت دخلت فيه حملة انتخابات الرئاسة الأمريكية مرحلة حرجة.

ويشار في هذا الصدد بشكل خاص إلى أن تسرب الوثيقة السرية للبنتاجون الى «نيويورك تايمز» المعروفة بتأييدها القوى لاسرائيل كان ضمن اطار **أزمة حادة في العلاقات الامريكية- الاسرائيلية بسبب تمسك ادارة بوش بشروطها لتقديم ضمانات قروض لاسرائيل بقيمة ١٠ الاف مليون دولار، وفي مقدمة هذا الشروط وقف اقامة المستوطنات اليهودية في الاراضي العربية المحتلة.**

ويشار- من جانب آخر- إلى أن الادارة الامريكية عمدت بعد تسرب هذه الوثيقة مباشرة الى تفجير أزمة آخرى مع اسرائيل عن طريق **نشر معلوماتها السرية عن نشاط اسرائيل المستمر في بيع الاسلحة الأمريكية المتقدمة- والتكنولوجيا العسكرية الأمريكية- لدول أخرى دون أذن مسبق من واشنطن،** كما تقيض الاتفاقات الثنائية بينها. وقد اعتبر كشف هذه الانتهاكات الاسرائيلية في هذا الوقت نوعا من الرد السريع على مايمكن أن يكون دور اسرائيل وأنصارها في أجهزة السلطة الأمريكية في تسرب وثيقة «البنتاغون» عن استراتيجية منع قيام دولي منافسة لأمريكا عالميا.. سواء من المانيا أو اليابان.. أو جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق.

ومن جانب آخر- وفي اطار الافتراض بأن تسرب هذه الوثيقة تم على الرغم من الادارة



تشيني

الامريكية لابعلمهاا- تردد رأى يذهب إلى أين بعض الدول الحليفة لأمريكا، التى تمسها هذه الوثيقة بصورة مباشرة أو غير مباشرة.. ربما تكون وراء تسريبها لاحراج الولايات المتحدة. أما تسريبها عن طريق الصحافة الأمريكية- وليس فى الصحافة الأوروبية أو اليابانية- - ماتقصد منه حماية الذى حصل عليها وبهما يعزز من هذا الرأى مايلاحظ من أن الولايات المتحدة تتكتم بصورة شبه تامة على كل ردود الفعل التى يمكن أن تكون قد صدرت عن الدول الاوربية أو عن اليابان نتيجة للمعلومات التى تضمنتها الوثيقة، والتى تؤكد عزم الولايات المتحدة على الانفراد بمركز الدولة الأعظم فى العالم.. ومنع قيام أى منافسة لها على هذا الدور، بكل السبل، بل ان من الواضح أن ردود الفعل الاوروبية واليابانية تتخذ طابعا أكثر سرية مما كان متوقعا. فهى تسير فى القنوات الدبلوماسية.. ولاتكاد تظهر فى الاعلام الاوروبى أو اليابانى.

ومع ذلك فيبدو أن الفرضية القائلة بان هذه الوثيقة عن الاستراتيجية السرية الأمريكية بفترة مابعد الحرب الباردة انما سربتها الادارة الامريكية عامدة. لها خطها من المعقولية.

وتستند هذا الفرضية إلى أن هذه الطريقة معروفة وكثيرا ما مارستها الادارات الامريكية المتعاقبة.. إما لتكون بمثابة «بالون اختبار» لقياس ودور الفعل ازاء قرار ما أو خطة ما. وليكن بمثابة تحذير بطريقة غير رسمية وغير مباشرة توجهه الادارة الأمريكية إلى أطراف تريد أن تتجنب لاعتبارات عديدة الدخول معهم فى نزاع علنى.

ومن أكثر الأسباب منطقية لقبول هذا الافتراض أن تسريب الوثيقة التى تمكس الاستراتيجية الأمريكية القادمة فى وقت فتحت فيه الحملة الدعائية للمرشحين لأنتخاب الرئاسة النقاش حول حجم النفقات العسكرية الأمريكية- والمدى الذى يمكن الذهاب اليه فى خفضها بعد أن أصبحت الولايات المتحدة فى مامن الأخطار الاستراتيجية الأساسية التى كانت تتمثل فى الاتحاد السوفيتى وحلف وارسو. ويهم ادارة بوش أن تجس نبض الرأى العام الامريكى بالنسبة لتحديات المستقبل بأن تطلق بالون اختبار عن خطط المستقبل فى مواجهة هذه التحديات. وليس خافيا أن الوثيقة بالمعانى المتضمنة لأهدافها تعنى أن وراءها تفكيرا قوميا أمريكيا متطرفا يدعو- بالأحرى بخطط. من أجل تنفيذ شعار «أمريكا فوق الجميع» وإن لم يستخدم هذا الشعار صراحة بهذه الصياغة الفجة.

ولقد سارع التيار اليمينى المحافظ فى أمريكا الى التعبير عن تزييده القاطع لمضومن هذه الاستراتيجية وأهدافها، وقال أحد أكثر كتابه السياسين تطرفا وبروزا هذه الفترة أن وجود هذه الخطة الرامية إلى منع قيام منافسين للولايات المتحدة فى دور القوة الأعظم هو دليل على أن وزارة الدفاع الأمريكية هى الجهاز الوحيد فى الحكومة الأمريكية- التى لاتزال





جورج بوش

قادرة على صياغة هدف واضح لأمريكا، بينما يبدو أن الادارة كلها تعانى من اختصار فكرى (...)

وزضاف هذا الكاتب اليمينى الأمريكى «**تشارلز كراوتهاجر**» أن هذه الوثيقة تقدم «رؤية» عظيمة عن الدور الأمريكى فى عالم مابعد الحرب الباردة.. ولاحظ باهتمام شديد أن الوثيقة وهذه الرؤية لم تأت من البيت الأبيض ولامن وزارة الخارجية انما أتت من «البنتاجون». ودافع عن منطق هذه الاستراتيجية بقوله: «**اذا كان حلفاء أمريكا يعتقدون أن باستطاعتهم أن يعتمدوا على القوة الامريكية، فلا مبرر أذن لأن يحولوا أنفسهم الى قوى عظمى. أما اذا حدث العكس وتخلت الولايات المتحدة عن سيطرتها العالمية فان ألمانيا واليابان- وهما اليوم قوتان عسكريتان متوسطتان- ستسعيان بالتأكيد إلى ضمان أمنهما بالتحول إلى عملاقين عسكرين**».

وكشف كراوتهامر عن قناعاته أكبر حينما أضافت «**لقد كان وجود قطبين دولين أمرا مخيفا، أما تعدد الاقطاب من الدول العظمى فأنه يشكل كابوسا.. أن فكرة وضع أمننا فى أيدى نظام دولى جماعى لغو خطير**»، ثم ختم تحليلة لوثيقة البنتاجون السرية قائلا انها تتساءل: **لمن نعهد بأمن أطفالنا؟ الى بطرس غالى؟ الى مستشارية بدون وطوكيو؟ ان الاجابة الصحيحة هى: رئيس الولايات المتحدة. واذا كانت تكاليف هذا الاختيار تعادل نسبة ٤ر٣ بالمائة من اجمالى دخلنا القومى، فأن هذه أفضل صفقة فى هذا القرن**».

وعلى الرغم من الفاشية البارية فى هذا التحليل لابد من اشارة واضحة إلى أن هذا الكاتب اليمينى المتطرف الفاشى النزعة فارق فيما يتعلق باسرائيل، اذ يعارض سياسات ادارة بوش الراهنة **تجاه اسرائيل ويعتبرها «تخليا عن اهم حليف ديمقراطى للولايات المتحدة فى العالم»**. وعلى أى الاحوال فان تحليلة للوثيقة ليس أكثر من مثل واحد بينه أمثلة كثيرة تصور منطق مؤيدى الهيمنة الأمريكية باعتبارها عامة النظام العالمى الجديد.

وعلى الجانب الآخر من الصعدة تظهر أفكار الكتاب التقدميين التى تحذر من أن التى صاغت ونفذت «**عاصفة الصحراء**» هى التى صاغت هذه الوثيقة وتريد أن تضعها موضع التنفيذ على مستوى العالم كله. وعلى حد تعبير افتتاحية لمجلة «دى نيشن» (الهامة)- وهى من اقدم لمجلات الاسبوعية التقدمية فى أمريكا، أو تصدر بصفة مستمرة منذ عام ١٨٦٥- فان وثيقة البنتاجون السرية **تعكس العقلية نفسها التى كانت توجه خطط بريطانيا حينما كانت تسمى نفسها الامبراطورية التى لاتغرب عنها الشمس. «أن المجموعة الحاكم نفسها التى اشرفت على عاصفة الصحراء»** (بوش ومستشاره للأمن القومى سكوكروفت، ورئيس هيئته الأركان المشتركة الجنرال باول. ووزير الدفاع تشينى) **تريد من الشعب الامريكى أن يستمر فى الانفاق بمليارات الدولارات لكى تبقى الولايات المتحدة فى المسار القديم نفسه. وهم يعتقدون ان تخويف الناس من الدولى النووية الجديدة** (مثل ايران وكوريا الشمالية) **ومن الارهابيين ومن الاعداء القدامى** (جمهوريات الاتحاد السوفييتى السابق، **وحتى من مهربى المخدرات يكفى لاقناعهم بمواصلة تحمل النفقات. وهم على أن طريقتهم للهيمنة هى الوسيلة الوحيدة التى ستمنع ظهور منافس جديد. لكن لايبدو أن واحدة من القوى الأخرى معنية بالتنافس مع أمريكا بهذه الطريقة. بل على العكس، ان المطلب الخاص بأقامة**

عالم أكثر انسجاما تمتزج فيه الاسهامات من مختلف شعوب الدنيا هو مطلب آخذ في الاتساع».

لكن الحقيقة بين هذين التيارين المتناقضين في رؤية الخطة الأمريكية لتحقيق هيمنة **«الدولة الأعظم الوحيدة»** على بلا منافسين هي أن تيار الهيمنة ، تيار واضعي هذه الخطة هو الذي يحكم، وهو الذي يملك مفاتيح السيطرة على عواطف الأمريكيين... حتى في أشد أوقات الأزمة الاقتصادية. أما التيار المناهض لهذه الخطط والأفكار التي تنبثق عنها فانه يبدو- خاصة في الظروف التي سادت في السنوات الثلاث الأخيرة- أبعد مما كان في أي وقت مضى عن القيام بدور في توجيه السياسات الأمريكية.

وبينما يطالب الامريكيون العاديون بخفض الميزانيات العسكرية ونفقات الاسلحة ونفقات الاحتفاظ بمئات الألاف من القوات الامريكية في أوروبا وآسيا وأمريكا الجنوبية- وفي كل مكان من العالم تقريبا. **يستمر التحالف بين رجال الأعمال والعسكرية في أوامر دوره التقليدي في تخويف الامريكيين من أعداء جدد..** منهم لايزال- حتى باعتراف هذا التحالف نفسه- في مرحلة التكوين. ولعل التحذير الذي أطلقه **الجنرال ايزنهاور** في خطة في نهاية رئاسته عام ١٩٦١- من خطورة نفوذ **«المجمع الصناعي- العسكري»** يصدق اليوم أكثر مما صدق في أي وقت منذ أن أعلنه.

وتبرز في عملية تسربت هذه الوثيقة عن خطط أمريكا المستقبلية لمنع قيام دول كبرى منافسة لها في السيطرة على العالم مفارقة تعقد الأمور بالنسبة لمستقبل العلاقات بين أمريكا وحلفائها في أوروبا واسيا. لقد كشفة هذه الخطة في وقت تمارس فيه الولايات المتحدة ضغوطا كبيرة على هؤلاء الحلفاء من أجل **«تحمل نصيبهم» في نفقات الدفاع عن «العالم الديمقراطي».**

ولاشك أن لدى الولايات المتحدة أسبابها الداعية إلى طلب مشاركة الأوروبيين واليابانيين في النفقات العسكرية. وأولى هذه الاسباب **أن الولايات المتحدة لم تعد في وضع اقتصادية تمكنها من الاستمرار في تحمل هذه الاعباء وحدها- تقريبا- كما فعلت منذ** نهاية الحرب العالمية الثانية. وثاني الاسباب أن اوروبا- التي تخش ايتها من أن تتحول إلى منافس استراتيجية لها- قد زصبحت منافسا اقتصاديا قويا، أي أنها أقدر الآن مما كانت على المشاركة في أعباء الدفاع الغربي. وينطبق هذا الوضع على اليابان.

ولكن هل تستطع الولايات المتحدة أن تطالب أوروبا واليابان بدفع نفقات الهيمنة الأمريكية؟ هل تستطيع أن تطالب حلفاءها بأن ينفقوا على خطة هدفها الأساسي تحجيم وبابقاءهم في حالة تبعية استراتيجية وأخضة لها؟

لقد استطاعت الولايات المتحدة أن تفرض على حلفائها أن يدفعوا كل نفقات حرب الخليج الأخيرة.. حتى أن بعض التقديرات يذهب إلى أن **(امريكا خرجت بمكاسب كبيرة تعادل عدة مليارات من الدولارات من وراء مادخل خزانتها من اسهامات الدول المحالفة في حرب الخليج** (سواء في ذلك دول الخليج النفطية العربية: السعودية والكويت والامارات. أو ألمانيا واليابان.. الخ). وقد كان ذلك ممكنا في حدود أن حرب «تحرير الكويت» أسميت كانت حرب الدفاع عن مصادر البترول الأساسية التي تمد الصناعات الاوروبية واليابانية بالطاقة والحياة.

وليس من المتصور أن يتوفر هذا الشرط في كل الحروب التي تخطط الولايات المتحدة في المستقبل لارساء قواعد النظام العالمي الجديد تحت الهيمنة الامريكية. فاذ ايهم أوروبا واليابان من حرب تريد أمريكا -مثلا- ضد ايران بحجة منعها من تنفيذ برنامج الانتاج أسلحة نووية، اذا كانت أوروبا واليابان تحصلان على كل ما تريدانه من البترول الايراني؟ كذلك الحال بالنسبة لليبيا. وما مصلحة أوروبا واليابان في دفع نفقات حرب أمريكا تشن ضد كوريا بعيدا في نصف الكرة الغربي؟ كذلك الحالي بالنسبة لكوريا الشمالية.

من ناحية أخرى فان تسرب وثيقة «البنتاجون» السرية جاء في وقت تموج فيها أوروبا (الغربية والشرقية على السواء) بتيارات التطرف القومي التي تحاول زن تشغل الفراغ السياسي الخطير الذي خلفه انهيار النظام السوفيتي. ولاشك أن خطة أمريكية ترمي أساسا إلى فرض حدود. وقيود على قدرة أوروبا على النمو وحجب دورها في العالم الخارجي تقدم وقودا جديدا لحركات النازية الجديدة والفاشية الجديدة في القارة الأوروبية.. بل تمدها بمبرر للوجود.

وعلى الجانب الآخر فان الخطة الامريكية تسربت في وقت بلغت فيه حدة الخلافات بين الولايات المتحدة واليابات درجة لم تبلغها منذ هزيمة اليابان في الحريد العالمية الثانية. في وقت ارتفعت فيه موجات الكراهية المتبادلة بين أمريكا واليابان المستويات خطيرة بعد أن شاعت أساليب القاء اللوم في أمريكا على اليابان بشأن ماتعانيه أمريكا من مشكلات اقتصادية. وثاني خطة تأكيد الهيمنة الامريكية لتعطي برهانا لليابانيين على عزم الولايات المتحدة على أن تحاصر نمو الياباني الاقتصادية وتقدمها التكنولوجي.

ان ردود الفعل الأوروبية واليابانية على هذه الخطة الأمريكية تتضح بصورة كاملة .لكن هذا لايمنع الادراك المنطقي بأن **الخطة تنبئ بعالم أبعد مايكون عن السلام والاستقرار. عالم من الصراعات في اتجاه غير اتجاه الصراعات السابقة. بعد أن غاب الخطر السوفيتي يعتقد العسكريون الامريكيون سريعا لخلق أخطار بديلة**..وتأخذهم خطواتهم نحو حلفائهم الأوروبيين واليابانيين ، مرارا بمجموعة محددة من بلدان العالم الثالث التي لاتزال قادرة على أن تقول لا لهيمنة الأمريكية..

لقد قيل- في صحيفة «نيويورك تايمز» التي تسربت اليها هذه الوثيقة السرية الخطيرة- ان المسؤول الذي سربها قد فعل ذلك لسبب واحد هو يعتقد أن من الضروري أن تطرح هذه الخطة الأمريكية لمناقشة عامة.. أي أن لاتظل احتكارا لمجموعة من القادة العسكريين يحددون مصير العالم داخل حجرات معلقة.

وبعد مرور اقل قليلا من شهر على تسرب الوثيقة الى الصحافة لايمكن أن يقال ان مايدور بشأنها في العلن يرقى الى مستوى مناقشة عامة. انها لم تتحول الى موضوع للبحث في الكونجرس الامريكي- مثلا- أو حتى في أحدى لجانه المتخصصة. وما نشر عنها من مقالات في الصحافة الامريكية أقل من عدد أصابع اليد الواحدة. فالأنتخابات تشغل الجميع: الساسة والاعلاميين.. والمواطنين العاديين. والموضوع الرئيس في لحملة الانتخابية الاقتصاد الامريكي وكيفية الخروج من الأزمة.

واذا كان هناك دليل على أن خطة البنتاجون لم تفجر مناقشة عامة فهو أن الامريكيين لم يدركوا بعد علاقتها بما يشغلهم بالدرجة الأولى: حالة الاقتصاد الأمريكي. انه في الحقيقة محورها الأساسي (..).

في جنوب أفريقيا

التفاوض حول "الدولة الديمقراطية"

حلمي شعراوي

لكي أصل إلى مابوتو في موزمبيق، كان لابد أن أقضى ليلة وصباحها في إحدى ضواحي **جوهانسبرج** قرب المطار، حيث قبعت حول الفندق برعب مرروث من نظام **«الأبارتيد»** رغم إلغاء معظم شكلياته في السنة الأخيرة! وكأنما شاءت الظروف ألا تتركني في حالة «ترانزيت»، لأني وجدت حالة حراك كثيف نحو الفندق الكبير القريب من موقعي، وفود عديدة من البيض والسود والهنود والملونين أعرف من بعض المصاحبين أنهم يفضّون اجتماعات كانت مقررة ومستمرة حول **«ميثاق من أجل جنوب أفريقيا ديمقراطية»**.. والذى تم الاتفاق عليه في ٢٠ ديسمبر الماضي بين حكومة **«فردريك ديكليرك»** رئيس الدولة **وحزب المؤتمر الوطني الافريقي** وتسع عشرة منظمة سياسية ونقابية أخرى ممن وافقوا على مبدأ التفاوض. اما وقف عملية التفاوض التي أصبحت شهيرة باسم **«صيغة كوريسا»**- تشبها بصيغة **لانكستر هاوس** التي استقلت في ضوئها زمبابوي- وذلك الهرج والمرج حول الفندق الكبير- فكان بسبب اعلان «ديكليرك» يومها أي في ٢٤ فبراير أنه سيجرى استفتاء عاما بين البيض فقط يوم ١٧ مارس ١٩٩٢ حول مدى موافقتهم على استمرار إصلاحاته وتفويض حزبه (الوطني) وحكومته في قيادة عملية التفاوض من أجل جنوب أفريقيا «أخرى».

كان من الضروري أن يوجه رسالة للبيض بأنهم لن يستطيعوا تحقيق الاستقرار في ظل الأزمة الاقتصادية والمجتمعية والاضطرابات التي تقع بسبب ضغط الأغلبية الافريقية المتزايد.. وأنهم بتصويتهم الدائم لحزب المحافظين- الأبيض المتطرف في عنصريته- رغم عدم تحقيقه للأغلبية- إنما يصوتون لعدم الاستقرار ويسحبون منه الثقة. كما اراد ديكليرك أن يوجه رسالة أخرى للجانب الافريقي الوطني بأن يهدئوا من تطلعاتهم للتغيير، وأن يحد **«مانديلا»** من نفوذ **«الراديكاليين»** حوله، في المرحلة الجديدة القادمة للتفاوض..

و**«صيغة كوريسا»** صيغة مفتوحه من أجل تكثيف «الحل التفاوضي» بعد أن طالت فترة «المحادثات حول المحادثات» منذ منتصف ١٩٩٠. يؤيدها معظم البيض والقوى الوطنية والديمقراطية الافريقية، وان كانت بعض الأطراف الراديكالية على الجانبين ترفضها من موقع اليمين أو اليسار.. ويبدو أن «ديكليرك» و«مانديلا» يقبلان بسياسة **«الخطوة خطوة»**، في محاولة من الجانبين أيضا لتجنب اتهامهما بالتفريط.

الرأسمالية البيضاء مع الاستقرار بدون الأبارتيد

الوطنيون الأفريقيون بين الدولة الليبرالية والمجتمع الديمقراطي

يرى «ديكليرك» أنه «تنازل» بقدر كاف بالنسبة لقوانين التفرقة العنصرية- الأبارتيد- وهاهو يواجه المتطرفين عنده، ويقبل بالتفاوض الجماعي، وأن على **مانديلا** وقيادة **حزب المؤتمر الوطني الافريقي** والذى يمثل العباءة الواسعة للجانب المناهض للنظام العنصري، أن يعلن عن رضائه بخطوات **«ديكليرك»** حتى تستقر أحوال النظام الرأسمالي الداخلي وتطمئن المؤسسات والدول الرأسمالية الخارجية فتوقف عزوفها عن الاستثمار في البلاد باسم المقاطعة. وأنه لن يستطيع أن يتقدم عن ذلك الابطء، فهو مستعد لتشكيل حكومة ائتلافية يدخلها بعض الوزراء الافارقة ثم يبحث مبدأ الجمعية التأسيسية التي تضع الدستور الجديد، وبينما كان يقف عند استكمال البرلمان العنصري الحالي لمدته فقط (حتى عام ١٩٩٤) فإن بعض دوائر الحكم تمد «عملية الانتقال» لعشر سنوات، ليتم تنظيم «جهاز الدولة الجديدة».

ويرى **ديكليرك** أن سرعة الأعلان عن «شكل الدولة» الجديد بمشاركة متعددة القوى والأحزاب سيعالج الأزمة الاقتصادية الحادة نتيجة ضغط الرأسمالي العالمي من الخارج وخاصة الأمريكي في صندوق النقد الدولي (**تسديد ديون تصل لأكثر من اربعة مليارات دولار مؤخرا**) وبالتالي معالجة **مشكلة البطالة** (٤٠٪) **ونقص المحصول الزراعي** نتيجة اضطراب المناطق الزراعية (عجز ٧٠٪) ومواجهة التحالفات العمالية واضراباتها (**٣،٥ مليون عامل في اضراب نوفمبر ١٩٩١**)، وهو يرجع كل ذلك لنشاط حزب المؤتمر و«جبهته المتحدة» سواء بين القوى الفاعلة في الداخل أو إغراء القوى العالمية صاحبة المصلحة بأنه البديل الذى لابد أن يتعاملوا معه وفق تقدم داخلي ملموس يفرضونه على **«ديكليرك»**..

ورغم كل براعة **«ديكليرك»** ونجاحه مع الرأسمالية المالية والصناعية والتعدينية، ومحاولة التدرج البطئ في تغيير الصورة العنصرية للبلاد، باجراء التغيير في هيكل «الدولة» اكثر منه تغييرا جذريا في بنية المجتمع الا ان البيض المتطرفين بزعامة حزب المحافظين يرونه **مضحيا بمصالح المزارعين والرأسمالية الزراعية، متعاونا مع الامريكيين والانجليز على حساب الطبقات الأوروبية التقليدية من الهولنديين والفرنسيين ممن يعرفون «بالأفريكانز»** ولذا شكلوا **«حركة المقاومة التي ترفع شعار**

«النازية» وتمارس الاغتيالات وتشكل فرق الموت، بل ويعلنون مطالب «حق تقرير المصير» تمهيدا لإقامة» وطن مستقل للبيض ضد سيطرة الأغلبية السوداء، وهم الذين هددوا مكانة «ديكليرك» في اكثر من عشرين دائرة انتخابية في السنة الاخيرة.

يحاول ديكليرك أن ينقل الصراع الى الجانب الوطني، باستعمال منافسات قبلية الخوزا والزولو»، او الهنود والملونين مع الوطنين الأفارقة، رغم أن هؤلاء قاطعوا كل التشكيلات البرلمانية الصورية للحكومة العنصرية على مدى السنوات الخمس السابقة، ومع ذلك يرجع أحدث تقارير مجلس البحوث هناك عن «آليات المفاوضات في جنوب افريقيا» وقوع ٥٠٠٠ قتيل و١٢ الف جريح وحرق ٤٢ الف منزل و٢٩ الف سيارة إلى **الاضطرابات الافريقية-الافريقية** وليس إلى اضطراب المجتمع القائم على العنصرية ونظام الابارتيد خلال العامين الاخيرين..

الجانب الافريقي ليس هادئا أيضا: «الاعلام العالمي» الذي نعرفه جيدا ونعرف مافعله بالسادات وجورباتشيف لايضع إلا صورة **مانديلا** أمام **ديكليرك**. وهي صورة لاتتحدث الآن إلا عن طلب مانديلا لبوليس ديكليرك لتصفية زعيم «انكاثا» وقبائل الزولو المثيرة للاضطرابات أمام حزب المؤتمر، أو أنه يواجه المتطرفين الافارقة، أو يدلى بتصريحات في أوربا عن محاولة «إثناء حزبه» عن مواثيقة السابقة حول «**تأميم ثروات الأمة**» وتحقيق شعار «**السلطة للشعب**». فهو إذن مع ديكليرك في إقامة دولة ليبرالية متعددة الاحزاب، مقابل «**التحول الاجتماعي الديمقراطي**» للمجتمع السياسى والاقتصادى كله. ولاشك أن مانديلا والقيادات التي سجنت معه لربع قرن لايمكن إلا ان تحلم «بمجتمع آخر» وليس بمجرد «دولة ليبرالية»، وتتخوف كثيرا من الكتابات الوطنية الآن من احتمال بناء «**بونابرتية**» **جديدة في جنوب أفريقيا، تلعب بالتعددية ولاتحقق الا «دولة استعمار جديدة»** بعد دولة الاستعمار الاستيطاني العنصرية..

وبينما يشهدله حرصه على إعادة البناء التنظيمي لحزب المؤتمر، وحرصه على التحالف مع **الحزب الشيوعي** وتقوية روابطه بالحركة النقابية ومؤسسات المجتمع المدنى الافريقي التي أزدهرت منذ انتفاضة **سويتو** ١٩٧٦، ومحاولة ترضية الاحزاب الأخرى



ديكليرك.. ومانديلا.. التفاهم.. والتشرد

مثل مؤتمر الوحدة وعلاقاته في زيمبابوى، الا أن قوى راديكالية واسعة التأثير الآن في جنوب أفريقيا ترى أنه ليس بهذه الصورة، فهو مهتم بالحوار مع البيض ومخاطبتهم مع المجتمع الخارجي باكثر من اهتمامه باطراف داخلية كثيرة. هو يسارع بقبول أشكال التفاوض المفتوح دون الحديث عن اجراءات نقل السلطة، وهو مهتم بابراز دور حزب المؤتمر وقيادته ويمكن أن يتجاهل موقف الآخرين، وهو أقرب إلى ميثاق الحرية سنة ١٩٥٥ يترهل مبادئه وليس بمبادئ **مؤتمر موروجورو** سنة ١٩٦٩ ومابعدها حول **التحول الاجتماعي الجذري وليس مجرد التحول السياسي**، وهو يلوح للبيض بنسبة ثابتة في التمثيل البرلماني والاقتصادي وليس ملتزما تماما **بالديمقراطية الاشتراكية**. ويشيرون أنه لم يكن سعيدا باختيار سكرتير عام حزب المؤتمر الوطني مؤخرا «راماڤوزا» وهو الماركسى وسكرتير اتحاد التعدين، بل ولم يكن سعيدا بأنتخاب «جوسلوڤو» سكرتير الحزب الشيوعى السابق في المكتب السياسى الجديد لحزب المؤتمر.

يرحب الكثيرون بصيغة التفاوض الجماعي والحل التفاوضي، في اطار «كوريسا» أو غيرها، «ومن أجل جنوب أفريقيا ديمقراطية» لكنهم يخشون ان ينشغل حزب المؤتمر أو قيادته «بالسياسي» عن «الاجتماعي» وبالتعددية الشكلية عن الديمقراطية الحقيقية. يخشون من عودة النقابات العمالية لشئونها الداخلية بعد أن تم كسبها للجبهة السياسية في السنوات الأخيرة، ويشيرون الى تصعيد انكفائهم في «الاتحاد العام المستقل» الذي يجمع النقابات بعدان كان يطرد انتماؤهم لحزب المؤتمر. بل ويخشون من انكفاء الشيوعيين أنفسهم إلى اعادة تقوية الحزب بعد مؤتمره الأخير واختيارهم سكرتير عام راديكالي بعد أن كان الشيوعيون هم ديناموا حزب المؤتمر، بمشاركة فعالة ومعتدلة بقيادة **سلوڤو**.

ومع ذلك فالكثيرون يتوقعون مرحلة جديدة مختلفة، يتوقعون ميلا من ديكليرك للتشدد لترضية البيض المتطرفين إزاء صعودهم البرلماني الاخير واحتمال التأثير على مكانته في استفتاء مارس ١٩٩٢، كما يتوقعون أن يضطر **مانديلا** للتشدد بدوره في مواجهة تطرف البيض ولترضية الرافضين للتفاوض أصلا من احزاب لايمكن تجاهلها مثل حزب **مؤتمر الوحده وحركة الوحدة**، وحركة **الوعي الاسود** وعدد من النقابيين وكوادر حزب المؤتمر الشابة التي لم تحل بعد **منظمة الكفاح المسلح** داخل الحزب.

قد تثير الآمال في جنوب افريقيا جديدة او ديمقراطية كثيرا من التناقضات او تتطلب كثيرا من الصبر، ولكن يبقى السؤال، **هل تسمح قوى الهيمنة العالمية الحالية بمثل هذا الحلم، أم ترى أن ميراث عطاء ديمقراطي وثوري بحجم ماتم في جنوب أفريقيا طوال العقدين الاخيرين كفيل باجابات جديدة؟**

خواطر عائد من موسكو

مارسيل اسرائيل

في أوائل عام ١٩٩١ قال لي رفيق قيادي في الحزب الشيوعي الايطالي: إن عيوننا لن تجد دموعا تكفي لتسكبها على مايجري وسيجري في الاتحاد السوفياتي.

وعندما نويت السفر إلى الاتحاد السوفياتي في نوفمبر الماضي، قررت أن أهتدي بمقاله الفيلسوف الهولندي الكبير «سبينوزا»..«إننا إزاء الاحداث يجب ألا تضحك أو نبكي، وإنما أن نفهم».

وفي يوم ٧ نوفمبر، يوم ذكرى ثورة اكتوبر المظيمة ذهبت مبكرا الى **الميدان الأحمر**، فوجدته محاصرا بالدبابات والمصفحات، وبعدد هائل من رجال الشرطة. وكان الميدان خاليا من الناس. تقدمت الى أحد رجال الشرطة قائلا إنني صحفي إيطالي، وكدليل إثبات قدمت لهم رخصة القيادة الايطالية. أخذ الجندي يتفحصها. ثم راح يستشير أحد الضباط، وبعد دراسة عميقة اقتنعا بأنها بطاقة صحفية. وسمحوا لي بالدخول!

لمدة نصف ساعة تقريبا كنت وحدي في هذا الميدان الواسع، وتذكرت بحزن عميق كيف كان في كل سنة يمر به مئات الآلاف من السوفييتيين بالأعلام والموسيقى والاناشيد. توجهت الى ضريح **لينين**، الآ أن أحد الحراس أبلغني أن الزيارة ممنوعة في هذا اليوم. وبعد ساعة تقريبا دخلت الى الميدان مجموعة بين ٢٠، ٣٠ شخصا تحمل صورا لشخصيات دينية وابقونات. تقدمت الى أحد المتظاهرين قائلا إني صحفي إيطالي وأريد أن أعرف هدف هذه المظاهرة. أجابني حرفيا: إننا نتظاهر من أجل شخص معروف لكم جيدا في بلادكم، وهو «**المسيح**».

بعد فترة دخلت الى الميدان مجموعة أخرى، ٣٠-٤٠ شخصا، كانت تهتف باسم **كروبوتكين**- زعيم الفوضويين من أيام **لينين**! وحوالي الساعة العاشرة والنصف سمحوا لمجموعات أخرى بالدخول: مجموعة كانت من **التروتسكيين**، تهتف للدولية الرابعة! ومجموعة من ضباط الجيش وعلى صدورهم النياشين، وعلى وجوههم غضب جارف، يوجهون السباب الى **جورباتشوف** الذي حطم وحدة الجيش السوفييتي! وعلى بعد ١٠٠ متر تقريبا رأيت سيدة تخطب بحماس في الميكروفون، في مجموعة من ٥٠ الى ٦٠ شخصا، توجه اللعنات الى **جورباتشوف ويلتسين** معا، وتهتف باسم **لينين**، ففهمت أنهم شيوعيون، وتأثرت بقلة عددهم.

وبعد أن تركت الخطيبة الميكروفون دار بيني وبينها حديث طويل، خلاصته أن المسئول الاول عن تفكك الاتحاد السوفييتي هو **جورباتشوف** ،لأنه عندما تولى السلطة كان المفروض أن يقضي على عيوب النظام، ولكن الذي حدث أنه وجه يكحلها عماها» (قالتها بالانجليزية طبعا، اللغة المشتركة بيننا) أما **يلتسين** الذي يدعي أنه يحتاج الى ٥٠٠ يوم لإنهاء الأزمة الاقتصادية، فلن يعمل شيئا خلال هذه المدة غير أن يفتح ٥٠٠ بيت للدعارة ! وأن السوق الذي ينادي به هو في الواقع السوق السوداء. ثم سمعنا من بعيد أصداء أناشيد وهتافات: **لينين، لينين**. قالت لي: إن الشرطة ستضطر الى السماح بالمظاهرة رغم منعها. وفعلا لم يكد يمضي ربع ساعة حتى امتلأ الميدان الاحمر بما يزيد عن ٥٠ ألف شخص (قدرتهم الصحف الايطالية بما بين ٥٠و١٠٠ ألف شخص). وازدهم الميدان بمتظاهرين من كل الاعمار، ومن كل قوميات الاتحاد السوفييتي، يحملون الآلاف من صور **لينين**. وبينهم أيضا عدد قليل يحمل صور **ستالين** (لايزيد عددهم عن أصابع اليد) ولكن تلفزيونات العالم ركزت في عرضها لهذا المشهد بالذات على صور **ستالين**. ومع ذلك رأيت إحدى المتظاهرات تهجم على أخرى وتجذب منها صورة ستالين وتلقيها على الارض وتهتف: **لينين، لينين!**

وسط هذا الجمهور كان هناك رفاق منظمين، استعدوا بالميكروفونات يعطونها لخطيب بعد الآخر. وكانت الهتافات تكثر من استخدام كلمة «**المافيا**»، تسقط مافيا جورباتشوف المجرم! تسقط مافيا يلتسين الجاسوس الأمريكي! إلى المحاكمة لمن باع الوطن للأمريكان! وبين الهتافات بيسقط ويسقط هتاف باسم **لينين**، وترديد لنشيد الدولية ، وهتافات **لكارل ماركس!** فاشتركت بحماس مع المتظاهرين، وبأعلى صوتي هتفت **لماركس ولينين**.

كان معظم المتظاهرين من العمال. ولكن كان بينهم أيضا مثقفون، بل واساتذة جامعات. أحدهم، عندما عرف أني أجنبي، تطوع بأن يقوم بالترجمة بيني وبين الآخرين، وطلب من أحد حاملي الميكروفونات أن يعطيني الميكرفون لألقي كلمة. ولكن الرجل رفض خوفا من الاستفزاز! وبالطويل فالشيوعيون يخشون اليوم، في الميدان الاحمر، في قلب موسكو، الاستفزاز من جانب الرجعية. وقام المتطوع بالترجمة يندد به، ويصفه بأنه بيروقراطي! الآ أني اقنعته بأن الظروف تتطلب الحذر.

اتجهنا الى منظم آخر وافق على إعطائي الميكروفون والقيت كلمة موجزة تعبيرا عن التضامن بين الشيوعيين الايطاليين والشيوعيين السوفييت، نقلها المترجم الى الروسية وقوبلت بالتصفيق، وأهدوني أعلاما سوفييتية صغيرة وشارات تحمل صورة **لينين**، وعدة جرائد غير رسمية. وتقدمت مني إحدى المتظاهرات وقالت: أيها الرفيق الايطالي ، نحن نحتاج الآن الى التضامن الدولي، فحزبنا لم يتأخر أبدا عن مساعدة

الشيوعيين فى العالم، وآن الاوان لكى يساعدنا الشيوعيون من البلدان الأخرى- طبقا لأجمل شعار صاغه الانسان: ياعمال العالم اتحدوا! وانتهت المظاهرة بنظام.

ولاشك فى أن الاتحاد السوفياتى (ومازلت استخدم هذه التسمية) يمر بمرحلة من التفكك والفوضى. وبدأ يظهر فيه الانحلال الخلقى، كما تفشت التوترات العرقية، بل والنزاع المسلح بين القوميات بما يقرب من الحرب الأهلية. والأزمة عميقة، فالانتاج الصناعى والزراعى فى تدهور سريع، بينما تنمو النزعة الفردية بدلا من روح التضامن، غير أن أغلبية الاهالى مازالوا يعتبرون أنفسهم مواطنين سوفييت، خاصة بين العمال والفلاحين، كذلك الأمر بالنسبة للجيش.

كيف يمكن تفسير هذه الأزمة الاقتصادية، والاجتماعية، والقومية، والمعنوية؟

فى أساس هذه الأزمة هناك ظروف موضوعية وأخرى ذاتية . فقد قامت أول ثورة اشتراكية كبيرة (بعد كومونة باريس القصيرة وغير المكتملة) فى بلد متخلف، حيث كانت الرأسمالية لم تستكمل بعد دورها التاريخى فى تنمية قوى الانتاج، حتى إن بعض الماركسيين الدوجماتيين ممن عاصروا ثورة اكتوبر، اعتبروا أن تلك الثورة لم تكن موجهة ضد الرأسمالية وإنما هى ضد «رأس المال» لكارل ماركس

ومع اعتراف لينين بحالة روسيا من حيث التخلف الاقتصادى، فإنه دافع عن خيار الثورة، إذ رأى أن روسيا تشكل- لأسباب داخلية ودولية- أضعف الحلقات فى سلسلة البرجوازية العالمية.

وكانت المهام المطروحة أمام سلطة السوفييت صعبة ومعقدة للغاية بناء المجتمع الاشتراكى، وفى نفس الوقت تنمية القوى المنتجة (وهى أصلا من مهام الرأسمالية) كما توجب انجاز هذه المهمة المزدوجة فى ظل حصار العالم الرأسمالى المعادى، وبعد حرب أهلية وتدخل مسلح شاركت فيه أربع عشرة دولة اجنبية.

وكان الأمر يتطلب وجود مجموعة قائدة فى منتهى الصفاء الاخلاقى والصدق والتفانى، تتمتع بالروح الديمقراطية وبعيدة عن أى طموح للسلطة أو التمسك بها، وقادرة على إشراك الجماهير فى السلطة (كان لينين يريد أن يجعل ربات البيوت قادرات على إدارة الدولة)، وتهدف الى بناء الانسان الاشتراكى الجديد- أى مجموعة من القادة الشيوعيين من طراز لينين.

ولكن للأسف الشديد، واعتبارا من ستالين ، وعلى الرغم من أن القاعدة الاقتصادية (البنية التحتية) أصبحت اشتراكية، أو بالأحرى غير رأسمالية، فإن السلطة (البنية الفوقية) جاءت تكرارا لما كانت عليه فى المجتمعات الطبقية السابقة (رأسمالية أو حتى إقطاعية فى بعض جوانبها). وهكذا أصبح الاتحاد السوفياتى ، رغم بعض الجوانب الايجابية (التصنيع، القضاء على الأمية، دعم حركات التحرر الوطنى والاجتماعى، تحقيق النصر فى الحرب ضد النازية والفاشية)، بلدا شموليا ، مستبدا، تسوده المركزية البيروقراطية ، فتحول تدريجيا الى بلد يشله الركود وعدم الكفاءة والفساد (باستثناء القطاع الصناعى العسكرى، ركيزة الدفاع عن الوطن).

وكان من الأخطاء الكبيرة التى وقع فيها قادة الاتحاد السوفياتى عدم تقديرهم لقوة الرأسمالية على حقيقتها. فالنظام الرأسمالى تكون خلال خمسة قرون كاملة. وتعتبر بداية الرأسمالية عادة، متوافقة مع مايسمى بوقاحة «باكتشاف» أمريكا. (كانت أمريكا وشعوبها الأصلية موجودة دائما، الى أن دهمها الغزو الأوروبى فى ١٤٩٢- أى منذ خمسة قرون بالضبط). كتب كارل ماركس فى «رأس المال»: «إن اكتشاف أراضى الذهب والفضة فى أمريكا، واستعباد السكان الأصليين ودفنهم فى المناجم والقضاء على أغلبيتهم، وكذلك تحويل أفريقيا الى منطقة (صيد تجارى) للعبيد من ذوى البشرة السوداء، كانا هما بداية مرحلة الانتاج الرأسمالى». لقد عبر الاوروبيون المحيط لتصدير المسيحية فى مقابل استيراد الذهب. وكل الثروات التى استولى عليها الاوروبيون كانت نتيجة لاستغلال ١٨ مليونا من العبيد، ونهب وقتل ٧٠ مليونا من سكان أمريكا الأصليين فى القرنين السادس عشر والسابع عشر، وكان من أثر ذلك أيضا تنحية المدنية الاسلامية العظيمة عن الانتشار العالمى وولادة الرأسمالية الصناعية الأوربية.

إن النظام الرأسمالى الذى استجمع قوته خلال خمسة قرون سيطر فيها على الاقتصاد العالمى، والذى اتجه مؤخرا الى طرق جديدة لاستغلال بلدان العالم الثالث فى افريقيا وآسيا وامريكا اللاتينية، ونجح فى فرض احتكار البلدان السبع الصناعية الكبرى للأرباح الفاحشة، كان هو الخصم العنيد الذى واجهه الاتحاد السوفياتى وهو يبنى أول نظام اشتراكى فى التاريخ.

فلما جاء جورباتشوف وطرح سياسة البيروسترويكا والجلاسنوست (الاصلاح الاقتصادى والديموقراطية). رحب به معظم الشيوعيين فى العالم- لقد كان الاتحاد السوفييتى بحاجة فعلا الى سياسة اقتصادية جديدة «NEp»، شبيهة بما نفذه لينين فى حينه، متمشية مع مستوى التطور الاقتصادى الجديد الذى بلغه البلد، كما كان محتاجا الى الديموقراطية، أى الى مشاركة «الجماهير الحرة فى ادارة السلطة، بعدما انفصلت قيادة الدولة (التى كانت قد ابتلعت الحزب تدريجيا) تماما عن الشعب، على أن يتم كل هذا فى إطار الاشتراكية كما كان يقول جورباتشوف. ذلك أن سياسة السوق المستندة الى اللامركزية فى الاطار العام للتخطيط، والى استقلالية نسبية لوحدات انتاجية مسئولة تحركها المنافسة فيما بينها، تتمشى تماما مع النظام الاشتراكى (تشهد على ذلك التجربة الصينية حيث يقترب معدل النمو السنوى من ٨٪). وقد كان السوق موجودا بأشكال مختلفة قبل النظام الرأسمالى. ولكن للأسف، سرعان ما خرجت عملية الاصلاح الاقتصادى عن إطارها الاشتراكى منزلقة» تدريجيا نحو رأسمالية من نوع متوحش، عمادها الكومبرادور والمضاربون والمافيا.

أما بالنسبة للديموقراطية فقد أدى استلهام النموذج البرجوازى الى الديماجوجية (انظر يلتسين) والبلبلة والفوضى، ونشأت حالة من التشويش بين الجماهير وبينما تستند الديمقراطية الاشتراكية الى مجالس الجماهير العاملة المنتخبة بحرية، ينحدر مختلف القياديين الذين احتلوا ومازالوا يحتلون الساحة السياسية فى الاتحاد السوفييتى من نفس المجموعة الموجودة فى قمة السلطة منذ سنوات. منهم على سبيل المثال جورباتشوف وشيفرنادزه ويلتسين وكرافتشوك وكامابيف ونزاربابيف.. الذين تحولوا مثلهم مثل أى انتهازى من قيادة اشتراكية الى قيادة رأسمالية. أما الشعب فيحاول القيصر الجديد يلتسين تدجينه بالديماجوجية وباستعمال العصى الغليظة والتلويح بالجزرة (أو الأحرى الوعد بالجزرة). وينطبق على جورباتشوف ماسماه الماركسيون الفرنسيون «منطق الخيانة». فى البداية يكون الأمر مجرد انحراف بسيط، أو تنازل بسيط امام الخصم الطبقى والاستعمار. غير أن الاستمرار

في هذا الطريق الخاطئ يجر خطوة بعد أخرى الى معسكر العدو الطبقى ومعسكر الاستعمار. فى البداية وضعت البيروسترويكا أمامها هدف العودة الى الفهم اللينينى للاشتراكية. ألم يكن جورباتشوف يردد «علينا أن نعود الى الطريق الذى رسمه لينين». غير أنه عوضا عن مواجهة ومحاربة القوى التى بهرتها الرأسمالية (فى الواقع بهرتها الفترينات المتسعة فى كبريات المدن الغربية بينما أغفلت النظر الى بلدان العالم الثالث الجائعة). فقد بدأ سياسة المساومة والتنازل، بل المشاركة أمام ممثلى هذه القوى، وبنوع خاص مع يلتسين، رأس الحربة للرأسمالية الأمريكية (كافة كبار مستشاريه هم من الأمريكيين: (ساخس وشركاه)، وكذلك أمام الاستعمار (حرب الخليج) لقد أظهر جورباتشوف خلال السنوات التى تبوأ فيها السلطة انه سياسى انتهازى وانه مناور صغير إنه رجل يتأثر بدجل البورجوازية العالمية التى كانت- عن حق من وجهه نظرها- تكن له كل الاعجاب.

لقد ولج جورباتشوف مع شيفرنادزه طريق خيانة الاشتراكية عندما صرح بأنه ينبغى التخلى عن المفهوم الطبقى ومفهوم الصراع الطبقى فى السياسة الخارجية. وبدأ جورباتشوف يتصرف دون أية بوصلة، مبدلا موقفه يوميا. على سبيل المثال:- قبل أيام قليلة من قراره بحل الحزب الشيوعى نهائيا صرح بأن الحزب المذكور يضم فى صفوفه ملايين الشيوعيين الشرفاء والمناضلين المخصلين الذين لهم كل الحق فى أن يحافظوا على حزبهم. لكن سرعان ما تحالف بشكل انتهازى مع يلتسين متخليا عن هؤلاء الشرفاء والمخلصين. ونراه اليوم يستقبل فى مؤسسته الجديدة بوجه مشرق وباعتزاز المثل الرمز والشرس للامبريالية، هنرى كيسنجر.

وأمام التصفية الفاشية للحزب الشيوعى الذى أسسه لينين، وأمام تفسخ الدولة الاشتراكية الموحدة التى أسسها هى الاخرى لينين، بامكاننا إذا قيمنا الشجرة من ثمارها القول بأن جورباتشوف آخر أمين عام للحزب الشيوعى السوفييتى وآخر رئيس للدولة السوفييتية التى كانت حليفة العالم الثالث- المهجور الآن وحده فى مواجهة الامبريالية الامريكية وغطرستها- ومثله فى ذلك مثل يلتسين، هو واحد من كبار رجال الثورة المضادة فى التاريخ.

وفى رأيى أن الكلمة الأخيرة فى الاتحاد السوفياتى لم تنطق بعد. فلقد عادت الطبقات تتبلور إحداهما مقابل الأخرى، بينما يتزايد الصراع الطبقى. فمن جهة يلتسين الذى يمثل البورجوازية الجديدة التى ماتزال ضعيفة، والتى ماتزال تنظر بشغف الى دعم رأس المال المالى الدولى، بالإضافة الى الكومبرادور، والمضاربين، ومافيا السوق السوداء، والمثقفين الانتهازيين وصولا الى الداعرات والجماعات الإجرامية، ومن جهة أخرى العمال والموظفين والفلاحين وجمهور الشعب العامل، وربات البيوت والمحالون الى المعاش الذين يشكلون القسم الأكبر من الطوابير التى تقف أمام المخازن والمتاجر، بالإضافة الى قسم كبير من العسكريين.

ومن المؤسف حقا أن كافة هذه الجماهير الشعبية التى بدأت تتعلم من تجربتها الخاصة، على حد قول لينين، والتى بدأت تتحرك وتتظاهر كل يوم بشكل أكثر وأوسع من اليوم السابق، على الرغم من محاولات البرجوازية الجديدة الرامية الى شرذمتها وحرفها عن مسار النضال باللجوء الى الشوفينية والشعارات القومية المتشددة.. من المؤسف حقا أن هذه الجماهير لم تجد بعد زعيما يقود نضالها. من هنا يكون خطر الانفجارات العنيفة، بل خطر الاعمال الارهابية.

ومما لاشك فيه أن الاشهر القادمة سوف تشهد إتساع النضال الطبقى إنطلاقا من المصانع والسوفخوزات والكولخوزات، مما قد يغير مجرى الاحداث. والحزب الشيوعى من جهته يقوم باعادة تنظيم نفسه من القاعدة على أسس نصف أو شبه سرية، ويزداد كل يوم تأثيره التعبوى بين الجماهير على الرغم من الصعاب التى يواجهها، وعلينا أن نعبر عن تضامننا الامى مع الرفاق السوفييت الشجعان فى معركتهم القاسية لإعادة اعتماد الاشتراكية بعد تجديدها وتنقيتها من الشوائب فى بلدهم الكبير. وهذا ماطلبه منى العديد ممن تظاهروا فى الساحة الحمراء فى السابع من نوفمبر الماضى. لقد قال لينين: «بالرغم من كل شئ، تبقى الشيوعية أعلى وأرقى شكل من أشكال التنظيم الاجتماعى الممكن والمستحب للإنسانية جمعاء».

من صور اعتداء رجال أمن «يلتسين» على المتظاهرين الشيوعيين المطالبين بعودة الاتحاد السوفييتى فى موسكو

لقد أعلن «بيرلينجوير» السكرتير السابق للحزب الشيوعى الايطالى، اضمحلال وزوال قوة ثورة اكتوبر الدافعة. وامام تطور الاحداث فى الاتحاد السوفيتى يميل العديد من الرفاق، حتى بين القادة، الى الاعتقاد بأن بيرلينجوير كان على حق. الا أنه قد أخطأ فيما قاله عن ثورة اكتوبر من اضمحلال وزوال قوتها الدافعة، فقوة ثورة اكتوبر الدافعة لم تضمحل أبدا. وهى ماتزال حية وفاعلة لكن للأسف الشديد اعترضتها صعاب كثيرة وكبيرة، وشل حركتها قادة الدولة والحزب المستبدون والبيروقراطيون والفاسدون فى البلد الذى ولدت فيه هذه الثورة المجيدة. مازالت هذه القوة الدافعة تفعل فعلها فى العديد من الدول الاشتراكية كالصين مثلا على الرغم من أحداث «تيان آن مين» السلبية وكوبا، كذلك بالنسبة للعديد من حركات التحرر الوطنى والاجتماعى فى بلدان العالم الثالث، والعديد من الاحزاب الشيوعية، بما فيها الحزب الذى انتمى اليه (الحزب الشيوعى «الجديد» الايطالى). وأملنا أن تجتاز هذه القوة الدافعة كافة العقبات التى اعترضتها، والتى شلتها فى بلدالمنشأ، وأن تشرق من جديد شمس الاشتراكية، التى حلم بها ومارسها لينين، فى اتحاد سوفييتى جديد، إذ لم يشهد التاريخ نظاما انتاجيا جديدا حقق النجاح من أول محاولة ومن غير أن تعترضه سلسلة من حالات الفشل والأخطاء والنكسات.

زكي مراد المتفائل دوما

د. رفعت السعيد

ما أسهل ان يجد الانسان ابتسامة ليضعها على وجهه أوحتى ليصطنعها. ولكن ما أصعب أن يظل الانسان مبتسما ومتفائلا حتى في الزمن الصعب.

وكان زكي مراد صاحب الرقم القياسي في التفاؤل الدائم، حتى في احلك المواقف واصعبها..

لم أزل اذكر يوم صدرت احكام الفريق الدجوى الشرسه ضد قضية «الجبهة الوطنية الديمقراطية»..

- زكى مراد ٨ سنوات اشغال شاقه
- محمد شطا ٨ سنوات أشغال شاقه
- محمد خليل قاسم ٨ سنوات اشغال شاقه

... وهكذا

جميعا بكينا في زنازين سجن مصر. وما أصعب أن يبكى الرجال، هو كان مبتسما، ضاحكا بلا انفعال وبلا افتعال، فقد كان بالفعل يرى في الأمر وجهه المتفائل... فالدجوى السفاح لم يصعد بسنوات السجن أكثر.. وكان يرى أن مافعله هو ورفاقه يستحق حنقا أكثر وحقدا اكبر من وغد مثل الدجوى.

«أشغال شاقة» تعنى في ذلك الحين ليمان طره، الجبل، تكسير الاحجار، وفوق هذا «الحديد».. حزام من سلسلة حديدية يلتف حول الوسط ثم يتد بطولى الساقين ليلتف قيده على كل منهما...

بكينا اكثر ونحن ننشد في صوت مهيب:
ياشعب قم خض بحار الدماء

لاتبك فالآن وقت الفداء

لكننا كنا نبكي.. فبعد دقائق سيقادروننا الى سجن آخر أشد قسوة، الليمان.. الجبل.. الحديد، من بين ستارة الدموع رأيته لم يزل متعلقا بابتسامته التى اغاظتنى.. واصل ابتسامته وهمس في أذنى «لاتبك.. لن نكمل السنوات الثمانيه، اما «الحديد» فهو خفيف.. وأكاد لا أشعر به»..

...وظل زكي مراد متمسكا بالتفاؤل كمبدأ. وكحياة، أو بالدقة كفن من فنون الحياه الصعبة.. والمواجهة الصعبة.

* * *

الاسم : زكى مراد محمد ابراهيم
تاريخ الميلاد : ٢ سبتمبر ١٩٢٧
محل الميلاد : ابريم. النوبه
الاسم الحركي: صلاح ثم ناشد
المهنة: محام ثم محترف ثوري

..أن تكون نوبيا هذا وحده هم ثقيل، وهو متعة، وامتاع.

النوبة مرادفها الفقر، حتى لهؤلاء الذين يشكلون الصفوة النوبية.

فهو ابن العمدة. والعمدة في «أبريم» هو محور حياه القرية، حيث الرجال يسعون نحو الرزق في القاهرة، ليعملوا بوابين او سفرجية ولاشئ آخر متاح غير هذا الاختيار او ذاك.. ويبقى العمده مديرا لشئون الجميع، وأبا للجميع، وبديلا عن الغائبين. ويكتسب المنصب مهابة خاصة، يضفيها على أصحابه وعلى كل أسرتهم فالأب محمد العمدة، والام فاطمه العمدة، والأبناء فوزى العمده وزكى العمده

والنوبه وطن.. وحلم

أرأيت وطنا يغرق، فتقيم غيره، فيغرق.

والغرق ليس قدرا، لكنه رضاء وأمل في أن ينهض الوطن الكبير.

ويظل حلم الوطن القديم، والحزن على الوطن الجديد المغادر هو ايضا.. والحنين اليهما هما هم النوبى، ولحظة تأمله وتأمله استمعوا الى زكى مراد يحكى قصه وداعه لبيته..

لنفترق..

لنفترق يابيت والدى العزيز
ياخمرة الصبا
ياسكرة الحياة في ربيعها المبكر الطليق
يالمحة الطفولة الجميلة البريق
.....
لنفترق
يابيت والدى العزيز
يانيل.. يا نخيل.. ياأصيل
قريتى الوردى.. ياجميل
ياقلمى الصغير- يافلوكتى
ياشمعة تضئ في جزيرتى

ولكن لماذا تسرع بنا الكلمات هكذا لتأتى الى لحظة الفراق الأليم، عندما يغادر الانسان بيته وقريته، وملاعب صباه مدرسته، حارته، فلوكته...، جيرانه... كل شئ يغرق، يتلاشى، يختفى تحت الماء؟ لماذا نسرع الى هذه اللحظة الأليمة، ولانبقى قليلا مع الفتى الاسمر كثمرة الدوم، المبروم كنواة البلح.

* * *

حتى وهو صبى، كان يسمى زكى العمده، ويمنحه الاسم مكانة بين أقرانه، لكنه اعتاد أن يتنازل عن مكانة ابن العمده كى ينغمس في شقاوة الأطفال مع كل صبيان ابريم.

والى «عنيبه» حيث المدرسة الابتدائية حيث يلتقى بصديق العمر، كل العمر محمد خليل قاسم، وفي عام ١٩٣٩ يتسلح بالشهادة الابتدائية، وتبدأ رحله الحياه الجديدة.. الى المدرسة الثانوية.

وفي مدرسة حلوان الثانوية يصبح الفتى الاسمر ملء السمع والبصر، يقول الشعر ويتغنى به في مجتمع طلابى من مختلف البلدان العربية، فحلوان الثانوية مدرسة

داخلية، ويتجمع فيها طلاب سودانيون ويمنيون ومن حضرموت وتونس وغيرها..ووسط هؤلاء جميعا يضج زكى مراد بفكر ثورى نابع من همومه كمصرى وكنوبى..

والنوبى فقير دوما حتى ولوكان ابن عمده، فالفقير فى أى مكان يسرق منه الاغنياء بعض عرقة بعض قوته، اما النوبى فانهم يسرقون كل شئ، القرية، البيت، الارض، النخيل، الذكريات كل شئ.

سرقوا من العمده قريتة، ولم يتبق له شئ، ومنحوا النوبيين تعويضات، كم..؟ النخلة المثمرة بخمسة عشر مليما.. وعندما أبدى احد اعضاء مجلس الشيوخ دهشتة من ضآلة المبلغ، صاح الطاغية صدقى ساخرا «انت عايزيهم يفتنوا، اما مين يشتغل فى بيوتنا» وضحك الشيوخ وقبض النوبى خمسة عشر مليما مقابل نخلة مثمرة...

ولأن النوبى فقير فإنه يسكن دوما إما أسفل أو أعلى، اما تحت السلم فى غرفة البواب، وإما فوق السطح.. وفى بيت متهالك بحى القواله، وفى غرفه معلقة فوق السطح المهتز سكن الطالب زكى.. وفى هذه الغرفة التقى من جديد بصديقة محمد خليل قاسم، والتقى الاثنان برجل نوبى سودانى كثير الحركة، كثير الصخب، جم النشاط اسمه عبده دهب...

وفى هذه الغرفة التى تضاء بلمبة جاز كان النور غامرا ومبهرا.. انه نور المعرفة والوعى الجديد.. وينغمس زكى وقاسم فى حركة إحياء نوبى غامرة، أندية النوبيين والنادى النوبى العام كانت وفقط بيوتا لتلقى العزاء، أو لإقامه الأفراح، أو لثرثرة بعض كبار السن.. لكن الشابين الدافقين الحيوية يبعثان الحياة فى هذه الشقوق..لتتحول الى حياة نابضة..ندوات، محاضرات، فصول للتعليم، ليالى شعرية.. وتضج المقار بالحيوية والحياة..»

ويتسع نشاط القسم النوبى فى الحركة المصرية للتحرر الوطنى (ح.م).. ومن النوبيين الى السودانيين المتكاثرين فى مدرسة حلوان، وفى حى القوالة، وتتسع الغرفة الضيقة لتضم الى أحضانها وافدين جدداً عبد الماجد ابو حسبو، عبد الخالق محجوب، محمد أمين وغيرهم.. ويتسع نطاق الاشعاع ليمتد الى معركة فى صفوف الطلاب السودانيين...

وتصبح مجلة «أم درمان» (مجلة الكفاح المشترك) منبرا يواجه الشعار الخاطئ «نيل واحد.. ملك واحد هو الفاروق» الى «الكفاح المشترك ضد العدو المشترك»

وتتسع دائرة الضوء.. النوبيون يتكاثرون ليصبح القسم النوبى واحدا من أقوى أنشطه ح.م، وليتحول الطلاب السودانيون فور سفرهم للسودان فى اجازة الصيف الى منظمة «الحركة السودانية للتحرر الوطنى- حستو» لتتحول فيما بعد الى الحزب الشيوعى السودانى..

* * *

بأكمله انغمس فى النضال الثورى..

وعندما اصبح طالبا فى كلية الحقوق، كان أحد قادتها، وكان أحد مؤسسى اللجنة الوطنية للطلبة والعمال.. وعندما اكتسحت المظاهرات الوطنية العارمه قوات الاحتلال وطردتها من العاصمة ومن المدن المصرية تلقن أهم درس فى حياته «التحرك فى إطار جبهة أوسع» وظل حتى آخر لحظات حياته متمسكا بشعار «الجبهة الوطنية الديمقراطية».

.. وكان طبيعيا أن يقترب اكثر من الجامعة.. ومن غرفة القوالة الى غرفة معلقة هى الاخرى فوق سطح بيت فى المبتديان.. الآن هو منغمس تماما فى النضال ..فى قسم طلاب حدتو، وفى قسم الاحياء بالقاهرة..

الكادر يتشكل عبر مسارات النضال الجماهيرى المتعددة، الاندية النوبية، لجان الطلبة فى الجامعة، العمل فى خلايا الأحياء..

* * *

وتأتى الانقساميه لتأكل كل شئ.

برجوازيون صغار، صرخوا بأعلى صوتهم فى فترات المد الثورى، عندما كان النضال سهلا ومريحا، ولكن الريح المعاكسة تأتى، حرب فلسطين، وماواكبها من معتقلات، وحملات قبض، وسجون..هنا يحين وقت الفرار، لكن البرجوازى الصغير لايفر صامتا، وكما دخل صارخا بأعلى صوته، يهرب أيضا صارخا بأعلى صوته، مفتشا عن أسباب يتعلق بها ليهرب، وانقسم البرجوازيون الصغار، مزقوا جسد «حدتو»، معلنين انتهازيتها وخروجها على الخط الثورى، لكنهم هم انفسهم مالبثوا ان خرجوا من كامل المعركة، وهربوا..

ويرفض زكى مراد الانقسامية ويخوض معركته ضدها.. ويخوضها أيضا ضد الطغيان، والقهر

وكما يناضل فى ساحة المعركة.. يناضل ايضا شعرا:

بينى وبينكم الدم
فتحكموا..
ماشئتموا..
إنى غدا متحكم.

.. وذات يوم يمر على أحد الرفاق فى محله فى شارع السد.. «شحاتة النشار»، لكن والدشحاته يبلغه أن عددا من المخبرين أتوا ليسألوا عن ابنه، وابلغوه انه مطلوب القبض عليه.

يدرك زكى بحسه الثورى ان ثمة حملة تمس رفاق «القسم» الذى يعمل فيه، يجرى بأقصى مايمنحه له الشباب والحماس وحب الرفاق من طاقة، يصعد سلالم عديدة، يحذر الرفاق من حملة قبض آتيه، الجميع ينظفون منازلهم، يجمعون الاوراق السرية التى يتخذها العدو الطبقى أدلة إدانة، يحرقونها أو يخفونها ويتركون منازلهم.. جرى كثيرا، صعد سلالم كثيرة، حذر العديد من الرفاق، وبعد ان أكمل مهمتة، تذكر شيئا بسيطا، أنه نسى نفسة، نسى غرفته ومافيها من أوراق، اسرع إلى هناك، لكنهم كانوا هم ايضا هناك، وقبضوا عليه، وإلى سجن مصر انتهى به المطاف.

وفى السجن..قرأ كثيرا، ناقش كثيرا، تعلم كثيرا، طبق القانون القديم «السجن مدرسة الثوار».. ورويدا، رويدا، ينضج الكادر على نار السجن الهادئة حينا، والعاصفة احيانا ليصبح قائدا.

والحملة ضد «حدتو» لاتتوقف، واتخذت أخيرا طابع شائعة أو خبر مكذوب، «حدتو» انتهت، توقفت، وحلت نفسها. الكثيرون أكلهم الاحباط، اما هو فقد تعود على ذلك، النيل أكل القرية والبيت والنخيل، وانتقل الجميع إلى مكان آخر ليبنوا «ابريم» من جديد..

وفى السجن انغمس فى منظمة جديدة أسميت «نحو حزب شيوعى مصرى»..

لكن سنوات السجن تنتهى ليخرج فيجد حدتو ملء السمع والبصر، وليجد نفسه هو ومجموعة كبيرة من رفاقه خارجها هو.. واحمد رفاعى..سيف صادق..وغيرهم

هل يمكن للسمكة أن تعيش خارج الماء..؟ ان أمكن ،فانه يستطيع ان يعيش خارج حدتو.

وجلس هو وأحمد رفاعى مع رفاق من قيادة حدتو، وحضر معهم صديق قديم كان زميلا فى جلسات غرفة القوالة ، لكنه الآن اصبح زعيما مرموقا إنه عبد الخالق محجوب السكرتير العام للحزب الشيوعى السودانى..

جلس الجميع يتفاوضون بعد وقت قصير انتفض عبد الخالق..لماذا تضيعون وقتكم فى الحوار، انتم متفقون اكثر من اللازم.. وانضمت نحشم» الى حدتو.

واصبح «زكى» عضوا فى اللجنة المركزية

وتبدأ رحلة نضال جديد، تستمد اندفاعها من اندفاع مصر كلها عام ١٩٥١ ومن معارك الكفاح المسلح ضد الاحتلال، والغاء معاهدة ١٩٣٦..

ويمسك زكى بالخيط الذهبى للنضال «التحرك فى اطار جبهة اوسع» «الانفراد والتقوقع موت اكيد للثورى وللحركة الثورية» وعمل فى صفوف «حركة السلام» و«الجبهة الوطنية المتحدة»

واصبح الفتى النوبى.. نجما متألقا فى سماء النضال السياسى المصرى

وبينما مصر تذوب شوقا الى الثورة، ويتفجر معها الشعب فى معركة مسلحة ضد الانجليز، ورفاق زكى مراد يتدفقون على منطقة القتال ليشكلوا كتائب الانصار، ورفاقه العمال يستعدون لعقد المؤتمر العام لاتحاد عمال مصر.. حلم الطبقة العاملة المصرية، وهو وعدد من قادة حدتو منهمكون فى الاعداد لمؤتمر «شعوب الشرق الأوسط» الذى تقرر عقده فى القاهرة بدعوة من حدتو.. تأتى المؤامرة وتحترق القاهرة ويعلن حزب الوفد «الاحكام العرفية» لتقال حكومته.. وتفتح المعتقلات.

وفى هايكستب يتألق النجم الاسمر، المبتسم دائما، الملئ بالحيوية، الدافق الحركة.. يتألق كواحد من دعاة «الجبهة الوطنية» ضد حكم فاروق، ومرة أخرى يمسك زكى بالخيط الصحيح، كان يعرف بحكم وضعه فى قيادة حدتو ان تنظيم الضباط الاحرار يستعد لفعل شئ ما، وكان بحسه الثورى الدافق يستشعر ان ثمة حاجة الى توحيد كل القوى الوطنية فى جبهة تفسح المجال لتغيير ثورى تصنعه ارادة الجماهير وتساندة القوى الوطنية فى الجيش.. وليس العكس.

لكن ثورة يوليو تأتى بأسرع مما توقع الكثيرون، وتقف حدتو الى جوارها، ويقف زكى مراد فى مواجهة بعض القوى التى حاولت الوقوف ضد الحركة..سواء داخل مصر، او خارجها..

كانت الحركة الشيوعية العالمية بما فيها الحزب الشيوعى السوفيتى تعتبر حركة يوليو انقلابا امريكيا، وفى مواجهة هذا التيار وقفت حدتو مؤيدة ومساندة لحركة الجيش، ووقفت فى نفس الوقت ضد محاولات حركة الجيش لانتهاك الديمقراطية، وحل الاحزاب، وتجاهل الدستور، ووقع..ووقعت حدتو بين فكى كسارة البندق، الحركة الشيوعية العالمية تدينهم وترفض موقفهم، وحركة الجيش تعتبرهم الخطر الاكبر، ليس فقط لأن حدتو كانت المنظمة الاكبر والاكثر حيوية، وإنما أيضا لانهم التنظيم الشيوعى الوحيد الذى امتلك قوة ونفوذا فى صفوف ضباط الجيش.

ودارت ماكينة الإرهاب من جديد ضد حدتو.. وبأسرع مما دارت ضد المنظمات الاخرى، حتى «الجهاز الفنى» لحدتو الذى كان يطبع منشورات الضباط الاحرار، مالبثت قوات البوليس ان داهمت مقره وقبضت على العاملين فيه...

واختفى زكى مراد، ليقود معركة شرسة مع حلفاء الأمس.. متمسكا بحق مصر فى الحرية وحق شعبها فى الديمقراطية.. وكعادته اتسعت مساحة حركته لتشمل قوى وفدية وديمقراطية وعناصر من الحزب الاشتراكى.. وفنانين وضباط وجيش..

.. وعندما قبض عليه لم يكن مصادفه ان تسمى قضيته «قضية الجبهة الوطنية».. لم تكن مصادفة ايضا ان يذهب عبد الناصر يومها مزهوا الى اجتماع مجلس قيادة الثورة قائلا «هنتوا زكريا (يقصد زكريا محيى الدين وزير الداخلية) فقد وجه ضربة قاصمة لحدتو..»

***

وتبدأ رحلة الانتقام الرهيب.

شراسة النظام تتجلى.. فى محاولة افتراس حلفاء الامس.. الذين شاركوا بجهد كبير فى صناعة الثورة وتنفيذها، ويكون السجن الحربى من نصيب زكى مراد وعدد من رفاقه...

والسجن الحربى فى ذلك الحين هو مصنع التعذيب والعذاب، واليه هناك يتسلل خبر وفاة والده، يتدفق الحنين كلاما، والعذاب شعرا. ويعود ثقاب محترق يكتب على جدار الزنزانة:

يا أبى أنى أعيش...فى جحيم مستعر
ليس لى غير كفاحى...والصباح المنتظر
كنت أرجو ان تعيش... لترانى انتصر
أنالم أهدك شيئا... فى حياتى الماضية
غير أنى كنت أنوى... فى حياتى الآتية
ان تكون الباقة المهداة... دنيا ثانية
وطنا حرا سعيدا ... ونفوسا عالية

وهكذا كان المتفائل ابدأ يتنفس التفاؤل حتى فى زنزانة السجن الحربى البشع.. ومن تحت مياه الألم المخض لوفاة أبيه

***

ومن السجن الحربى.. الى محكمة الدجوى، ثمانى سنوات سجن اشغال شاقة، ليمان طره، الجبل، القيد الحديدى الدائم، ثم من هناك الى اعمق اعماق الصحراء فى بقعة لاتنمو فيها سوى ثعابين الطريشة القاتلة.. حيث اقيم سجن من خيام هو سجن جناح..

وهناك نلتقى من جديد لتتوطد صداقة لاتنتهى..بل تنمو أبدا.

وفى جناح قرأ كثيرا، وكتب كثيرا.. ومن جناح الى سجن قنا الى سجن المحاريق بالواحات ايضا..

وتنتهى السنوات الثمانيه، ويرحل الى القاهرة حيث يلتقى حسن المصيلحى ضابط مكافحة الشيوعية الذى اعتاد أن يساوم الشيوعيين على حريتهم، ان يستنكروا المبدأ ويتعاونوا معه ضد رفاقهم.. أو يعودوا الى ذات السجن معتقلين..لكن المصيلحى يخشى او لعله يستحى أن يساوم زكى مراد..يسلم عليه بحرارة ثم يأمر باعادته الى الواحات..

ومع آخر دفعة يخرج عام ١٩٦٤

وتجرى فى النهر أحداث كثيرة..

قرار الحل، النكسة، هو وعدد من الرفاق يكونون بداية جديدة لحزب جديد، ويصدرون أوراقا عديدة تحمل توقيع «أحمد عرابى المصرى» قليلون جدا كانوا يعرفون او يخمنون انها تعنى «الحزب الشيوعى المصرى»

...ويبدأ الرجل الذى لايمل ولايهدأ..رحلة كفاح جديد.

والسجن من جديد، لكنه هذه المرة يترك زوجة وأطفالا.. صلاح صفاء، ثم صابرين ولاتختفى البسمة ولايتناقص التفاؤل..بل يترايد..

ويخوض زكى على رأس رفاقة المعركة ضد السادات.. حتى النهاية

ولعلها لم تكن مصادفة ان يكون آخر خطاب له، وآخر اجتماع سياسى حاشد يشارك فيه ممثلا لحزبه.. بمقر حزب التجمع وفى هذا الخطاب، يؤكد زكى ويعود ليؤكد ثم يلح فى التأكيد على أهمية الجبهة الوطنية ويحث كل القوى المناوءة للسادات على الوقوف صفا وطنيا واحدا ضده.

إنها وصيته الأخيرة

***

وفى ١٨ ديسمبر ١٩٧٩ وفى رحلته الى الاسكندرية ليترافع فى قضية عمالية هامة، يقع حادث غامض وتفقد مصر واحدا من أعز أبنائها..

ويرحل زكى مراد..

ويرثيه فؤاد مرسى فى حفل تأبينه قائلا: سيبقى زكى مراد، مابقى حزب زكى مراد..ومابقى رفاق زكى مراد.

ضرائب وإغلاق وبطالة

بدأت مأمورية ضرائب الجمالية، اخطار المولين بنماذج ١٨ و١٩ بصورة خرافية مخيفة، تجبر المولين على إغلاق الورش والمصانع إلى الأبد، وتشريدهم مع أسرهم وعمالهم، فى الظروف الاقتصادية المتدهورة والكساد الشامل الذى غطى كل ورش ومصانع الألومنيوم. سبق أن التقينا برئيس مصلحة الضرائب محمد فتحى عبد الباقى، ووكيل الوزارة ماهر محمد ليالى، ولم نصل حتى الآن لنتيجة محددة ترفع العبء عن مصانعنا وتدفع عجلة الإنتاج وتحمى العمال من التشرد، خاصة مع حالة الكساد وضريبة المبيعات وغلاء الخامات والكهرباء والمياه ومستلزمات الإنتاج وصعوبة التمويل.. وان كل هذا يعنى بالضبط إعدام الصناعات الصغيرة الوطنية، وأعتقد أن الموت أصبح أفضل للناس من الحياة بهذه الأعباء والتشريد واشتداد البطالة التى زادت بالملايين.

سعد زغلول محمد
عضو مجلس ادارة
غرفة الصناعات الهندسية

«العبقرى».. والصفيح «الخردة»..

بداية نشكر الله الذى «فك» عقدة لسان **«الدكتور»**. فأصبح - كما شهرزاد - لايكف عن الكلام وإن أدركه «الصباح». وصار «يفتى» فى كل شئ وأى شئ. فلم يعد يطبق مثلنا القائل «إن كان الكلام من فضة يكون السكوت من ذهب». ولكن المشكلة تكمن فى أن صمت الدكتور - حين كان صامتا - لم يكن كله «ذهبا»، كما أن كلامه - حين صار متكلما - لم يكن فضة بل ظهر أنه من الصفيح «الخردة»!!.

ومن قبيل هذا الصفيح «الخردة» رده على بيان حزب التجمع والذى ألقاه الأستاذ/ خالد محيى الدين مؤخرا. إذ وصفه الدكتور «العبقرى»!!، بأنه «عفى عليه الزمن»!! كيف يادكتور؟! هل أصبح توفير لقمة الخبز للفقراء والكادحين يثقل «حكومتك» السخية.. وهل أصبح علاجهم من الأمراض والأوبئة - مجانا أو فى حدود طاقتهم - إن كان قد بقى لديهم قدرة أو طاقة - ترفا لايليق «بحكومة» تصدع رؤوسنا ليل نهار بإنجازاتها «الوهمية».. هل صار التعليم المجانى من الكماليات لايجوز إلا لمن يقدر على تكاليفه.. وهل القطاع العام بات خطيئة لايغفرها الله و«بوش»؟؟؟!

ويقول «عبقرى» زمانه «أن رد الأستاذ خالد يذكره **بفترة الستينيات»، فهل** باتت عورة لابد من سترها؟!!.. ويقول أيضا «لافض فوه» أن السبب فيما نحن فيه الآن هى السياسات التى طبقت فى تلك الفترة.. كيف يكون ذلك أيها «الأكاديمى»؟!.. والمفترض فيك أنك تعلم أن لكل شئ سبب وأن أسبابا ومقدمات معينة تفضى دائما إلى نتائج معينة. **فهل تعتقد يادكتور «الهنا» أن سياسة عبد الناصر فى الستينيات هى التى أدت إلى هيمنة أمريكا وإسرائيل عليكم وعلى الجميع.. هل هى السبب فى** تركيع «العرب» كلهم من المحيط «المتعوس» إلى الخليج «الموكوس».. ومن «مسخرة» مدريد إلى «ملعبة» موسكو و«ملطشه» واشنطون... هل هى السبب فى الخراب الشامل الذى نعيشه الآن.. وهل **«الريان والسعد والشريف ورئيس القومية للأسمنت» وألوف غيرهم هم النبت الطبيعى لفكر وسياسة عبد الناصر والستينيات**.. وإلى أى مدى يسأل عبد الناصر عن فضائح عبد الحميد حسن و«الكيميائى» و«أشباح كشوف البركة» ومحافظ «الردة والمستوطنات» والمسنود من وزير «التطبيع» ..**وهل عبد الناصر مسئول عن وصول نواب «الغاب والكيوف» إلى مجلس شعبكم «المزور»؟؟!!!**

أيكفى هذا «يادكتور» أم تريد المزيد؟ «وياما فى الجراب

د. عاطف صدقى



ياخاوى» وأخيرا كان «سكوتك وصمتك» الذى لم يكن دائما من ذهب أفضل كثيرا من أن تقذف وجوهنا وعقولنا بصفيحك «الخرادة»!!.. فعد كما كنت «صامتا» فهذا أفضل لك.. ولنا!!!!

عاطف بسيونى
ليسانس حقوق- جامعة القاهرة

(الجزائر والإختبار الديمقراطى)

من يتملكه الفرح لما حدث ويحدث فى الجزائر يخطئ كثيراً. فمهما كانت آراؤنا السياسية وموقفنا من تيار الإسلام السياسى بوجه عام.. إلا أن ماحدث فى الجزائر هو خسارة للديمقراطية وهزيمة لتجربه كانت من الممكن ان تكون فى غاية الفائدة للتطور السياسى ومستقبل المنطقة ككل.

ففى الوقت الذى تهاوت فيه الأنظمة الإشتراكية الشمولية بسبب غياب الحريات الأساسية وانعدام المعارضة السياسية ولم يعد من الممكن الحديث عن نظام حكم سياسى لا يأخذ فى حسبانه توافر الحد المعقول من حقوق الإنسان والحريات العامة.. لاحت تجربة الجزائر بأداء ديمقراطى رائع وإنتخابات لاتت الحكومة التى أجرتها هزيمة منكره مما يدل على حيده ونزاهة هذه الإنتخابات.

والإنقلاب على جبهة الإنقاذ ومنعها من الوصول للحكم بحجة أنها ضد الديمقراطية. كلام لايعقله أحد لوصحت نية الجبهة للارتداد عن النظام الديمقراطى الذى أتى بهم للحكم فكان هذا سيكون نهاية لجبهة الإنقاذ وخروجا منها على الشرعية الديمقراطية التى أتت بهم مما كان سيعطى حركة الجيش حينئذ مشروعية دستوريه. وكان



الشاذلى بن جديد

سيكون اختبارا عمليا للإتجاه الاسلامى وموقفه من الديمقراطية مما كان سيؤثر على مستقبلهم فى المنطقة ككل. والسيناريو الآخر إذا لم ينقلب الإسلاميون على الديمقراطية فكانت ستكون فرصة أمام الشعب لإختبار وتجربة هذا الإتجاه ومقدرته على حل مشاكله الاقتصادية والسياسية الملحه.

فلم يعد معقولا ولامقبولا فى ذلك العصر الحكم على إتجاه بمجرد شعاراته التى يرددها ولكن المحك الفعلى لأى فريق سياسى هو فى خضم تجربة الواقع العملى الذى يحدد مستقبل ومصداقية هذا الإتجاه أوذاك.

ومن يظن أن الإنقلاب الأخير قد باعد بين الإسلاميين والحكم يخطئ كثيرا فهو فى واقع الأمر قد قارب بينهم وبين الحكم الشمولى الديكتاتورى بإسم الدين بشكل لم يسبق له مثيل. فما دام أحد أطراف اللعبه الديمقراطية قد خرج عليها فيصبح للإسلاميين أيضا الوصول للحكم بأى شكل خاصة وأن لهم شرعية انتخابية وشعبية أكيده مما يعطى فى النهاية صوره سيئة للوضع فى الجزائر الذى سيدور بين الديكتاتورية العسكرية والديكتاتورية الدينية أيهما أسبق وأشرس وأقوى.

إن الخروج على الشرعية والديمقراطية لايفيد سوى أعدائنا لأنه مهما كان رأينا فيمن سيصل للحكم أولا إلا أن قواعد لعبة الديمقراطية تقضى بأن من يأتى عن طريق صناديق الإقتراع يمكن أن يذهب عن الحكم بذات الطريق وليس بطريقة أخرى وإلافسدت اللعبة تماما.

إن ماحدث يدل على أن وصول الدول العربية لنظام ديمقراطى يحترم التعددية الحقيقية أمر ليس سهلا ويحتاج إلى مزيد من الوقت والتجارب والوعى الذى يتجاوز المصالح الضيقة للحكم ويحتاج لإستقرار الأساسيات الخاصة بحقوق الإنسان والحريات العامة.

أحمد طاهر المحامى
المنصورة

ليبرتى.. ولو كربى

أغرقت مدفعية الكيان الصهيونى أبان عدوانها على مصر عام ١٩٦٧ السفينة الأمريكية ليبرتى، وقتل ٣٧ من ضباط وجنود البحرية الأمريكية، ورغم أن الفاعل محدد ولم ينكر، ورغم أن الضحايا كلهم أمريكيين، فلم تطالب أمريكا بتعويض، واكتفت بالتكتم على الحادث، بينما تقيم الدنيا ولاتقعدها ازاء حادث تفجير الطائرة لو كربى، رغم أن الضحايا مختلفى الجنسيات، والحادث لم يقع على أرض أمريكا أو فى سمائها- ألا يدل ذلك على أن أمريكا تكيل بمكيالين؟. ألا يفرض ذلك علينا لم شتات الضعف العربى ورسم استراتيجية طويلة المدى لبناء القوة العربية الموحدة لقطع الطريق على مخططات الأمبريالية الأمريكية التى تحاول استثمار المناخ الدولى الجديد لاذلال العرب وتحطيم قوتهم؟!

المحاسب مدحت عبد الحميد
المنصورة

أهداف الشعوب السعة

وصلتنا رسالة من الصديق مصطفى النجار مدرس أول التاريخ

القذافى



بدمنكة- دسوق- كفر الشيخ، يسرد فيها تاريخ بريطانيا فى العداء للمنطقة العربية والرغبة فى اضعافها بزرع اسرائيل فيها، وضرب التجارب التنموية فى مصر منذ على بك الكبير ومحمد على، حتى تحالف الاستعمار والصهيونية على ضرب تجربة عبد الناصر، ثم تحطيم القوة العراقية التى كان من الممكن أن تهدد أمن وسلامة اسرائيل.

ثم «وجد الاستعمار والصهيونية أن ليبيا تمنى التنمية والقومية العربية وبقايا عبد الناصر ومخازن السلاح والموقف الحر فى أزمة الخليج، وليبيا التى يشك فى لجوء بعض الخبراء النوويين السوفييت اليها. وبالتالى لابد من تصفيتها أيضا تحت سمع وأبصار كل العرب!

والحل وتلك هى مهمة الشعوب العربية، فى التخلص التام من كل الأنظمة العربية الرجعية العميلة. ووضع خطة تنمية عربية شاملة، والوحدة الاقتصادية والسياسية، وجيش عربى واحد مجهز بأحدث تكنولوجيا الحرب تحت قيادة واحدة، والأنصهار الثقافى والحضاري من خلال رؤية قومية، وأن يكون للأسلام سلطة الموعظة الحسنة لا السلطة الدينية فالدين لله والعلمانية منهجا وسلوكا»

حوار مع اليسار

التنوير الدينى

(تحية وتهنئة حارة باطفاء الشمعة الثانية من عمر «اليسار» الصامدة فى زمن الركوع، وبعد.. افتقدنا فى أعداد «اليسار» كتابات الكاتب الكبير **محمد حسنين هيكل**، وأتمنى أن أجد بابا ثابتا للتنوير الدينى حتى لاتطفى القوى الظلامية على أفكار البسطاء.. وبالنسبة لزيادة سعر المجلة، فقارئ اليسار سيشتريها بأى سعر يناسب تكاليفها.. وإلى مزيد من الصمود والتقدم

مصطفى سنجر
تربية بورسعيد

أولاد الإيه

(تحية محبة الوطن.. وبخصوص مجلتنا «اليسار» فان أهم الملاحظات «عدم الإكثار من الموضوعات الطويلة وألا يزيد أى موضوع عن ثلاث صفحات، وعدم وضع الصور الكبيرة (مثال ذلك صورة بوش اللعين، وجورج مارشية) وعدم زيادة سعر المجلة وأن أدى ذلك لتخفيض عدد صفحاتها ونشر بعض القصائد كما كان يحدث فى «الأهالى» وبعض الأخبار السريعة مثل أولاد الايه، والتركيز على الجانب الايجابى للتيار الاسلامى بدلا من الهجوم على الاسلام، ونشر كاريكاتير للفنان ناجى العلى.

صلاح سعد تهامى
مدرس أول بادارة
مغاغة التعليمية

(* اقتراحاتك ستعرض على إدارة التحرير وهيئة مستشارى المجلة. ونسألك سؤالا نرجو الأجابة عليه- أن لم يكن قد خانك التعبير فى رسالتك الينا- من أين جاءك الأحساس بأننا نهاجم الاسلام؟ وهو مالم يخطر على بال ادارة تحرير المجلة وكتابها ومحرريها ولم يرد فى أى موضوع، أم أنك تخلط بين مهاجمة «الارهاب باسم الأسلام» وبين «الإسلام» نفسه؟

تهديد بالمقاطعة

أناشدكم عدم زيادة سعر



محمد حسنين هيكل

اليسار بأى طريقة ويكفيكم ما أنقصتم منها من صفحات.. كما تفعل حكومتنا الرشيدة بانقاص وزن الرغيف وانقاص البوتاجاز وتثبيت سعريهما وحتى الآن فأنا دفعت ٢٤ جنيها فى أربعة وعشرين عددا «لليسار» من قوتى لأننى وبكل بساطة أتقاضى مرتبا قدره (٧٥ جنيها) أدفع منها ٢٥ جنيها شهريا كأقساط وأعطى والدتى ٢٠ جنيها وأخى الذى يدرس بمعهد الخدمة الاجتماعية ١٠ جنيهات ويبقى لى ٢٥ جنيها فقط أدفع منهم جنيها لليسار وأكثر من عشرين جنيها مواصلات، فماذا يتبقى لى..هل أمد يدى.. لن أشترى اليسار فى حالة زيادة سعرها.

أحمد على سليمان
الطوخى
عضو لجنة محافظة
سوهاج بالتجمع
بنى هلال- المراغة

* مع تقديرنا لمطلبك بعدم رفع سعر المجلة، فاننا نرجو منك إعادة حسبة مرتبك التى وردت برسالتك، لأنها حسبة غير دقيقة.. أما عن تشبيهنا بالحكومة فى رفع الأسعار فهو أمر غريب، فالحكومة هى صاحبة السياسات والسلطة التى تؤدى لرفع الأسعار، ولايمكننا التحكم فى ذلك ونحن فى المعارضة، كما أننا عندما طرحنا على القراء ضرورات رفع سعر المجلة انطلقنا فى ذلك من حرصنا على عدم التوجه لغير أصحاب المجلة (وهم الجمهور الذى تتوجه اليه) ليشاركنا تحمل أعباء اصدارها واستمرارها وتطورها منبر قويا للتقدم والديمقراطية والاشتراكية والتنوير، وراية للمستضعفين فى الأرض.. وعلى أية حال فالموضوع مازال قيد البحث.

و٥ طلبات للقرشوطى

تهنئتى بالنجاح المستمر «لليسار» وتعزياتى فى القلم الذى توقف عن النبض فيليب جلاب.. كم كان ذلك مؤلما لنا جميعا.. وأطالب أن تكون الأعباء مناصفة بين القارئ و«اليسار» فيرتفع السعر إلى ١٥٠ قرشا، وأتقدم بخمسة مطالب، أن يستطيع القارئ الانتقال من يمين فى شمال إلى صفحات المجلة، وأن تطرح المجلة الحلول بضيغة عملية ولاتكتفى بالنقد فقط، وأن تطرح قضايا ثقافية إضافة لما تطرحه أدب ونقد، وتخصيص صفحة أو نصف صفحة للتعريف بالمصطلحات السياسية، والمزيد من الخروج للشارع المصرى والأرتباط بالناس فى صورة تحقيقات شهرية.

اسحق روحى
القرشوطى

نرجو من الصديق اسحق أن يخطرنا بالموضوعات المحددة التى لم نطرح فيها حلولا عملية، كما أن هناك قضايا لايمكن حلها عمليا الا بتغيير السلطة الحاكمة وسياساتها. فضلا عن أن «اليسار» قدمت كثيرا من الحلول والبرامج والخطط التى تضمنتها موضوعات عديدة بها، وفقا لرؤية اليسار وهو مالاتقدر ولاترغب الحكومة فى تنفيذها.

لابـأس... ولكـن

د. رفعت السعيد

لابد وأن تحظى دعوة د. عبد العظيم أنيس للحوار مع دعاة الإسلام السياسى باهتمام بالغ.. وهو اهتمام ينبع من قيمة الكاتب وأهمية الموضوع معا.

وقبل أن أبدى ملاحظاتى حول موضوع الدعوة أود فقط أن أبدى ملاحظتين عاجلتين على بعض عبارات وأفكار وردت فى مقال الدكتور أنيس.

.. حديثه «عن البعد «الوطنى» المعادى للامبريالية والصهيونية فى تلك التيارات». والعبارة صحيحة فى مجملها بشرط أن نتعرف أولا على معنى «وطنى» ومعنى «معادى» ،فالمفردات التى نستخدمها تكتسب مدلولا خاصا ومميزا لدى تيار «الاسلام السياسى»، وهو مدلول يختلف بل وقد يتناقض عن مدلولها لدينا.

فدعاة «الإسلام السياسى» فى حقيقة الامر- ومنذ البداية- لايعترفون بالوطن الذى نتحدث نحن عنه. فالشيخ عبد العزيز جاويش كان يؤكد صراحة «لاوطنية فى الاسلام»، وانشق عن محمد فريد عند ما صمم فريد على أن يتبنى الحزب الوطنى شعار «مصر للمصريين». وكان يرى ان «الاسلام بذاته وطن» ولعل الجميع منهم يرون ذات الرأى. .والفارق هو فى مدى القدرة على المصارحة..

فالعالم عندهم قسمان «ديار الاسلام» و«ديار الكفر». والوطنية بمعناها الذى نعرفه «بدعة نصرانية» لانها تمزق ديار الاسلام وتحجب إمكانية قيام الخلافة الاسلامية

أما العداء للإمبريالية والصهيونية فهو يكتسب لديهم بعدا خاصا جدا.. فهو موقف دينى بحت فالامبريالية نصرانية والصهيونية «يهودية» والعداء لهما مفترض من منطلق دينى صرف.. ولكن لوقامت «ايران» مثلا بغزو بلد عربى مجاور فذلك فى وجهة نظرهم «فتح» وليس «غزوا»..ولو تجاسرت الحكومة «الاسلامية» فى السودان مثلا على المساس بحدود مصر فذلك «فتح» أيضا وليس غزوا.

وهكذا فاننا يادكتور انيس نتكلم لغتين مختلفتين تماما. .لغة العصر، ولغة الماضى ومفرداتهما تحمل معانى مختلفة، ومضامين مختلفة.

وإن كنت لا أنكر ضرورة الأخذ بالظاهر والاستفادة من هذا الحماس «الوطنى» و«المعادى» «للإمبريالية والصهيونية أيا كان فهمنا أو فهمهم له..

٢- توقفت طويلا امام الفقرة الاخيرة فى مقال د. انيس والتى تعيد إلى الاذهان امجاد الماضى السحيق مثل ذكريات سقوط القسطنطينية فى يد المسلمين وحصارهم لأسوار فينا فى القرن السابع عشر ومعركة بلاط الشهداء فى جنوب فرنسا.. الخ وخوف الغرب من عودة هذه الامجاد وخيل الى- ولعلى مخطئ- أن الدكتور أنيس قد وقع ايضا فريسة لخيالات وأوهام دعاة الاسلام السياسى الذين يتجاوزون كل الحاضر ومعطياته ويرتدون للماضى..ناسين اومتناسين المسافة الحضارية وحقائق عالم اليوم.. وفارق القوة.. وفارق الحضارة..وفارق التحكم الاقتصادى. .وفارق التقدم العلمى.. وفارق السيطرة على مقدرات العالم.. ناسين ذلك كله متخيلين ان وحدة المسلمين تحت قيادة خليفة واحد قادرة بذاتها على اعادة توازن القوى إلى زمان القرن الخامس عشر..

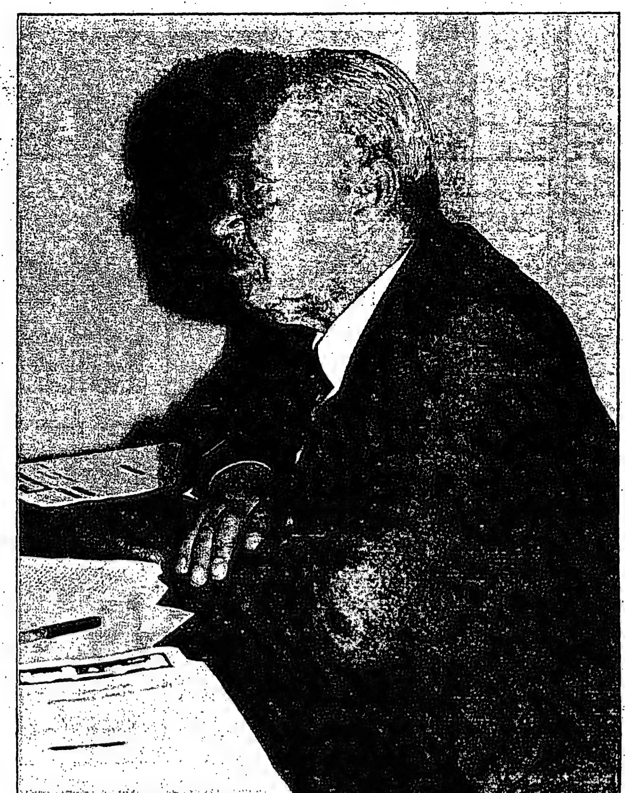
وهى نظرة لايمكن الاتفاق عليها.. من جانبى على الأقل..!!

ولعل هذه النظرة توحى إيضا بأن «الغرب» يخشى اويعادى حركة الاسلام السياسى.. وهو مايحتاج الى دليل، بل لعل الأدلة المعاكسة موجودة، فأصرار امريكا والغرب على إضعاف العراق ومواصلة حصاره، لايحتاج إلى كثير ذكاء كى نعرف مايترتب عليه من قوة ايران «الاسلامية» وتزايد دورها فى المنطقة، والسادات الذى اطلق عنان هذه الحركة، وحكام العديد من البلدان العربية الذين ساندوا -ولم يزالوا- هذه الحركات ليسوا- ولم يكونوا -بعيدين عن متناول يد «الغرب» و«امريكا».. وحتى «الصهيونية».

فقط لأدلل على وجهة نظرى لنسأل انفسنا ماهو مصدر قوة حركة «حماس» فى الأرض المحتلة، ومن اين تمول؟ ولعل الإجابة لاتخفى على أحد، فثمة طرف يسعى بحماس كى تصبح حركة «حماس» نقيضا لمنظمة التحرير ولعل المنظمة وقعت حينا فى مصيدة التحالف مع «حماس» فإذا بها وبعد أن تستقوى تعلن ان المنظمة طاعون.. وعدو للخلافة الاسلامية لانها تنظر للقضية الفلسطينية بمنظور وطنى وليس اسلاميا.

وبعد هاتين الملاحظتين أود أن أضيف ملاحظات أخرى..

١- ليس ثمة أحد ضد الحوار..ولابأس منه، ولكن حول



د. عبد العظيم انيس

ماذا؟ وبأية أهداف؟

يقول الدكتور أنيس أن الهدف منه «رص الصف الوطنى الإقليمى بين كافة القوى السياسية التى تؤمن بأن العدو الرئيسى للشعوب العربية هو الامبريالية الامريكية واسرائيل.

ومرة أخرى من أجل ماذا؟

إن لكل معركة اهدافها.. فما هى الاهداف المشتركة التى تجمعنا نحن وهذا «التيار»..

الامام الشهيد حسن البنا



الذى يخلط معركة ضد «العدو الرئيسى» «النصرانى» بمعركة ضد ملايين «النصارى» المصريين، ويطلب منهم قبول مرتبة مواطنى الدرجة الثانية او العاشرة، وأن يدفعوا الجزية صاغرين... والذى يخلط معركة «الوطن» بتمزيق الوطن، وتحرير المواطنين بتجريد مواطنين «بسبب العقيدة» من أبسط حرياتهم.. وكيف نستطيع ان نزعم لمصر اننا ندافع عنها ونحن نمزقها وان نزعم للمصريين اننا نحررهم ونحن نفرق صفوفهم؟

مرة ثانية أوثالثة من أجل ماذا؟

إن مفهومنا «للتحرر» يستهدف تحقيق حكم «وطنى وديمقراطى»

وكلا الامرين غير ممكن عبر مقولات تيار الاسلام السياسى.

فكلمة «وطن» رأينا ان مدلولها مختلف عندهم فايران والسودان هما ديار الأسلام.. ونحن هنا فى نظرهم ديار كفر وان اعتدلوا قالوا انها **«ديار كفر ليس بساكنيها (أى سكانها) وانما بنظامها وقوانينها»**.. ولعل هذا يؤثر كثيرا فى الموقف والمنطلق والولاء.. اما كلمة «ديمقراطى» فهى تستحق وقفة هى الاخرى.

فالديمقراطية عندهم بدعة نصرانية.. كافرة.

لماذا؟... لانها تعطى للأغلبية الحق فى التشريع.. بينما يرون أن **التشريع من حقهم هم وحدهم باعتبارهم «أهل الحل والعقد فى الإسلام»**. وهنا لايمنعهم من قبيل «العقيدة» من دخول الانتخابات للوثوب إلى الحكم ان امكن ثم يعلنون رفضهم لهذه البدعة. وهذا تماما هو مافعله أحد قادة جبهة الإنقاذ بالجزائر عندما خاض معركة الانتخابات وعندما حاز مايكفيه للحكم سارع أو تسرع فأعلن أن **الديمقراطية «إلحاد»**.

كذلك فإنهم لايعتدون الا «بالشورى» والشورى عندهم غير ملزمة للحاكم (الأمير) **فالأمير الفرد** كما يقول احد كبار مفكريهم «أبو الأعلى المودودى» **قد يكون أحد بصرا وأثقب فكرا من مجموع جماعة الشورى..**

وهذا هو ذات ماطبقه مرشد الاخوان المسلمين الأستاذ **حسن البنا**، اذ خالف اجماع مكتب الارشاد أكثر من مرة وانفرد بالقرار وحده باعتباره «أميرا» له الطاعة بل إن طاعته هى من طاعة الله تعالى.

وينبع ذلك الانفراد بالقرار من حصول الامير على البيعة «فى المنشط والمكره»

وكذلك ايضا- وهذا هو الأخطر- أن دعاة الاسلام السياسى يعتقدون أويدعون أن دولتهم هى دولة الاسلام وانها ستعلى راية الإسلام وتنفذ احكامه.. وهو اعتقاد او ادعاء نختلف معهم فيه، لكن اعتقادهم هذا يجعلهم يربطون بين بقائهم فى السلطة وبين بقاء راية الاسلام مرفوعة، ويجعلهم يعتقدون ان السعى لابعادهم عن السلطة هو ارتداد للإسلام.. عما حازه من كسب ونصر.. ومن يقبل أويتقبل أن يرتد الاسلام.. أو يتراجع أوينهزم..

هنا تأتى المفارقة الحقيقية وهى ان جماعات الاسلام السياسى يريدون الحكم.. والى الأبد.

وإذا كنا نعتقد بضرورة الديمقراطية.. وبانها تعنى فى الجوهر..

- **أن تحكم الأغلبية ويكون لها حق التشريع.**
- **تداول السلطة**
- **التعددية الحزبية.**

فإنهم يرفضون هذه المفاهيم الثلاثة، بل ويعتبرونها نقيضا لفهمهم للدين الاسلامى

ولقد رأينا رأيهم فى حق التشريع للأغلبية وفى تداول السلطة فماذا عن رأيهم فى التعددية؟

الحقيقة انهم يدعون القبول بها، وقد قبل

بها الإمام حسن البنا حينا قما ان شعر ببعض القوة حتى اعتبرها خروجا على وحدة المسلمين. ومنطقهم في رفض التعددية ينبع من اعتقادهم بأنهم «جماعة المسلمين» وليسوا مجرد جماعة «من» المسلمين، فإذ يكونون «جماعة المسلمين» فإن من والاهم فقد والى صحيح الدين، ومن عارضهم فقد عارض صحيح الدين، و «من خرج على الجماعة فاضربوه بحد السيف»..

إن أركان الديمقراطية مرفوضة عندهم، وهو رفض ثابت وغير آني، ومبدئي وليس مرحليا، لأنه مرتبط بفهمهم لدورهم في المجتمع كجماعة المسلمين..

الى هنا ونسأل.. هل معنى ذلك كله أننا نرفض الحوار؟

وأجيب :لا... **فقط يجب أن نعرف مع من نتحاور حتى لاتخدعنا المظاهر الكاذبة، ولانخدع «بالعقيدة» التي تعتنقها كل جماعات الإسلام السياسي وفي المقدمة منها جماعة الإخوان المسلمين..**

ولعلني لا أحتاج إلى أدلة عديدة، فقط أرجوك يادكتور ان تطالع مذكرات بعض قادة الجهاز السري للإخوان امثال الأخ صلاح شادي (حصاد العمر) والأخ أحمد عادل كمال (النقط فوق الحروف) لترى كيف كان الاستاذ حسن البنا يصدر الأوامر بعمليات إرهابية ثم يتنصل منها، ويقرر في براءة ان من قاموا بها «ليسوا إخوانا وليسوا مسلمين» ثم وبعد أن يصدر هذا البيان البرئ يعود ليصدر أوامره بشن عمليات ارهابية جديدة.

كذلك يجب ان نعرف على أي أساس نتحاور؟ ولماذا؟

ولعله من الضروري قبل أن يحتل الحوار مكانه في الحياة السياسية المصرية ان تتعاهد كل أطرافه علنا وأمام الناس على مبادئ أساسية:

١- الإقرار الآن ومستقبلا بالتعددية الحزبية

٢- الإقرار الآن ومستقبلا بمبدأ تداول السلطة

٣- الإقرار الآن ومستقبلا بحقوق متساوية ومتكافئة للمصريين جميعا.. بغض النظر عن الدين.

٤- الإقرار الآن ومستقبلا بحرية الرأي والفكر والمعتقد، وبأنه ليس لأية جماعة أخرى لي تحديد هوية هذه الحريات ومقدارها ومحدداتها..

٥- وقبل هذا كله الإقرار بأن الوطن هو «مصر» وبأنها وطن للمصريين جميعا على قدم المساواة..

وبعد...

فإن هذه ليست شروطا، وإنما هي محددات لمستقبل العلاقة، كي لانتساق وراء سراب خادع في علاقة يكون الطرف الآخر هو الكاسب الوحيد ونحن الخاسرون.

وحتى لا نجعل من أنفسنا حصان طروادة يتسلل منه دعاة التطرف وعبره الى ساحة الوطن حتى يتمكنوا بعد ان يتمسكنوا..والويل للجميع..لمصر ولابنائها جميعا مسلمين واقباطا اذ يتمكن هؤلاء من رقابهم.

وحتى يكون حوارنا معهم مفيدا لنا ولهم.. ويكون قادرا على اعادة تكوينهم (ان كان هذا ممكنا) بصورة حضارية وعصرية.

إن هذه المبادئ الأساسية الخمس هي «حدود وطنية» يعني ان تجاهلها لايصيبنا نحن بالغفلة، بل يسوق الوطن الى المقصلة..

...وأشراك الجماهير فيها هو إبراء للذمة ،واستخدام لطاقات الجماهير في التأثير الفاعل والايجابي على هذه الحركات ، لعلها..تفيق من غيبوبة الماضي وتقترب من روح الحاضر.

ولست أعتقد أننا بقادرين على خوض الحوار مع هذه الجماعات دون التأكد من اعلان هذه المحددات.. واشهارها، والتأكيد عليها، أمام الجماهير، لتصبح شاهدا علينا وشريكا لنا في المسئولية، ودرعا للحوار..ولمصر.

اخيرا..

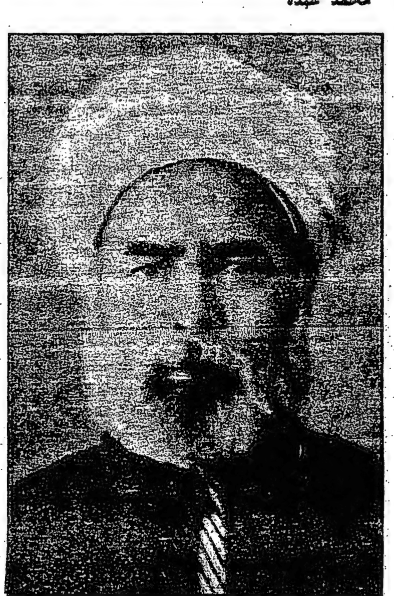
أكرر الشكر للدكتور عبد العظيم انيس اذ اتاح لنا فرصة فحص هذا الموضوع.. والنقاش حوله..بأمل ان تتواصل اجتهاداتنا لتصل بنا نحو فهم واقعي لحقيقة هذه الحركات وكيفية التعامل الفاعل معها..

وان كنت أحذر من خطر ان تناقش هذا الامر عازلين انفسنا عن الحركة العقلانية المصرية وعن مجمل العناصر الليبرالية والعلمانية ، وايضا عن مسألة الوحدة الوطنية التي تمثل عنصرا حاسما وحاكما في هذه القضية. بل لعلها العنصر الاكثر أهمية لمالها من حساسية خاصة تؤثر في مجمل حاضر ومستقبل الوطن...

وفي الختام..لعل مبعث الخلاف مع الدكتور انيس ينبع من اختلاف في الرؤية لقضية هي فلسفية بطبيعتها..فإذا كان النقيض الموضوعي لحركة اليسار عموما هو الحكم القائم، فإن الرؤية المبسطة والتي درجنا عليها- وهذا طبيعي تماما- ان تتجمع كل نقائض الحكم في تحالف اوتشاور او تحاور... **ولكن أليس من الممكن ان يكون أحد نقائض الحكم نقيضا لنا ايضا. بل نقيضا لمصالح الوطن ومستقبله وأليس من الممكن ان نخوض معركتنا ضد النقيض وأحد نقائضه**..أي بشكل أبسط هل يمكن ان نظل على تناقضنا مع الحكم مع استمرار تناقضنا مع تيار الاسلام السياسي.. وان نواجههما معا، خاصة وانهما يتفقان وبلا اختلاف ظاهر أو باطن حول المحتوى الاقتصادي والاجتماعي والطبقي.. وان الاختلاف بين «التيار» والحكم يكمن في الشكل وليس الجوهر... وان دعاة الاسلام السياسي لايطرحون أي نقيض للمحتوى الاقتصادي والاجتماعي القائم، فقط يريدون «أسلمته» أي إلباسه ثوبا إسلاميا.. او إعطائه مظهرا اسلاميا. أو بالدقة استلامهم زمام الحكم ليحكمونا بذات المعايير الاقتصادية والاجتماعية مع إضافة مايتمتعون به هم من تفرد ومن رفض للديمقراطية والتعددية وتداول السلطة.. فأي حليف هذا؟ واي حوار هذا؟

ومع ذلك فلقد نقبل بالحوار فلسنا مغلقي الأذهان والآذان معا، وإنما فقط يجب الا نستدرج الى تسويق ماهو خطر على مستقبل الوطن، وألا نقبل بالحوار الا على أساس ما أسلفت من تعاهدات تكون مرئية ومسموعة ومعلنة.. وتكون الجماهير طرفا فيها..حتى تكون شاهدا، ورادعا لمن يحاول الإنقضاض عليها...هذا ما أعتقد.

محمد عبده



من ذا.. أدعو.. ومن ذا.. يستجيب؟

خليل عبد الكريم

وبعد هذا التطواف فى مقال الدكتور عبد العظيم أنيس (أنظر مداخلات عدد ٢٥ مارس ١٩٩٢) والذى ربما طال بعض الشئ، نشرع فى الدخول فى صميم الموضوع وهو: هل هناك إمكانية للحوار مع الإسلام السياسى؟

قلنا فيما سبق إن هذا التيار ينقسم إلى فصيلين:

الأول يرى الوصول إلى السلطة عبر القنوات القانونية المشروعة، والآخر يؤمن بطريق واحد للوثوب على الحكم وهو العنف. وهذا الفصيل من البديهى أن نقرر أن باب الحوار معه مسدود، لإنه إذ يعلن شجبه ل «علماء السلطة أوفقهاء السلطان» وهم موظفو المؤسسة الدينية الرسمية وكذا الأخوان المسلمين الذين رشحوا أنفسهم لدخول البرلمان تحت قيادة «حزب علمانى»، والجمعيات الاسلامية التى تجزئ الاسلام وتبعضه، ولاتأمر بمعروف ولاتنهى عن منكر، ويرى أن قتالهم فرض شرعى **(حتى لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله)**، فلعل نظرته إلى اليسار عموما «بمافى ذلك اليسار الإسلامى» غدت معروفة وليست فى حاجة إلى إيضاح، **ومن ثم تصبح إمكانية الحوار معه مستحيلة إستحالة كلية.**

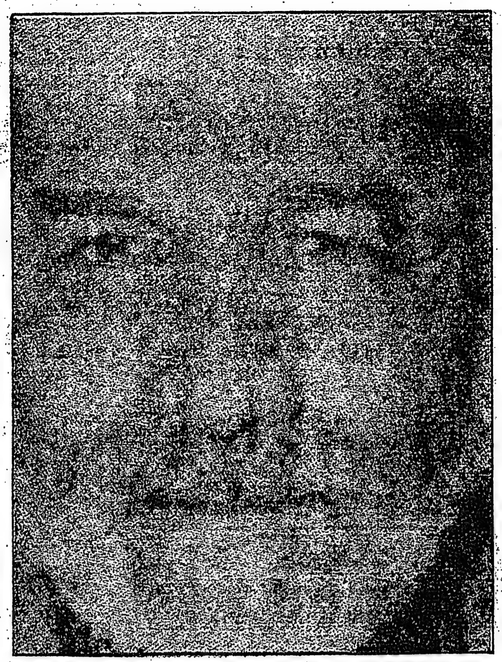
يبقى الفصيل متبنى سلوك سكة القنوات القانونية المشروعة للوصول إلى كراسى الحكم وهو فى ذات الوقت رافع شعار «تطبيق الشريعة الإسلامية».

ليست المشكلة فى اختلاف توجهات هذا الفصيل مع توجهات اليسار، إذ لو اقتصر الأمر على ذلك لكان الحوار ميسورا ولكنها (المشكلة) فى البنية التكوينية لهذا الفصيل:

فهو يقوم أساسا على الطاعة التامة ل (الإمام) أو (الأمير) أو (المرشد العام) أو (الشيخ).. الخ وهو قائد الحركة أو الجماعة أو الجبهة أو المنظمة...ف (إمام الحركة هو القائد العسكرى والسياسى والموجه العام للحركة ومن أعطاه «صفقة يده» وبايعه، عليه أن يطيعه طاعة تامة ويمنع عنه مايمنع من نفسه وماله مالم يعص الإمام الله ورسوله)، أما صيغة المبايعة للإمام ف (لابد أن تكون كبيعة أصحاب رسول الله صلى اله عليه وسلم للرسول مثل مبايعته فى معركة بدر على الجهاد معه)، ولايقف الأمر عند هذا الحد بل إن هذا اللقب (يعكس ولاء مطلقا للشيخ فى الواقع يصل إلى درجة تقليد متعلمى وقيادى الحركة، الشيخ فى كل شئ: طريقة الكلام باليدين واللبس، الملفحة ذات الخطوط السوداء، الضحكة المتميزة، اللغة المنمقة التى لاتشرح كثيرا ولاتفصح، المرونة اللزجة فى التعامل والنقاش. .الخ، باختصار فقد استنسخت الحركة نماذج من الشيخ الأصل، وهنا مكمن الخطورة فى هذه الحركات الشعائرية والطقوسية)، وهذا يؤدى فى نهاية المطاف إلى «توثين» الإمام أو الشيخ أو المرشد العام لدى تلك الجماعات، كمايرى الباحث د. حيدر ابراهيم على، ونضيف أنه يؤدى بالضرورة إلى «نمذجة» العضو أو التابع أو الأخ أى صبه فى قالب محدد، يتلقى مايلقى إليه من أفكار وتعليمات أو توجيهات أو وصايا بالسمع والطاعة دون نقاش، لإن إيمانه المطلق بالشيخ أو المرشد العام أو الإمام أغلق منافذ التعقل عنده ولم تبق الا قنوات الإنقياد والتسليم والرضا (إنى داع فأمنوا)، فهل تجوز مقارنة هذه البنية «الاستجابية» ببنية الفصائل اليسارية التى تقوم على الحوار والنقاش والتفاعل، والتى تتأسس منظماتها على الإنتخاب الحر المباشر من القاعدة إلى القمة والتى يكون من حق أصغر عضو فيها أن يناقش مايطرح عليه بحرية مطلقة.

أما عن المنطلقات الفكرية لجماعات هذا الفصيل فانها جميعها بدون إستثناء تدعى أنها مستقاه من الإسلام الذى (يمثل أثقل وزن عقائدى فى العالم وأقوى محرك لضمير الانسانية، وأقدر احياء له، وأعظم رسالة ربانية لهداية البشر، وأثرى مصدر للخير وأرقى مسامع لتكوين الإنسان وأعدل شريعة لحماية حقوقه)، أى أنها تقدم الحقيقة المطلقة التى لايأتيها الباطل من أى جانب، وهى هنا تخلط بين أفكارها وبين الإسلام عن عمد وسبق إصرار حتى تخرس خصومها، إذ أن من يناقص أو حتى يناقش طروحاتها، يغدو مكابرا للإسلام بل منكرا له، وهنا يصبح دمه وعرضه وماله حلالا، وتطلق عليه زوجته ولايدفن فى مقابر المسلمين. .الخ. حتى التفريعات التى تضفى على نفسها صفة الاستنارة وتنتسب الى العقلانية فى داخل هذا الفصيل فانها لاتفلت من هذا الإسار فهى ترى(أن الكثرة من أبناء الأمة الاسلامية تحس إحساسا قويا بأن الإسلام فى جوهره وقيمه العليا وسماحته الأولى هو أصلح

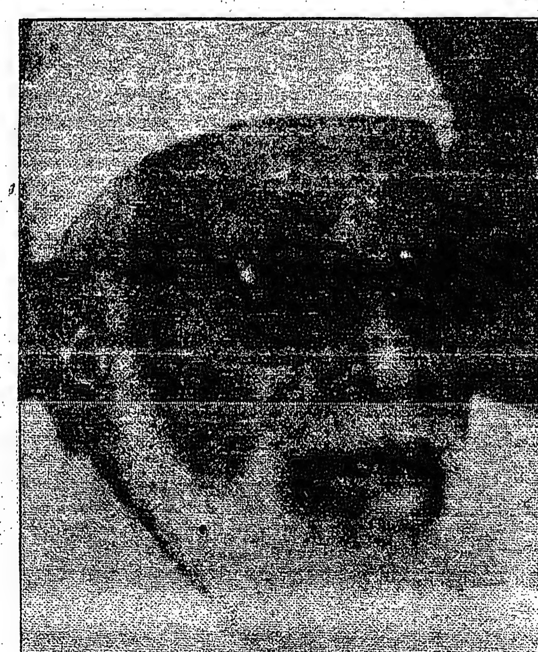
المنطلقات لترشيد حركة النهضة المعاصرة ومنحها القوة والأستمرار اللذين نحتاج اليهما)، بل إنها تؤكد «شمولية الاسلام» لحياة الناس الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وأن تغيير المجتمع يحتاج إلى النظرة الاسلامية الشاملة وأن (شمول الإسلام ليس الا تعبيرا عن وحدة حياة الانسان وترابط أجزائها فضلا عن أنه تعبير عن وحدة الخالق المشرع)، ولسنا فى حاجة الى أن نضيف أن الحركة أو الجماعة أو الجبهة هى وحدها المعبرة ثم المنفذة لإرادة الخالق المشرع، لإن «النصوص المقدسة» لاتتحدث بذاتها بل لابد لها لمن يتحدث باسمها ويفصح عن إرادتها ويعبر عن مشيئتها، وهم هنا رموزها وقادتها، وحتى ينفوا عن أنفسهم «القداسة» وتملكهم «الحقيقة المطلقة» وإستئثارهم بـ «الكلمة النهائية» التى على الجميع أتباعا وخصوما أن يذعنوا اليها وينصاعوا لها تراهم يتحدثون عن «الشورى»، وعلى الرغم من أننا نرى أن الشورى خلاف الديمقراطية وأنهما نهجان مختلفان إختلاف الليل عن النهار فانهم لم يحددوا تحديدا دقيقا مايعنونه بـ «الشورى» ولم يفصحوا لنا عما اذا كانت الزامية للحاكم أم لا!، مع ملاحظة رسوخ رأى الكثيرين من الفقهاء القدامى والمحدثين على «لا إلزاميتها» بل إنهم فى تحديد مكونات هيئات الشورى داخل نسق حركتهم أو جماعتهم يلجأون الى أن يطلقوا عليهم أسماء مطاطة تتسع وتضيق حسبما يراه المرشد العام أو الأمير أو الإمام أو الشيخ. فمن بين تلك



مأمون الهضيبى

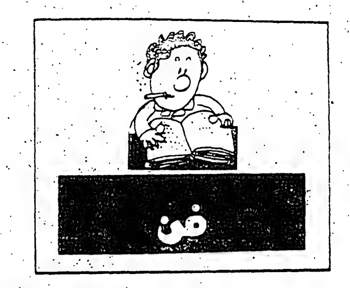
الهيئات القيادية التى يتكون منها مجلس الشورى: (أهل السبق والخبرة، أهل الشباب والتجديد، أهل الدعوة والخطاب، أهل العطاء، أهل التنظيم الداخلى، أهل السمت الدينى التقليدى أهل الثقافة الحديثة ، أهل التمثيل المخصوص).

إن السؤال الذى يتبادر إلى الذهن ماهو المقصود على وجه الدقة بهذه التعبيرات: السبق والخبرة والتجديد والدعوة والخطاب والعطاء والسمت والتمثيل المخصوص؟؟؟



حامد أبو النصر

ومن الذى يقرر أن هذا وذاك من هذا «الأهل» أو من «الأهل الآخر»؟ إنه الأمير أو الشيخ أو الإمام أو المرشد العام ولا أحد سواه، حتى لاينفذ الى هيئات مجلس الشورى من لايرضى عنه ويحوز بركته، وحتى يغدو مجلس الشورى فى نهاية المطاف مرددا لـ«صوت سيده». إذن حتى لوقلنا بصلاحية «الشورى» لأيامنا هذه ولم نذهب مع الذاهبين إلى أنها أدت دورها التاريخى الطيب مشكورة. وأنها الزامية، فإن تعيين أو حتى انتخاب أعضائها مفاتيحه فى يد الشيخ أو الإمام أو الامير أو المرشد العام دون غيره لانه هو الذى يقرر أهل كل فئة أى أن مقاليد الشورى أولا وأخيرا تتمركز فى يديه المباركتين المقدستين. فهل هذا الفصيل الذى تتكون بنيته منذ الوهلة الأولى من أعضاء يدينون بالطاعة العمياء لقائدهم وأن منحهم إياه صفقة أيديهم ومبايعتهم له كمبايعة الصحابة رضوان الله عليهم للرسول عليه الصلاة والسلام والذين يؤمنون بـ (مطلقية) أفكارهم و(شموليتها) لكافة مناحى الحياة لانها هى الإسلام ذاته، حتى الشورى التى تحدثوا عنها إنسياقا وراء إتجاه العصر ولكى ينفو عن أنفسهم صفات الدكتاتورية والفاشية اللصقية بهم، حتى هذه «الشورى» إلتفوا حولها جعلوا هيئات مجلسها العفوية فى يد الامام أو الامير أو المرشد العام. هل هذا الفصيل يقبل حوارا مع (الآخر)؟ وفيم الحوار وهو يملك الحقيقة المطلقة التى لايأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها!!!



"البحث عن سيد مرزوق" لداود عبد السيد "٢"

أوهام ليبرالية .. وسلطة عسكرية وجهان لعملة واحدة

أحمد يوسف

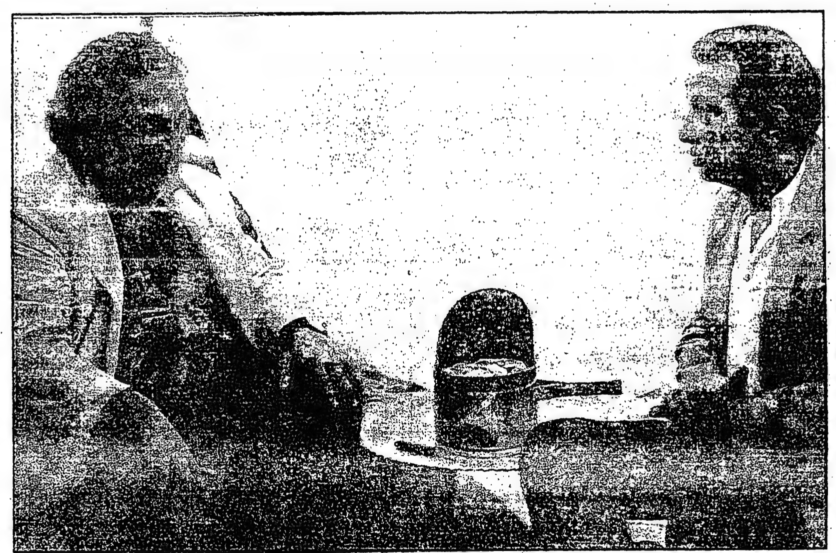
بتلك القدرة الهائلة على الامساك بالتفاصيل الدقيقة، يكتب داود عبد السيد قصة وسيناريو «البحث عن سيد مرزوق»، ليبدو الفيلم على الشاشة عصيا على التلخيص والتجريد إلى خيوط ميلودرامية واضحة. بل إن الفيلم نفسه لايرمى أبدا إلى تقديم مثل هذه الخيوط، التى تظل فى تشابكها وتعقدها ترسم نسيجا ثريا بالألوان والظلال، يدعو المشاهد الى تأملها مرات عديدة، ليكتشف فى كل مرة تفاصيل جديدة، لكن الأهم هو أن الفيلم يدعو إلى إعادة قراءته، ومع كل قراءة يفصح عن أعماقه، كما ينبغى لواحد من أعمال الفن الرفيع.

وإن شئت أن تبحث عن الواقع والواقعية فى «البحث عن سيد مرزوق»، فأن الفيلم يضع قدما راسخة فى أرض الواقعية الناضجة، فهو يفتح لك نافذة على العالم، الذى تراه من خلال عينى البطل يوسف كمال، يطوف بالمدينة التى غاب عنها عشرين عاما كاملة، يكاد أن يتطابق الزمن الدرامى لرحلته مع الزمن الواقعى بين صباح وصباح تال، عبر نهار قصير، وليل طويل.

كما أن شخصيات الفيلم تبدو وكأنها تسبح فى واقع متنام مترامى الأطراف، أو كأنها ليست الاحالة من بين حالات يمكن أن تتكرر بلانهاية، فربما كان هناك المئات أو الآلاف مثل يوسف كمال، يدورون فى دوامة الحياة طلبا للرزق، دون أن يملكوا لحظة واحدة للتأمل والتفكير، ففقدوا القدرة على التعبير. وفى شخصية سليمان الحكيم سوف تلحظ امتدادا لشخصية البطل ذاتها، فى ميله إلى العزلة والانكفاء على الذات، كما سوف يصبح يوسف نفسه فى لحظة ما امتدادا لشخصية شارلى، الشحاذ الصعلوك، وكأن الواقع يخضع الشخصيات إلى تحولات لاتنتهى، بل إن يوسف يصبح فى لحظة أخرى واحدا من عشرات الغرقى الذين يتم انتشالهم فى كل يوم، كما تبدو الفتاة، منى، الممنوعة من السفر لتشابه اسمها مع فتاة أخرى. قد تكون بدورها طرفا فى حكاية مماثلة.

وفى البناء الدرامى لفيلم «البحث عن سيد مرزوق» جذور واقعية أصيلة، حيث يتبنى منطق التتابع فى فقرات متتالية، لاتحكمها القواعد التقليدية للسبب والنتيجة، فالأحداث- كما هى فى الواقع- لاتنمو فى حبكة صارمة تتصاعد بايقاع متسارع إلى الذروة، لتنتهى إلى الحل، لكنها فى تتابعها توحى بالتلقائية، وربما ببعض التشتت أيضا. وبين البداية والنهاية، **تشعر على نحو قوى أن كل شخصيات الفيلم كانت موجودة فى الحياة الواقعية قبل أن توجه الكاميرا عدستها تجاههم، وسوف تظل موجودة بعد أن ينتهى الفيلم، وتضاء أنوار صالة العرض، ليخرج المتفرجون إلى الشارع، وهم يحملون بداخلهم الرغبة فى «البحث عن سيد مرزوق».**

وقد تظل فى نفوس المشاهدين وعقولهم ظلال من الغموض، رغم توحدهم مع بطل الفيلم فى رحلته، لكنه الغموض الذى ينبعث فى جانب منه من المسحة الواقعية التى يلتزم بها بناؤه، حيث يقدم العالم بأقل قدر من التفسير أو التعليق، ويتعمد ألا يعطى أى دلالة مباشرة أو حكم أخلاقى على الموضوع أو الشخصيات، كما فعل مع سيد مرزوق نفسه، الذى لن تدرى فى البداية أبدا إن كان عليك أن تحبه أو تكرهه، وإن مالت نفسك إلى الاعجاب به. وربما كانت تلك المسحة الواقعية الغامضة هى الصعوبة الحقيقية التى واجهت الممثلين فى أدائهم لأدوارهم، فليست هناك أية مواقف درامية تقليدية، تضع



خطوطا وتأكيدا على التحولات الدرامية وتفسرها، أو تجسد التناقضات والصراع على نحو صريح، كما تبدو الدوافع عميقة الغور داخل الشخصيات، لاتفصح عن نفسها الا من خلال التطورات البطيئة المتراكمة، وإن شئت أن تجد دليلا على دقة أداء الممثلين تأمل طويلا ذلك التباين الهائل بين الوجه الطفولى البرئ ليوسف كمال «**نور الشريف**» فى بداية الفيلم، ووجهه فى نهاية الفيلم وهو ينوء . بعد يوم واحد من الأحداث، بأثقال الكهولة. وعندما تعيد مشاهدة الفيلم سوف تلحظ كيف طرأت التحولات الدقيقة على شخصيته.

وإذا كانت بعض التعريفات الدقيقة للواقعية فى السينما- كما قدمها **أندوية بازان وسيجفريد كراكاور**، اللذان قدما اسهامات كبيرة فى عالم نظرية السينما- أن «**الفيلم الواقعى يقدم العالم بمزيج من الغموض وتعدد الدلالة التى نرى بهما الناس فى الحياة للمرة الأولى**»، فإن هذا ماقام به- حرفيا- فيلم «**البحث عن سيد مرزوق**»، عندما جعلنا نتوحد مع بطله الذى بالفعل يرى العالم للمرة الأولى، بعد خروجه من عزلته الطويلة، فى رحلة الاكتشاف والانبهار والتورط والمواجهة .

رؤية أم رؤيا؟!

لكن الغموض وتعدد الدلالة فى رحلة «**البحث عن سيد مرزوق**» لاينبعثان فقط من تلك القراءة للبعد الواقعى للفيلم، بل إن الغموض يكتسب دلالة أعمق مع قراءة البعد السيريالى فيه، الذى يجعل الفيلم كله عالما يمتزج فيه الحلم والواقع، على نحو قريب من فيلم «**سحر البرجوازية الخفى**»، أو «**شبح الحرية**» للوى بونويل. فمنذ اللقطة الأولى من «**البحث عن سيد مرزوق**» ،تغرق الشاشة فى ظلام دامس ،لتبدأ فى الظهور التدريجى البطئ، فتلتمع الشاشة بنقط مضيئة كأنها النجوم فى سماء ليل طويل، حتى تظهر معالم الصورة رويدا رويدا، وكأن الفيلم يدخل بك الى عالم من سحر الأحلام تارة، ورعب الكوابيس تارة أخرى، ليعود تارة ثالثة ليطفو فوق سطح الواقع، أو كأن الفيلم من بدايته إلى نهايته ليس إلا «**الرؤيا**» فى لاوعى بطله، وربما فى لاوعينا أيضا.

وسوف يتلاشى الحاجزين الواقع والحلم، عندما تتكرر عبر «فقرات» الفيلم لحظة سقوط البطل «**يوسف كمال**» فى النوم العميق، حتى أنه يبدو أحيانا كما لو أنه موت حقيقى، ليستيقظ من جديد، فلا تعرف إن كان ذلك يقظة أم غوصا فيما يراه النائم، ومرة بعد مرة، تنتقل الأحداث بمنطق التداعى الحر، **كما فى الأحلام**، حيث البطل- بالمعنى الحرفى والمجازى معا- «يجد نفسه» متورطا فى مغامرة جديدة، تبدو منقطعة الصلة بسابقتها. **وكالأحلام أيضا**، تظهر بعض الاشارات المتكررة فى مناطق متكررة، كأنها الموتيفات العائدة، تتكرر لتبعث فى لاوعى صاحب الرؤيا والمشاهد معا ذكرى وطيفا ومعنى غامضا. سوف يجد **يوسف كمال** نفسه يدخل مرات عديدة فى تجربة مفزعة لهروب، كما يتكرر ظهور الغرقى الطافين فوق سطح النيل بمايثيرونه من فزع، ويعود **سليمان الحكيم** الى الظهور فجأة فى لحظة عصيبة، وكأن صاحب الرؤيا يستدعيه فى حلمه طلبا لطوق النجاة من صديق وشريك فى التجربة، كما يعاود **شارلى** بدوره الظهور عندما يبدو أنه يمثل حلا مختلفا لأزمة البطل، وتبدو الفتاة ، منى ،فى ظهورها واختفائها الغامضين، تجسيدا لطيف جميل، أو كأنها التوق الجارف للاستيقاظ من الكابوس، على واقع أكثر اتساقا وجمالا ونبلا، بينما تبدو الضحكات الصاخبة التى يرددها رجع الصدى، ويطلقها **سيد مرزوق** تارة، **والضابط عمر** تارة واحدة، سخرية كابوسية لنائم يريد أن يستيقظ فلايستطيع.

فى أحد المشاهد الأولى من الفيلم، يتحدث **يوسف كمال** بسعادة الشعور بالحرية: «**كأنى باحلم**»، وكأنها حقا حرية الأحلام، لكن الحلم يسفر فى المشاهد الأخيرة عن كابوس خانق، حين يبدو **يوسف** وكأنه قد وقع فى ورطة الكوابيس عاجزا عن قتل **سيد مرزوق** بمسدس خال من الطلقات، كما تبدو كلمات **سيد مرزوق** نفسه دعوة للاستيقاظ من الحلم: «**مغامرات الليل خلصت..بقينا بالنهار**». وفى اللقطة الأخيرة، **لتقدم قوات الشرطة والكلاب البوليسية، وتصاعد صوت أبواق سيارات النجدة، ودبيب الأقدام، ونباح الكلاب، تكاد تسأل نفسك: هل تلك هى اللقطة الحقيقية الوحيدة فى الحلم؟ وهل ان ليوسف كمال، ولنا، أن نستيقظ من السبات الطويل؟!**

إن ذلك التزاوج الواعى والمقصود بين الواقعية والسيريالية فى «**البحث عن سيد مرزوق**» يجسد الوعى الجمالى والسياسى الفائق لصانعه **داود عبد السيد** ،حيث يصبح الواقع الحقيقى الذى يفتقر إلى المنطق والتماسك أشد مرارة من الحلم، ويصبح الكابوس أكثر قدرة على التعبير عن الواقع المتشابك المعقد المظلم. واذا كان **بريخت** يرى أن «الواقعية لاتتألف ولاتتشكل عن طريق نسخ الواقع، وإنما باظهار الأشياء على حقيقتها وفى جوهرها»، فقد وجدت الواقعية



امتدادا فى السيريالية الناضجة، كما هى عند **لويس بونويل**، وحيث السينما أقدر من أى فن آخر على تجسيد حالة تشبه الحلم، تلتمع فيها الأطياف على الشاشة المظلمة، وحيث «اللاوعى هو الذى يكشف عن الواقع بشكل أكثر صدقا». وهذا ماكان يدعو له الجانب السيريالى فى **«البحث عن سيد مرزوق»**، أن يكشف عن الواقع، بمحاولة بعث القلق فى أفكارنا وأوهامنا عن العالم، تلك الأفكار والأوهام التى تزرعها بداخلنا قيم المؤسسات الاجتماعية والسياسية والثقافية، كما زرعتها فى نفس بطل الفيلم **يوسف كمال**، الذى اختار بارادته أن ينسحب من العالم، لكن العالم قد عقد العزم على أن يحاصر **يوسف كمال**، وأن يجعله يسقط إلى هاوية الواقع السحيقة.

رموز من لحم ودم

وعلى تلك الهاوية السحيقة يستيقظ **يوسف كمال**، ليخوض تجربة **«البحث عن سيد مرزوق»**، التى تحمل فى ثناياها فى قراءة ثالثة للفيلم بعدا رمزيا، يكاد أن يقدم شريحة كاملة للمجتمع فى اللحظة الراهنة، ويضعها تحت المجهر، بوضوح رؤية لم يتمتع بها فيلم مصرى من قبل، وإذا كان «الصعاليك» (١٩٨٥) الفيلم الروائى الأول لداود عبد السيد، يقدم رحلة صعود الصعاليك من الحضيض إلى قمة الهرم الاجتماعى خلال عشرين عاما كاملة، فإنها كانت الفترة ذاتها التى قضاها **يوسف كمال** منسحبا من الحياة، ممثلا لشريحة المثقفين من أبناء الطبقة الوسطى، التى باتت عاجزة عن الفعل فى واقع متشابك، يهددها بالسقوط. وفى المونولوج الطويل ليوسف، الذى يحكى فيه عن التزامه لداره خلال السنوات العشرين، **تجسيد لغياب دور الطبقة الوسطى**. كما أنه الغياب الذى يعبر **سيد مرزوق** عن ارتياحه له: «أنا بارتاح لك.. لأنك موجود وفى نفس الوقت مش موجود»، وهاهو **يوسف** يحاول اليوم أن يأخذ مكانه فى الحياة، وكأن اليوم- كمايشير الفيلم- هو عيد ميلاده الحقيقى.

فى شخصيات أخرى سوف تجد تنويعات على **يوسف كمال** والطبقة الوسطى، حيث يبدو **سليمان الحكيم** امتدادا له، ولها، لكنه يمثل الجانب الذى ماتزال لديه الرغبة فى المقاومة، باصراره على توفير شروط الحياة فى ظل ظروف طاحنة. ويجسد الفيلم تلك الرغبة فى اختياره لاسم الوليدة المبتسرة، **أمل**، التى ينجح أبوها متوسط الحال فى أن يصنع لها حضانة، ويبدو فى لحظة ما كما لو كان ذلك التقوقع على الأحلام ورعايتها هو الحل البديل عن هروب **يوسف كمال فى الواقع**، لكن **سليمان وأمل** لن يكونا بمنأى عن الانتهاك على يد رجال الشرطة والكلاب البوليسية.

كما أن **شارلى المتشرد** يمثل بدوره رمزا لتلك الطبقات التى باتت راضية بالعيش على فتات السادة، يطوف بشوارع الأغنياء لعله يفوز ببعض الصدقة، التى لاتدل- كما يقول شارلى نفسه- عن كرم الأثرياء، بل إنها **تشير إلى رضاهم المريض عن وجود الفقراء!** وربما كانت تلك الجملة العابرة التى يتحدث فيها الرجل الفقير عن أن **شارلى شابلن** ذاته ليس إلا تقليدا **لعبد الله شارلى المصرى**، أول الصعاليك، إشارة الى ملايين البشر الفقراء الذين يعيشون على هامش المجتمع، كما أن **الجثث الطافية** التى لم تعد تثير أحدا حتى أنها باتت أمرا عاديا وتمرينا يوميا تقوم به السلطة ذاتها (!!)، **تشير إلى الغرقى فى ظل ظروف اقتصادية وسياسية واجتماعية قاسية.** وفى مرحلة من **«البحث عن سيد مرزوق»** قد يضطر البطل، إبن الطبقة المتوسطة، الى أن يصبح بدوره زميلا ورفيقا لشارلى المتشرد، أو أنه يعيش مهددا بالاحتراق فى وسط النفايات والقمامة، أو قد يكون أيضا واحدا من آلاف الغرقى.

فى **فيفى سوهاج** سوف تجد وجها آخر لتسول الفقراء من فتات الأغنياء، حين تصبح بارادتها مادة وموضوعا للهو سيد مرزوق، تغنى له أغنياتها البهيجة، حين يسفر لها عن وجه الحياة اللذيذة، لكنها لاتمنع نفسها من الترنم باغنيات الحزن والأسى عندما ترى فيه قسوته البادرة، أو عندما تبدو كأنها تشارك بعواطفها البطل **يوسف كمال** محنته القاسية.

وحدها سوف تبدى «منى» الصمود أمام سيد مرزوق»، الثرى العائد من مقابر التاريخ، تماما كما صمدت منى فى فيلم **«الصعاليك»**، عن أن تستسلم لاغراءات الأثرياء، الجدد، بغلظة أرواحهم، التى تؤمن بالقدرة على شراء كل الأشياء والبشر والقيم **بل إن منى هنا أيضا، كما فى «الصعاليك»، ماتزال تحلم- دون أن** تستطيع تحقيق ذلك ابدا- بالسفر بعيدا عن العالم الذى بات يهددها بالطوفان، كما يشير له مشهد المياه التى تغرق بيتها الملاصق لقصر سيد مرزوق وحمام سباحته.

فى إحدى المونولوجات التى يحتشد بها الفيلم، ربما الى درجة تفوق استيعاب المتفرج، يتحدث **سيد مرزوق عن منى**، التى يبدو كأنه يعرفها حقا، ويرى فيها نقيضة، وإن كان يتعمد اخفاء حقيقتها خلف سلسلة من الحكايات المختلفة المتناقضة، وكأنه يريد فى أعماقه احتواءها، أو أنه يسعى إلى أن تصبح أمام **«يوسف كمال»** لغزا غامضا. إنه يقول عنها، فى عبارات رمزية موحية أنها على العكس منه تعشق الواقع المادى الحى، حتى أنها تهوى الصور المرسومة من نشع الماء على الجدران بينما هو يدعو إلى العين الغائبة والخيال المطلق، أو فلتقل أنها تمثل الواقع بينما لاتفضى كلماته المعسولة إلا الى الوهم والسراب.

من هو سيد مرزوق؟

إن رحلة **«البحث عن سيد مرزوق»** سوف تفضى فى القراءة الرمزية لها إلى إلقاء الضوء على تلك **الملامح الزئبقية المراوغة لسيد مرزوق**، بذلك الانبهار الذى يبعثه فى البداية فى نفس **يوسف كمال**، بل فى نفوسنا أيضا، فى حديثة عن الحرية، وعشق الحياة، لكنك سوف تكتشف أنه لايريد إلا حريته وحياته وحدهما، حتى لو كانت على جثث الآخرين فسيد مرزوق قادم من الأعماق السحيقة للطبقة الأرستقراطية التى كان الجميع يتصور أنها انتهت مع التأميمات، وهاهو يصعد إلى سطح الحياة من جديد، يسعى فى اعماقه للانتقام لماحدث له فى طفولته: **«بقيت مهراجا من غير فيل.. أنا عايز الفيل عشان الناس تحترمنى»**، لكن حين يدعو يوسف الى مشاركته بهجته وحياته اللذيذة، وفى مونولوجه الطويل الذى يلمح فيه بدعوة بطلنا الى الحرية والخروج من انسحابه الطويل، وفى اهدائه سيارته إلى يوسف، يظهر منه ذلك الجانب المضئ الذى يخدعنا، وكأنه الباب السحرى الذى يفضى الى الرخاء، مما يدفع **يوسف كمال** الى أن يحدث نفسه فى طفولة بريئة:

«أنا باحب سيد مرزوق.. أنا عايز سيد مرزوق».

لكن العالم المسحور ببهجته ورخائه وحريته الذى يفتحه سيد مرزوق ليس إلا خدعة كاملة، تجسده- كما أشار مشهد سابق- تلك الخيمة التى أقامها فى مقابر العائلة الملكية السابقة، يستنشق تحتها دخان

الحشيش وهو يجتر ذكرياته، بينما يظهر الرعاع البائسون فى مشهد كابوسى، يبحثون لأنفسهم عن نفثة من نفثات المخدر، وكأنهم يقتاتون على فتات ذلك العالم الزائف الذى يصنعه لهم سيد مرزوق. وبالفعل، يكون سيد مرزوق، كما تحدث عنه الضابط عمر: «عالم «اللى يدخله مش من السهل يخرج منه». وكما تتحدث عنه فيفى: «ده بحر، اللى ينزله مايسلاهوش، واللى يخرج منه غرقان». فسوف تكشف الأحداث عن ظهور الغرقى فى النهر الذى يسبح فيه سيد مرزوق لاهيا فى زورقه، وعن مصرع مزيد من الفقراء تحت عجلات سيارته المسرعة، كما سوف تسفر تلك الجرائم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية الى الصاق التهمة بأمثال يوسف كمال من أبناء الطبقة الوسطى، وإلى استعداد سيد مرزوق للهرب فى المشاهد الأخيرة، بعد أن يعترف ليوسف أن الأمر كله ليس إلا لعبة: «كله كذب فى كذب.. حتى لو كان حقيقى.. كدبت عليك عشان كنت وحيد.. يمكن السبب الحياة اللذيذة اللى معناها تعمل كل اللى أنت عايزه، بدون قيود، حتى بالكدب، زى ماأنا استمتعت لماشفت الناس بتنهب بيتى».

الوجه الآخر: الضابط!

فى القراءة الرمزية لفيلم «البحث عن سيد مرزوق»، تبدو المهمة الأولى وربما الوحيدة للمقدم عمر أبو شادى هى حماية سيد مرزوق، مرة ضد خصم مجهول هارب، لايظهر على الشاشة أبدا وإن كان حضوره مجسدا فى خوف الضابط على حياة سيد مرزوق، ومرة بمطاردة البطل يوسف كمال ذاته، ليسفر الأمر فى النهاية فى عين يوسف كمال عن حيرة كاملة، بين أوهام الحرية السياسية والرخاء المزعوم الذى يدعو له سيد مرزوق، وقمع السلطة العسكرية الخانقة التى يمثلها المقدم عمر أبو شادى، وكأنهما وجها عملة واحدة للواقع الراهن: «صحيت غلط، رحت الشغل لقيت النهاردة أجازة، قابلت سيد مرزوق، وشفت منى.. كلام سيد عن الهرب من البوليس استفز كرامتى.. خرجت من السجن اللى عشت فيه عشرين سنة، كانت ليلة غريبة، خرجت من سجنى، حبيت واحدة، وبقى عندى عربية، ومطلوب القبض عليا.. ومحتار ازاى أرجع لحياتى الأولانية بعد كل كده».

إن يوسف كمال لم يستيقظ خطأ، بل كان لابد له أن يستيقظ، ولن يستطيع أن



يعود إلى سيرته الأولى.. والمواجهة مع سيد مرزوق قد انتهت إلى مسدس فارغ بلاطلقات، وحجافل الشرطة تحطم الحضانات المعقمة، ونباح الكلاب البوليسية يدوى من بعيد. ومع ذلك كله، فإن الفيلم لايفضى إلى التشاؤم. لقد تعلم يوسف أن الدم الذى لوث كتفه من جرح أحد الصعاليك سوف يصبح، فى نفس المكان، جرحا حقيقيا داميا فى معركة لم يكن طرفا فيها، كما تعلم أن يحرر معصمه من القيد الحديدى، إذا أراد، وتعلم ألا ينخدع بالوعود البراقة لسيد مرزوق، وتهديدات عمر أبو شادى المبطنة بالحنان الزائف، وتعلم أن نومه الطويل لن يسفر إلا عن واقع يكتظ بالقتلى والغرقى والتهديد بالنهاية على كوم القمامة والنفايات. فهل تنتهى رحلة يوسف كمال إلى أن يصبح بدوره مطاردا، عندما يقرر أن يطارد سيد مرزوق، كما يفعل أحمد الشرقاوى؟.

فى أحد اللقطات الموحية، فى مشهد يعج كالفيلم كله بالتفاصيل الدقيقة، أكثر مما تحتمله طاقة المشاهد العادى الذى يرى الفيلم للمرة الأولى، يجد يوسف كمال نفسه فى صالة مبنى مدير الأمن، ينتظر التحقيق معه فى جريمة لم يرتكبها، وأمامه يجلس شاب، لعله يجسد حالة مماثلة، يتلوى من الألم وكأنما يعيش على حافة الانفجار، وقد أمسك نفسه عن التبول، لكنه فى النهاية لايجد مفرا من أن يتبول مكانه، لتنفرج أساريره من الارتياح، ويضع ساقا على ساق، لقد استطاع- بطريقته البسيطة أمام عنت السلطة- أن يجد لنفسه حلا، أو بالأحرى أجبره الموقف على أن يجد حلا.

فى مشهد آخر، حيث يهرب يوسف كمال من الشرطة، باحثا عن مأوى فى أحدى المقاهى الشعبية، يجلس وسط البسطاء والمقهورين، ليغنى أحدهم وسط هذا البؤس سطورا من قصيدة «مصر تتحدث عن نفسها»: «وقف الخلق ينظرون جميعا كيف أبنى قواعد المجد وحدى»، وكأنه ينشد للرحلة الشاقة للبسطاء الذين صنعوا التاريخ، لكنه يتحول إلى بيت آخر من القصيدة: «أمن العدل أنهم يردون الماء صبا وأن تقيد أسدى؟» عندما يضع ضباط المباحث يده الثقيلة الغليظة على كتف الرجل العجوز.

وربما فى «الكيت كات» الفيلم التالى لداود عبد السيد، تستطيع أن تجد الاجابة على السؤال الحزين المرير الذى تضمنه بيت الشعر، حيث تستطيع الأسود الحبيسة أن تنطلق، فى تحد ينبض بالحياة لكل سلطات القمع والعجز، سواء بالتكيف التلقائى أو المواجهة الواعية، بذلك الدافع العميق لدى الشعب المصرى العربى أن يظل- رغم أصعب الظروف- قادرا على الاستمرار فى الحياة. ولم تكن محض مصادفة أن ينتهى فيلم «البحث عن سيد مرزوق» بأقدام رجال الشرطة، فى زحفهم نحو يوسف كمال، ليبدأ «الكيت كات» بزحفة الأقدام ذاتها، لكنها لم تكن قادرة هذه المرة على أن تفرض القمع، إذا ماالشعب يوما أراد الحياة، أو حتى مجرد الاستمرار فى الحياة.

خروج الباليه الروسى إلى مصر

باليه البولشوى - جريجاروفيش

د. يحيى عبد التواب

زارت فرقة باليه البولشوى- جريجاروفيتش القاهرة في شهر فبراير الماضى وقدمت ثلاثة أعمال على مسرح قاعة المؤتمرات بمدينة نصر: «بحيرة البجع»، «كسارة البندق» للموسيقار الروسى بيوتر تشايكوفسكى و«العصر الذهبى» للموسيقار الروسى أيضا دميترى شوستاكوفيتش

والاعمال الثلاثة من تأليف يورى جريجار وفيتش مدير الفرقة وصمم الديكور والملابس الفنان التشكيلى الجورجى سيمون فير سالادزى.

ولقد قدمت الفرقة عرضا واحدا غير مباع وثلاثة عشر عرضا مباعا. وبلغ عدد المشاهدين نحوالى ثلاثين الفا. وهو أكبر عدد يقبل على مشاهدة فرقة بالية واحدة فى زيارة واحدة فى تاريخ مصر. وهى ظاهرة تستحق التوقف عندها ومحاولة تفسيرها.

ومن أجل محاولة تفسير هذه الظاهرة لابد من تناولها ضمن ظاهرة أشمل، وهى ظاهرة زيارة فرق البالية الروسية الخاصة فى السنوات الثلاث الماضية. ونقصد هنا بالفرق الخاصة، تلك الفرق التى لاتدعمها الدولة، كما كان الحال مستقرا عليه فى روسيا السوفيتية.

لقد تكون فى روسيا مع الإنتقال الى آليات السوق مايقرب من عشرين فرقة خاصة، بعضها فرق رقص شعبى مسرحى، وأغلبها فرق بالية، تعتمد كلها- فى التمويل- على أفراد ومؤسسات وطنية وأجنبية.

وقد لجأت هذه الفرق الى مجموعة من التدابير لتضمن لنفسها البقاء. فاعتمدت على التعاقد الشخصى مع أعضاء الفرقة لمدد محددة، لأول مرة منذ عهد طويل، حتى لاتلزم نفسها بمرتبات لفترة طويلة قد لايكون فى وسعها الابقاء عليها. وفضلت أن تعتمد أساسا على من يقبل أقل الأجور. وبذلك كان أغلب الاعضاء من الصغار فى السن، حديثى التخرج من مدارس الباليه. كما ضمت هذه الفرق بعض الذين اعتزلوا الرقص، اذ يمكن استخدامهم فى الأدوار التمثيلية، او التى ليست بحاجة الى لياقة عالية.

فأن كان الحال هكذا، فما الذى يمكن أن تسرقه هذه الفرق، من أجل أن ينجح مشروعها ؟!!

لقد اعتمدت هذه الفرق- أساسا- على اسم الباليه الروسى وسمعته فى العالم. ثم اعتمدت على أقل عدد ممكن من ذوى الخبرة من أجل بدء المشروع على أن يطور المشروع نفسه فيما بعد. وأهم الشخصيات التى يجب أن تتمتع بالخبرة الاكبر، هى مدير الفرقة وبعض الراقصين المنفردين ومجموع العاملين الفنيين.

وقد زارت مصر فى السنوات الثلاث الماضية أربع فرق من هذا النوع، احداها فرقة رقص شعبى مسرحى، وهى كچيل»، والثلاث الباقية فرق للبالية هى «المنمنمات الكوريوجرافية اللينينجرادية» وعرفت باسم «باليه لينينجراد و«موسكوسيتى باليه» وعرفت باسم «باليه موسكو» و«بولشوى- جريجاروفيتش باليه» وعرفت باسم «باليه البولشوى» وحديثنا هنا عن فرق البالية، فلن نتناول فرقة «كچيل».

لقد كان على كل فرقة أن تقدم نفسها بشكل يتميز عن الفرق الأخرى حتى تبرر مصداقية وجودها. فالفرقة الأولى وهى «المنمنمات الكوريوجرافيه اللينينجرادية» رفعت شعار أنها متخصصه فى تقديم أعمال مؤلف الباليه اللينجرادى ليونيد ياكوبسون وهى اعمال

صغيرة لايزيد زمن الواحد منها عن عشرين دقيقة. ولكن باكويسون غير موجود بين الاحياء منذ عام ١٩٧٥. وبالتالى فمحدودية العروض لاتسمح للفرقة بالعرض فى المكان الواحد اكثر من مرة واحدة وبالتالى فبعد الزيارة الأولى لم تعاود الكرة.

اما الفرقة الثانية وهى «موسكو باليه سيتى» فقد رفعت شعار أنها تقدم الاعمال الكلاسكية فى صياغة معاصرة. وقد التزمت بهذا الشعار لمدة زيارتين متتاليتين ١٩٩٠، ١٩٩١، أما فى هذا العام فقد قدمت عملا جديد تماما هو باليه «الحرب والسلام» وان كانت في هذه المرة قد أضافت الى شعارها أنها تقدم أيضا اعمالا معاصرة بأسلوب كلاسيكى. ونحن نعتقد أن الزيارة الأولى هى التى اعطت لها فرصة التعاقد على السنوات التالية بعد أن تصدر الاعلان عنها اسم البولشوى ذلك الأسم الرنان، الذى يجذب جماهير الباليه فى أى بلد كان. وكانت ذريعة ذلك انها استضافت معها راقصة البولشوى المعروفة ناديجدا بافلوفا. وفى الزيارة الثانية تخلت عن استضافة راقصى البولشوى. وفى الثالثة تخلت عن التزامها بتقديم الاعمال الكلاسيكية فقط. وباتت مصداقيتها فى التميز محل سؤال.

أما الفرقة الثالثة وهى «بولشوى- جريجاروفيتش باليه» فقد رفعت شعار تقديم أعمال يورى جريجاروفيتش مدير فرقة البولشوى فى موسكو. وقد قدمت فى زياراتها الأولى هذه ثلاثة أعمال له. ومازال العديد من اعمال يورى جريجاروفيتش التى تقدمها فرقة البولشوى بموسكو حتى الأن قابلة للتقديم لفترة طويلة. ومازال يورى جريجاروفيش حيا يرزق. وهو قادر على ابداع اعمال جديدة أيضا. وبالتالى فمصداقية شعار هذه الفرقة هو المرشح لأن يعيش اطول من غيره. وبهذا التميز وحده يمكنها أن تزور معظم انحاء العالم. وهى بالفعل تفعل.

فمن هو يورى جريجاروفيش؟ وماهى اعماله؟

هو واحد من أهم اعلام الباليه فى العالم فى معظم النصف الثانى من القرن العشرين. ولد فى لينجراد عام ١٩٢٧ وانهى فيها مدرسة الباليه ورقص على مسرح كروف لمدة ١٨ عاما تقريبا واشهر الأدوار التى قام بأدائها هو دور (نورعلى) قائد التتار فى باليه «نافورة باخشى سراى». بدأ أول اعماله الاخراجية لمسرح «كيروف» باليه زهرة الصخر» عام ١٩٥٧. ثم توالت اعماله وأخذ نجمه يتألق بسرعة فائقة. فأخرج باليه «اسطورة حب» على نفس المسرح عام ١٩٦١ والذى كان نقطة تحول فى تاريخ البالية الروسى. وتم تعينه بعد ذلك مباشرة مديرا لباليه مسرح كيروف من عام ١٩٦٢ وحتى ١٩٦٤، حيث استدعى لتولى ادارة باليه مسرح البولشوى بموسكو عام ١٩٦٤. ومازال يحتل هذا المنصب حتى الآن. وفى مسرح البولشوى ابدع الأعمال التالية: «الجمال النائم» ١٩٦٣ «كسارة البندق» ١٩٦٦ «سبارتاكوس» ١٩٦٨، «بحيرة البجع» ١٩٦٩، «ايفان الرهيب» ١٩٧٥، «انجارا» ١٩٧٧ «روميو وجولييت» ١٩٧٩ «رايموندا» ١٩٨٤، «جزيل» ١٩٨٦» وقد حصل عن هذه الاعمال أرفع الجوائز والالقاب فى وطنه. كما أنه يعمل استاذا ورئيس قسم اخراج الباليه فى كونسير فاتوار لينجراد.

وفى مصر عرض له كل من باليه «زهرة الصخر» مع فرقة «نوفو سيبيرسك» التى زارت مصر عام ١٩٦٢ وكذلك باليه «كسارة البندق» مع فرقة الباليه البلغارية عام ١٩٨٩.

وكان يورى جريجاروفيش قد حضر مع وزيرة الثقافة السوفيتية فورتسيفا الى القاهرة عام ١٩٧٤ مع بعض ابطال فرقة باليه



البولشوى للاشتراك فى الاحتفال الذى اقيم احتفالاً بمرور ١٥ عاما على انشاء مدرسة باليه القاهرة.

هذا هو يورى جريجاروفيش وتلك هى اعماله. ولقد كتب الناقد الروسى الكسندر «ديميدوف عن باليه والعصر الذهبى» تحت عنوان «ظاهرية مسرح جريجاروفيتش» «فى هذا الباليه بالتحديد، ارتسمت معالم طريق التوجه فى المستقبل لهذا الفنان البارز فى الفن المعاصر، الذى خلق عالمه الفنى الخاص ومسرحه الخاص. مسرح يورى جريجاروفيتش».

واذا عرفنا أن فرقة «بولشوى- باليه» قد تأسست عام ١٩٩٠، أى بعد تصريح ديميدوف بست سنوات، امكننا استيعاب فكرة ان هذه الفرقة بالذات جاءت تحقيقا لامكانية حقيقية كانت كامنة، وابرزها الواقع التاريخى الجديد، وذلك على خلاف أى فرقة أخرى. كما أن جميع الفرق التى تكونت فى روسيا خلال هذه السنوات الثلاث ليس لها مسرح يمكنها ان تعرض عليه اعمالها، وهذا مايفسر عرض باليه «الحرب والسلام» أول مرة فى مصر، وليس فى موسكو حيث مقر تدريب الفرقة. أما فرقة يورى جريجاروفيش فقد اتيح لها أن تتدرب فى مسرح البولشوى مقابل ان تقوم بعرض اعمالها على خشبة نفس المسرح. وبالتالى فلهذه الفرقة امكانية واقعية فى الاستمرار والتطور.

هذا هو الجانب الروسى من الظاهرة، فما هو الجانب المصرى منها؟

لقد كانت عروض الباليه مستمرة أيام وجود دار الأوبرا القديم قبل حرقها عام ١٩٧١. وبالتالى تحلق جمهور الباليه حولها وخاصة حول عروض الباليه الروسية. وفى الفترة بين حريق الدار الأولى وبناء الثانية كانت هناك، من ناحية، تشوق لعودة هذه العروض، ومن ناحية أخرى ونظرا لظروف تاريخية اقتصادية اجتماعية، كان من نتائجها أن تغير مفهوم التعامل مع الثقافة من كونها خدمة الى اعتبارها سلعة. وفى نفس الوقت تولدت قوى اجتماعية جديدة قادرة على شراء أى سلعة بصرف النظر عن كونها ثقافة او غيرها. ناهيك عن شراء تلك السلعة التى تحيطها الأضواء والتى تضفى جوا خاصا غير متوفر فى سلوكيات الحياة الأخرى. ومع أرتفاع اسعار البطاقات فى دار الأوبرا لم يتأثر بالسلب الاقبال عليها، وانما انحسرت اعداد الجماهير المتشوقة للفن وازداد عدد الذين لايتأثرون بهذا الارتفاع فى الأسعار.

وبحسبة بسيطة بما أن عدد المقاعد فى دار الأوبرا حوالى ١٠٠٠ مقعد وعددها فى قاعة المؤتمرات حوالى ٢٥٠٠ ،فبالتالى- ومع هذا الطلب الكبير- يمكن أن يصرف على العرض الواحد نفس التكلفة مع ضمان دخل يزيد مرتين ونصف عما هو متاح فى دار الأوبرا. ومرة أخرى ومثلما فعلت دار الأوبرا، قبل ذلك تم التركيز على اسم البولشوى الساحر. أما استمرار الاقبال طوال مدة العروض فهو راجع للأسباب التى ذكرتها سابقا وليس لأسم البولشوى . والدليل على ذلك أنه وبعد تراجع الاعلام عن الخلط فى الاسم، لم يقل الاقبال على العروض، بل أن العروض قد امتدت عرضا آخر اضافيا. وان زادت العروض لمدة اسبوع آخر لم يمكن ليقل الاقبال.

اما بالنسبة للعروض التى قدمتها الفرقة، فسوف نتناول هنا- باختصار- ملامحها الأساسية.

فيما يتعلق بباليه «بحيرة البجع» ،فقد تعامل يورى جريجاروفيش معه بشكل ابداعى، محافظا على القيم الأساسية وتناوله بمعالجات فكرية معاصرة. فلقد قدم العمل، ليس كقصة ساذجة ينعم بها الاطفال، وانما كقصيدة فلسفية كوريوجرافية ذات مضمون جاد/ فحافظ على الابداع



الكوريوجرافى للمؤلفين الاصليين ماريوس بيتيبا وليف ايفانوف. بما فى ذلك الفصل الثانى كله (العرض القديم مكون من أربعة فصول، أما الجديد فمن فصلين). بينما نجد مجموعة من المشاهد فى الفصول الأول والثالث، والرابع، بحيث تتوافق هذه التجديدات مع ما أبقاه، حتى أن المرء لايدرك أن هناك اكثر من مؤلف للعرض.

فقد جعل المؤديات للرقصات الشعبية المسرحية ينهضن على أطراف الأصابع على أسس الرقص الكلاسيكى وبعد أن كانت كل راقصة تؤدى من مجموعة فتيات ومجموعة فتيان، جعل كل قادمة ليختارها الأمير خطيبة له تتقدم تابعيها من الفتيان لتقدم رقصة بلدها. وهذا تعديل اكثر منطقية مما كان علية الاخراج السابق. أما الساحر، الذى كان قديما طائرا جارحا، فقد تحول فى عرض يورى جريجاروفيش الى روح شريرة تخوض حربا نفسيه مع الأمير فاصبح الصراع متقنا ويحرك المشاعر والاحاسيس.

بالنسبة لباليه «كسارة البندق» فقد ألف يورى جريجاروفيش كوريوجرافيا جديدة كلية على أساس موسيقى تشايكوفسكى الكاملة لأول مرة دون أى تغير. وهنا يكمن الالتزام بدرامية الموسيقى.

وأصبحت الشخصيات الرئيسية شخصيات رومانسية فى أدوار كلها راقصة وليست ايمائية. كما أن الأطفال فى الفصل الأول (العرض القديم كان ثلاثة فصول والجديد فصلين) كان يؤدى أدوارهم تلاميذ المدرسة. بينما اللغة الراقصة التى ابتدعها جريجاروفيتش تطلبت أن يؤديها راقصون محترفون قادرون على اتقانها. كما انه جعل صانع اللعب الذى كان شخصية تمثيلية شخصية واقعية رئيسية متعددة الأبعاد، فهو يظهر فى الحلم على أنه شرير يحرض الفئران على «ماشا» وكسارة البندق.

وحتى كسارة البندق فى العرض القديم لايتحرك فى الفصل الأول رغم تحرك جميع اللعب الأخرى جعله دورا راقصا يحتل المكانة الرئيسية بين اللعب.

وكذلك الفئران لم يصبحوا مجرد مشهد قصير فى حلم ماشا وانما جعلهم يصارعون كسارة البندق ويظهرون له مرة أخرى بعد فرارهم مما حول الفصل الأخير من مجرد احتفال راقص الى استمرار للصراع بين الخير والشر

ومن اهم المشاهد فى هذا العرض مشهد «فالس الزهور» الذى كان نموذجا للرقص السمفونى الذى تجلت فيه الموسيقى بابعادها وتفاصيلها الدقيقة.

لقد حقق هذا العرض النزعة نحو وحدة التطور فى الكوريوجرافيا سيمفونيا وحدثيا.

وقد اشتركت هبة عبد الفتاح فى هذا العرض، وهى حديثة التخرج من مدرسة باليه موسكو، وذلك فى الرقصة الهندية. وهى رقصة تعتمد على المرونة والتعبير الحركى اكثر من اعتمادها على تكنيك الرقص الكلاسيكى. وقد كان اختيارها موفقا من ناحيتين: أولا أن شرقيتها المصرية كانت ملائمة للرقصة الهندية، وثانيا: أن تبنى فرقة روسية لخريجة حديثة من مدرسة روسية واشراكها فى عرض تقدمه فى مصر هو بمثابة تشجيع لها وتحية لوطنها.

أما باليه «العصر الذهبى» فهو يتناول فترة العشرينات من هذا القرن فى أحد المدن الساحلية فى الاتحاد السوفيتى. وهى الفترة التى سمح فيها بنظام اقتصادى يتيح للأفراد إدارة بعض المشاريع الخاصة. وقد أدى ذلك- فى هذه الآونة- الى تفاوت شديد بين الدخول. وذلك أدى بدوره الى تقسيم المجتمع تقسيما حادا تولدت نتيجة له صراعات طاحنة أصبحت جزءا من حياة المجتمع.

واعتمد المؤلف على ابراز التناقضات القائمة فى هذا المجتمع مستخدما قدرته الفذة على بناء الأحداث وخلق الشخصيات فى لغات حركية راقصة متباينة ومتنوعة على أساس الرقص الكلاسيكى. «فالعصر الذهبى» مطعم يعيش رواده فى جو من الترف واللهو وممارسة الرقصات الغربية المعاصرة آنذاك كالتانجو. بينما عمال الميناء يمارسون حياتهم المثقلة بالعمل ومع ذلك يجدون الوقت للهوالبرئ والحب الصادق. وينشأ الصراع بين العالمين، حيث يقابل الاستغلال بالمقاومة، والدسائس الماكرة بالمواجهة الشجاعة.

ويفصح المؤلف عن مواهبه فى اقامة ابنية متعددة الابعاد للأحداث. ويظهر بلغة الرقص حماس وديناميكية قصيدة شاعرية فى شريط رومانسى اجتماعى. وتظهر علاقة الحب كدراما صغيرة بعوالمها الخاصة فى خضم تاريخ حياة المجتمع.

ويعتبر هذا العمل محصلة لمرحلة مكتملة من تاريخ ابداع يورى جريجاروفيش وبداية مرحلة جديدة.

ومن وجهة نظرنا، فالعروض التى قدمت عروض جيدة من ناحية الجانب الأهم فيها وهو التأليف الكوريوجرافى. أما من ناحية الاداء- وهو جانب آخر- فهذه الفرقة هى الأفضل اذا ماقورنت بمثيلاتها من الفرق الخاصة التى ذكرناها آنفا. وذلك من حيث قدرة الراقصين سواء الصوليست (الانفرادى) أو الكوردو باليه (الجماعى).

أما من ناحية الشكل النهائى للعرض والذى يتممه الديكور والإضاءة، فنظرا لتعرفى على هذه الأعمال من قبل فمصمم الديكور والاضاءة فيرسالادزى من الافذاذ فى عمله- ولكن، لابد هنا من التنويه بأن آليات خشبة مسرح قاعة المؤتمرات، وكذلك الكترونيات الاضاءة اضعف بكثير من امكانيات دار الأوبرا. الشئ الذى جعل البعض يعتقد أن «كسارة البندق» التى قدمتها الفرقة البلغارية على مسرح دار الاوبرا عام ١٩٨٩ هو عرض مغاير للعرض الذى قدم على مسرح قاعة المؤتمرات. والواقع أن العرض واحد، وانما الاخراج المعاصر للباليه يستخدم امكانيات المسرح العالى التجهيز. ونظرا لأن تصميم الباليه قد تم استنادا الى معطيات محددة، فلايمكن تنفيذه بمعطيات أقل. ولذلك افتقد العرض بعض اجزائه، وكذلك تأثير الاضاءة المناسب. كما افتقد امكانيات مسرحية أخرى كتحليق صانع اللعب فى الهواء وصعود قارب الأميرة مع كسارة البندق الى قمة شجرة عيد الميلاد.

ونود هنا أن نذكر بالتقدير مشاركة الدكتورة ماجدة صالح فى ترتيب الرحلة الفنية للفرقة، بصفتها مستشارة لقاعة المؤتمرات. ولاشك انها- كخريجة مدرسة موسكو للباليه وبالرينا سابقة -قامت باداء العديد من الأدوار الرئيسية، منها دور كيترى، الذى أدته مع فرقة البولشوى على مسرح قصر المؤتمرات بالكرملين، وعميدة سابقة للمعهد العالى للباليه، ومديره سابقة لدار الأوبرا، وأستاذة حاليا بالمعهد العالى للباليه لاشك أن هذا التاريخ الحافل يؤهلها دائما من اجل أن تلعب دورا مؤثرا فى أى موقع تعمل به من أجل فن الباليه.

وأخيرا.. لقد كان لخروج الباليه الروسى الى باريس بقيادة دياجيليف عام ١٩٠٩، أى قبل عام من انتهاء العقد الأول من القرن العشرين دور هام فى انقاذ فن الباليه فى اوروبا والعالم من التدهور. فما الذى يعنيه خروج الباليه الروسى عام ١٩٩٠ الى العالم بقيادة يورى جريجاروفيش أى قبل عام من بداية العقد الأخير من هذا القرن؟

ان الاجابة على هذا السؤال بشكل صحيح، من شأنه أن يعاون على رسم صورة لحالة الباليه على تخوم القرنين العشرين والواحد والعشرين.

سيد درويش
الوحيد الذى عبر عن مصر كلها

د. سهير عبد الفتاح

لو تخيلنا أن مصر كلها قد تحولت الى رجل واحد يغنى، فهذا الرجل هو سيد درويش الذى اشتعل كالشهاب، ومات فى زهرة العمر.

والتراث الموسيقى المصرى فى هذا القرن حافل بالأسماء الكبيرة، من عبده الحامولى إلى عبد الوهاب، ومن ألمظ الى أم كلثوم ، ومن محمد عثمان إلى السنباطى. لكن كل واحد من هؤلاء العمالقه لايعبر إلا عن وجه واحد من وجوه مصر، ولايخاطب إلا جمهورا بالذات، أما سيد درويش فهو الملحن الوحيد الذى عبر عن مصر كلها، وغنى باسم كل المصريين.

مصر فى كل لحن من ألحان سيد درويش . كبرياؤها وبؤسها، ذكاؤها وطيبتها، حزنها الدفين ونكتها الحاضرة، إقبالها على الحياة واتصالها بالأبدية. ولهذا أصبح سيد درويش لسان مصر المعبر. حين يجتمع المصريون يغنون ألحانه، وحين يغنى الآخرون نشيدهم الوطنى يغنى المصريون والعرب كلهم:

بلادى بلادى!

فى السابع عشر من شهر مارس سنة ١٨٩٢ ولد سيد درويش .مئة عام مرت حتى الآن على ميلاده، عاش منها هذا الفنان الفذ واحدا وثلاثين عاما فقط قدم فيها كما ضخما من أروع الألحان فى مختلف الأشكال، أدوار، وموشحات، وطقاطيق، بالاضافة إلى الاوبريتات والاستعراضات الغنائية.

ومع أن اسمه الآن على كل لسان، ودوره فى تجديد الموسيقى العربية الحديثة معروف لدى الجميع، فنحن لانسمع إنتاجه بانتظام، ولا نعرفه كله، ومازالت بعض ألحانه غير محققه، وبعضها مجهول. والمشتغلون بالبحث الموسيقى من المؤرخين، والمحققين، والنقاد والمحللين، والمتخصصين فى الموسيقى المقارنة ، وغيرهم من علماء الاجتماع، ومؤرخى الحضارة يستطيعون أن يجدوا فى تراث سيد درويش وسيرته أرضا بكر (تنتظرهم) فأنا لم أستكشف الاجانبا واحدا من جوانب سيد درويش فى الرسالة التى كتبتها عن «مجتمع القاهرة فى أغانية بين سنة ١٩١٧ وسنة ١٩٢٣» لهذا اكتفى فى هذه المقالة بالحديث عن علاقتى الشخصية بموسيقى سيد درويش كيف تعرفت على ألحانه وتتبعت قصة حياته، واتصلت بأولاده وأصدقائه وتلاميذه والمعجبين به؟

***

لقد أنفقت سنوات طويلة من عمرى مع سيد درويش ومع موسيقاه، ويمكن أن أقول عن نفسى إننى درويشية بقدر ما أنا مصرية وقاهرية.

وكما نشأ سيد درويش فى حى شعبى من أحياء الاسكندرية هو «حى كوم الدكة» نشأت أنا فى حى شعبى من أعرق أحياء القاهرة، هو حى السيدة زينب الذى مازال يعبق بروائح الماضى، والذى شهد كثيره من الأحياء التقليدية والشعبية المشاهد والمشاكل والنماذج البشرية والصراعات التى صورها سيد درويش وعبر عنها فى ألحانه وأوبريتاته.

ثم إننى ترعرعت فى بيت يحب موسيقى سيد درويش ويقدرها ويدافع عنها. وهذه هى الرسالة التى نذر والدى الكاتب الصحفى عبد الفتاح فهمى نفسه لها، وكان آخر مقال كتبه فى حياته عن سيد درويش. كانت أدوار سيد درويش وطقاطيقه وألحانه المسرحية تعيش معنا فى المنزل منذ كنت طفلة صغيرة، يرددها أبى دائما مع أصدقائه من الأدباء والفنانين فى المناسبات، وقد كبرت معى هذه الألحان، وصارت لها فى نفسى منزلة خاصة تشبه منزلة الأخوة أو أبناء العم. ولن أنس أبدا أصدقاء أبى الثلاثة، بديع خيرى أعز أصدقاء سيد درويش والشاعر الذى كتب معظم كلمات أغانية ، وبيرم التونسى مواطن سيد درويش الذى نشأ معه فى الاسكندرية ورفيق كفاحه، وكان يروى لنا بلهجته المتفكهة وخفة ظله كيف آواه سيد درويش فى منزله وأخفاه عن عيون الشرطة، حين كتب زجله المشهور عن الملك، فقررت الحكومة القبض عليه تمهيدا لترحيله إلى خارج مصر، لأن بيرم فى ذلك الوقت لم يكن قد حصل على الجنسية المصرية رغم أنه ولد فى مصر.

أما ثالث الثلاثة، فهو يوسف حلمى الكاتب الذى وهب عمره للنضال من أجل التقدم، وكان رئيسا لجميعة أصدقاء سيد درويش.

هذه هى البيئة التى نشأت فيها والتى جعلتنى أتجه لدراسة الموسيقى العربية فى المعهد العالى للموسيقى العربية فلما فكرت فى الحصول على درجة الدكتوراه من جامعة السوربون كان من الطبيعى أن أختار موسيقى سيد درويش موضوعا لرسالتى، وهكذا قررت أن أبدأ البحث من النقطة التى بدأ منها سيد درويش من المكان الذى فتح فيه عيونه على النور

اتصلت بمحمد البحر الأبن الأكبر لسيد درويش وكان لايزال على قيد الحياة، فدعانى مع والدى لزيارة الاسكندرية والتجول فى حى «كوم الدكة» الذى ولد فيه أبوه وعاش طفولته وصباه، كما ولد فيه أيضا محمد البحر وقضى حياته كلها.

***

حين دخلت هذا الحي الشعبي القديم انتابتني مشاعر عجيبة، فجأة شعرت أنني انتقلت من زمان الى زمان آخر، أزقة وحارات ضيقة جدا موروثة من قرون مضت، كنت أتحرك فيها بصعوبة شديدة.

أما أهل الحي فكانوا يعرفون طريقهم وينظرون إلينا بفضول. مبان ومقاه قديمة من طراز غريب لايوجد الا فى كوم الدكة. وأثناء تجوالنا فى الحى أشار محمد البحر الى منزل حديث وقال: هنا كان يوجد المنزل الذى ولد فيه أبى، وأمام مقهى من مقاهى الحى القديمة قال: هذا هو المقهى الذى كان يفضل ابى الجلوس فيه.

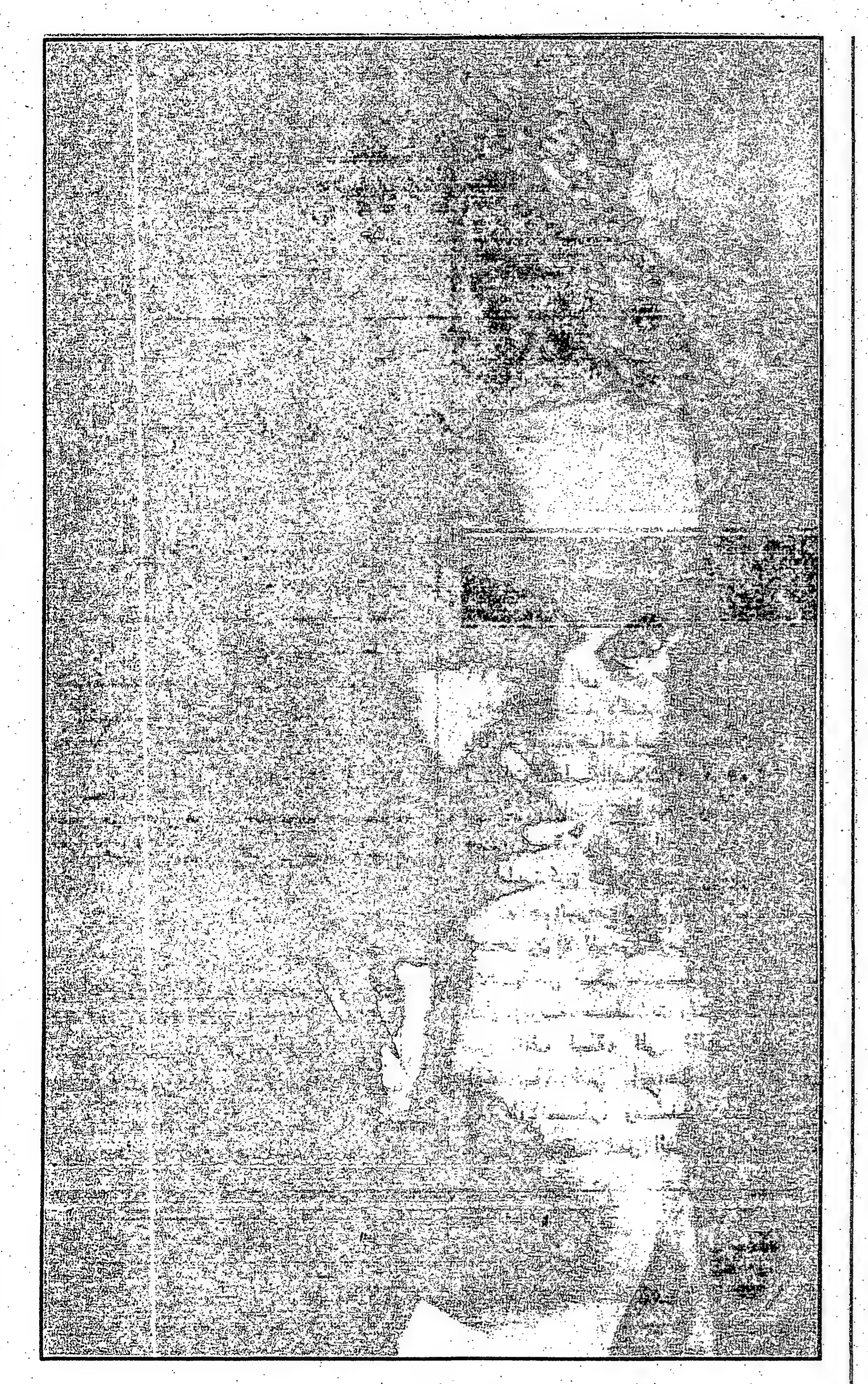
فى ركن من أركان المقهى كان يجلس رجل مسن قدمه لى محمد البحر قائلا: الشيخ محمود حسن واحد من حفظة تراث سيد درويش، وكان من أفراد الجوقة «جماعة المرددين» فى فرقته وكم كانت سعادتى بلقاء هذا الرجل الرائع الذى أخذ يردد على مسامعي بصوته المحمل بأثقال السنين وتعبها ومراراتها ألحان سيد درويش. كانت منها ألحان مشهورة أعرفها وأحفظها، وكانت هناك ألحان أخرى لم أسمعها من قبل.

ولم أستغرب هذا، فمن المؤكد أن هناك ألحانا لم تسجل لسيد درويش، وخاصة فى المرحلة الاسكندرانية التى سبقت وصوله الى القاهرة واستقراره فيها سنة ١٩١٧ بعد عامين من نشوب الحرب العالمية الأولى.

فى ذلك الوقت كان قد لحن أدواره الشهيرة التى بدأها بدور «يافؤادى ليه بعشق» وكان أيضا قد لحن بعض الطقاطيق المشهورة، وأشهرها «زورونى كل سنة مرة» وأخذت هذه الألحان تنتقل على ألسنة الناس حتى وصلت الى القاهرة وحققت شهرة كبيرة للملحن الاسكندرانى الشاب الذى كان عمره فى ذلك الوقت لايزيد عن خمسة وعشرين سنة.

ولاشك عندى فى أن هذه الألحان التى سجلت على اسطوانات وغناها مشاهير المطربين والمطربات سبقتها ألحان أخرى لم تشتهر ولم تسجل ، وهى الألحان التى كان يرتجلها ويغنيها بنفسه وهو ملحن ومغن ناشئ يكسب قوته بالعمل فى المقاهى والبارات الشعبية وخاصة وأن موهبة سيد درويش كانت ضخمة متدفقة، كانت حياته التى انتهت فجأة فى الحادية والثلاثين من عمره تسير على طريقة المصر بأسلوب بوهيمى يؤدى به أحيانا الى إهمال بعض ألحانه التى لم تسجل فبقيت تتردد بألسنة الحفاظ من أصدقائه وأفراد فرقته، ومنهم هذا الشيخ العجوز محمود حسنى الذى تعرفت عليه فى مقهى كوم الدكة.

لم استغرب إذن حين أخذ الشيخ محمود حسنى يسمعنى بصوته المتعب هذه الألحان التى لم أسمعها من قبل لسيد درويش والتى لم أسمعها بعد ذلك أبدا، لأنها كانت موجودة فى ذاكرته وأرجو الا تكون قد انتهت بموته.



هكذا عشت لمدة خمسة عشر يوما وتجولت فى هذا الحى العجيب أعيش فى ماضى مستمر أو فى حاضر لابداية له ولانهاية ، وأحس بأنفاس سيد درويش تتردد وروحه تتجول معنا.

لقد فهمت فى هذا الحى لماذا كان سيد درويش هو لسان مصر المعبر، ولماذا تحولت ألحانه الى تراث شعبى، ولماذا ظلت خالدة حتى الآن؟!

فى اللقاء السنوى مع المشاهد المصرى ..

برامج مجانية .. وبرامج توزع الذهب

كفاح رجال الأعمال واعلاناتهم .. فى سلة واحدة ...

ماجدة موريس

* كان السؤال «عويصا» للممثلة سعاد نصر ،وهو هل كانت ام كلثوم هى صاحبة الوجه الممتلئ، أم العيون السود، أم العنق الطويل أم الشعر المسترسل.. وقد فشلت فى الإجابة عنه لأنها تعتقد أن أهم ماتعرفه عن أم كلثوم أنها صاحبة أجمل صوت. ويخجل «التلامذة» تلقت الفنانة درجة الصفر فى برنامج (سباق المعلومات) التليفزيونى الذى انطلق هو وجيش من البرامج معلنا، بالاسلوب الاعلامى المصرى، بموعد وصول الشهر الكريم..

ولاداعى للحديث المعاد عن الاستفزاز الذى تسببه هذه البرامج، التى يستأثر كل منها بفنانة أو فنان، أو مجموعة، أو لاعب كرة، وغير هاتين الفئتين استثناءات، وتقديم أشياء نختصرها بالقول بأنها لاتفيد، بل وتضر لأنها بمثابة «قتل للوقت» وليس مجرد تضييعه. وتحويل شهر رمضان بأكمله إلى «مكلمة» كبرى، منصوبة للمشاهد من ١١ صباحا إلى ٣ من صباح اليوم التالى، و(أحيانا تمتد لأكثر) على القناة الأولى والثانية، بالاضافة لسبع ساعات لكل من القنوات المحلية الثلاث ٣، ٤، ٥، (واثنتان من هذه القنوات لاتعدا محليتين لان ارسالهما أصبح شبه قومى هى الرابعة والخامسة)..

ولن نكون ظالمين مفترين فيظن الناس أننا نهاجم البرامج فقط لأنها لاتستضيف الصحفيين إلا للوجود الرمزى، ولكن المكلمة «ممتدة من خلال بقية انواع الفرجة التليفزيونية، مسلسلات وتمثيليات وأفلام، من (الف ليلة) الى (الهجان) الى (الحلمية) الى (ساعة ولد الهدى) إلى (الانصار) ومسلسل سادس، هو (المال والبنون) فعل التليفزيون الاعاجيب للاعلان عنه قبل رحيل الهجان بثمانى حلقات، أى قبل منتصفه، حيث قام مشكورا بتأجير مسحراتى متنقل بين القنوات يعلن عن الانتاج الضخم (المال والبنون) فى كل الاوقات مع عرض فقرات منه، حفظها الجمهور قبل أن ينتهى من الهجان وهو فى غاية الدهشة، إذ ماالهدف من تحفيظه «المقرر» القادم، قبل أن ينتهى المنهج المعروض، وهل هناك احساس ما، لدى المسئولين بأن (الهجان) جاء أقل مما ينبغى! أو أطول أو أكثر فتورا، ولذلك سارعوا إلى المشاهد بإلحاح، لربطه، حتى لايفلت من المشاهدة..ربما...

ولكن المؤكد أنه لا البرامج ولاالمسلسلات ولاالفوازير كانت التحفة المؤكدة بالنسبة للشعب المنتظر منذ عام هذا اللقاء التاريخى بينه وبين التليفزيون فى رمضان، الا استثناءات نادرة جدا، وليس الذنب ذنب الناس بالطبع، وانما ذنب من عودوه على أقص درجات الدلع من باب الترفيه عن صيامه، فاعتادوا على تفريغ الشاشة من برامجها المعتادة، ووضع برامج مخصوصة مكانها، فيها عدم ارهاق المشاهد ووجع قلبه بآية مشكلات. إلا مشكلات الفنانين مع بعضهم ومع ازواجهم وزوجاتهم، وأيضا نجوم الكرة.. ومن الطريف أن (مشكلات الناس) لاتجد لها مكانا على الشاشة فى رمضان، بشكل مطلق، من باب «رفع المعاناة» عن الصائمين ولاتجد لها مكانا فى غير رمضان، لأسباب أخرى عديدة ، بل ويبدو ماتكتبه الجرائد على صفحاتها يوميا من امور الواقع كما لو كان يحدث فى بلد أخرى غير مصر.. أو أن مايقدمه التليفزيون هو مصر، التى لانعرفها.. أنها حالة من الانفصال التام يبدو أن التليفزيون سعيد بها لا يهمه أى شئ يعكر صفوها. أو يقطع سعادتهم ببرامجه البهيجة ماركة (سباق القمة) و(سباق المعلومات) و(كلام من ذهب) و(لطائف الوظائف) و(السيد وحرمه) و(حلاوة زمان).. ويبدو أن خطة التليفزيون نجحت، ولكن، لمدة اسبوع واحد فقط، ثم انطلقت الشكاوى من جراء الاحساس بعملية «نصب» كبرى، أو على الأقل، عملية «نفخ» و«شحن» اعلامى لأقصى درجة أنتهت على البلاط.. ولنا أن نتخيل مواطن تفرغ للتلفزيون فى رمضان بعد العودة من عمله، فيجد كل «المادة» غير مطابقة للمواصفات المعلنة، «عمو فؤاد» بدون كوميديا، و«من غير كلام» درسا فى

أحمد ماهر ضابط المخابرات فى الحلقات، ومحمود عبد العزيز الهجان

الفوغائية والتهريج والاستظراف من ناس تقلدهم كل الناس، (وسباق القمة) فرق (جمع فريق) سريحة تجلس لتتسامر بأسم المعلومات ومقدم يتظاهر بالجد الشديد لإضافة اى وزن لمايقدمه، أما (حديث لم يحدث) فهو حوار «طرشان» المفروض أن يثير الضحك أو حتى الابتسام ..لكنه.. يثير الاسى والشفقة، ثم (حوار صريح جدا) الذى أصبح حوارا بعد أن قصت الرقابة الذاتية كل مافيه، والباقى أشارات يوجهها الفنانون إلى من يقصدونه، حتى لايفهم الجمهور، ويأتى (السيد وحرمه) مشروع فكرة لابأس بها لولا العنوان الذى يوحى بالهزار فى مسائل جد، ولولا أن ضيوفه فقط فنانون وممثلون.. ولولا أنه مهتم بالطرافة بدلا من اهتمامه بالبحث فى حياة زوجين ونقاط الخلاف والاتفاق بينهما بعد سنوات العشرة ، هناك أيضا (سباق المعلومات) العويص الذى تحدثنا عنه فى البداية وهو يصلح للاطفال حيث وضعوا ماكيت طيارة، نونو، فى الاستديو، لكنهم جعلوا ضيوفه من الكبار، هذا عن البرامج «القاعدة»، لكن هناك برامج أخرى، واقفه أو «سارحة» ، أى ان مقدمها ،يأخذ ميكروفه ويسرح وسط الناس ليسألهم أسئلة ببلاش، أو بفلوس.. وهذا هو التطور الذى جاد به عام ١٩٩٢ على تلك البرامج.. فقبل ذلك كانت البرامج كلها ببلاش، أما الآن فقد اختصت القناة الأولى ببرامج و«اقفة» تذهب الى الناس فى اماكن السهر فى رمضان، الثقافية والسياحية، مثل «الفورى» ومقر «التراث»، تسأل الناس وتتلقى الإجابات وتعرض لبعض فنون الفرجة «كل ليلة» ، لكن برامج القناة الثانية أخذت منهج آخر فى تلك النوعية من البرامج، هو منح الناس «نقودا» مقابل اجاباتهم عن الاسئلة، ولم يكن السبب حبا فى الناس أو تخفيفا لمعاناتهم، ولكن لأنه المنفذ المناسب للاعلان عن محلات وشركات ودكاكين بعض التجار ، وبشكل خبيث حيث يصبح السؤال هو البداية، ثم المكافأة، ثم الذهاب للممول الحاج «صاحب المحل»، او الشركة لسؤاله عن الجديد الذى يعرضه أو الخدمة إذا كانت شركة طيران مثلا، هذا عن (الطائف الوظائف) أما (كلام يساوى ذهب) فتقدمه طارق علام ، الذى قفز من مقدم مغمور يصاحب رجال الشرطة أثناء القبض على المجرمين فى برنامج (التحدى) إلى مقدم بالقوى، فى برنامج مفصل خصيصا من اجل تحويله الى نجم ولاعهر الشريف، صور



«يحيى الفخراني»..

فى كل الاوضاع وحجمه فى الكادر أهم من حجم المواطن، وهو يعلم أن السؤال عن عدد ادوار برج القاهرة لن يعرفه أحد، ولا هو طبعا لو كان فى موقف الذين يسألهم.. لكنها فرصة لكى يتصور مع مائة يسألهم ويفاصلهم فى الإجابة، حتى يصل أحدهم، بالصدفة،ا الى الحل الصحيح فيعطيه نصف جنية ذهب، وبعدها يتوجه ، الى المقدم، لصاحب معرض الادوات المنزلية او الكهربائية الذى يدفع، ليسألة.. (وسيادتك يافندم حتتكلم عن ايه النهاردة).. (ومن المهم طبعا تقديم صورة الفائز الغلبان وسط الناس التى فشلت فى اقتناص الذهب وجميعهم مبهورون يحيون البرنامج)..

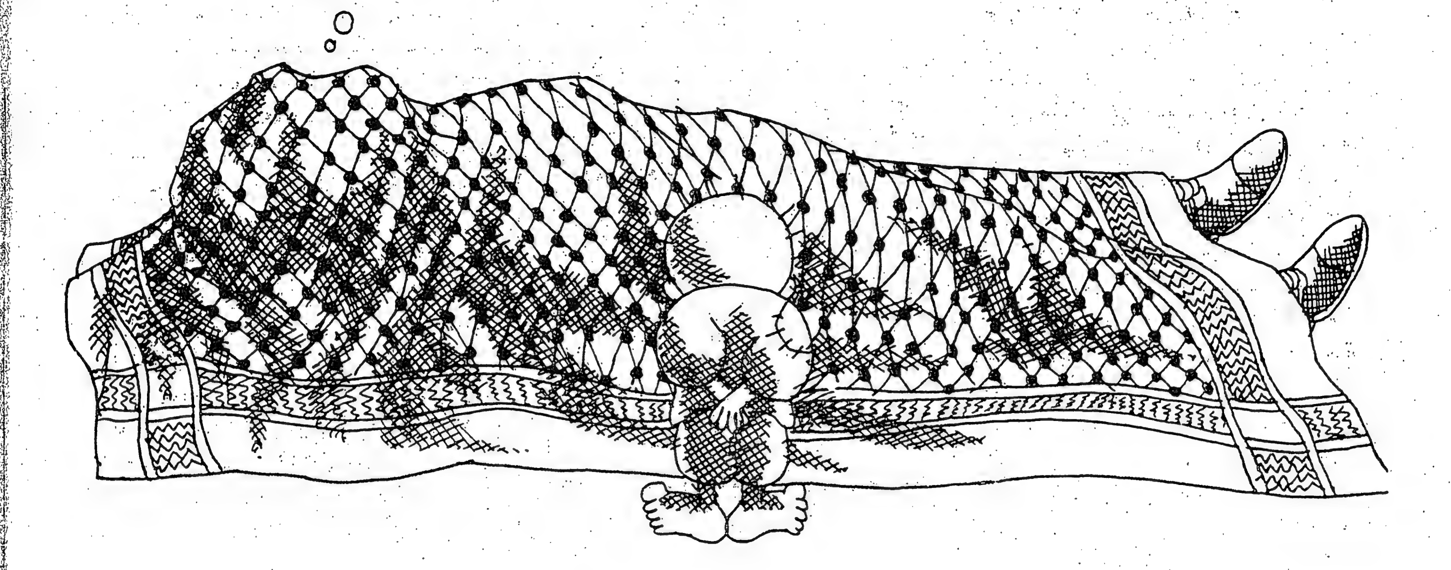
كفاح رجال الأعمال

برنامج ثالث، على القناة الثانية، يقوم بعمل سياسى واضح هو تدشين نجوم الانفتاح، وبروزتهم اعلاميا واخلاقيا من خلال كل ماهو جميل وفخيم ومريح وهو (نادى رجال الاعمال) الذى تبدو عناوينه على الشاشة كأنها بالفعل عملية اقتحام عصرية لهذا الارسال القديم، فضيوفه بهيئتهم الفخيمة يظهرون يوميا فى التيترات التى تؤكد أنه انتاج خاص لصحفى لم يسمع به احد من قبل، ومقدمته عزة الاتربى، مؤدبة وخجول، لاتحاور ضيفها فيما يكدر صفوه، وانما فيما يفتح شهيته للحديث عن كفاحه البطولى فى سبيل النجاح الكبير.. وكلهم بالطبع، أى رجال الاعمال، لاينسون شكر الرئيس والحكومة على هذه الرعاية للقطاع الخاص، وبعضهم يعلن عن استعداده لمزيد من التضحيات فى سبيل مصر.. ولايمكن «صفو» هذه التضحيات سوى تلك الاعلانات ذات الاصوات الاجشة والناعمة والمثيرة التى تقطع احاديثهم لتدفعنا إلى شراء البانيوهات والحمامات والسيراميك والسخانات.. ولايعترض رجال الاعمال بالطبع. لأنها اعلانات بضائعهم، فالحلقة منها فيها، الضيف واعلاناته فى برنامج واحد..

مع كل هذا.. والحق يقال، يتوقف المرء عند ثلاثة برامج ، تقدم شيئا مختلفا، ولاتغازل الفنانين، وأنما تحاول أن تفيد الناس، الاول (طلب احاطة) وفيه عرض لقضية هامة يوميا من خلال وجهات نظر مختلفة، وبدون انحياز مسبق (وتلك قضية هامة)، والثانى (مجرد رأى) الذى يعيد ترتيب البديهيات لدى الناس من خلال ضيوف ذوى ثقافة وفكر تسألهم مقدمته ميرفت سلامة عن معانى كلمات هامة ويردون بشكل محدد مثل الثقافة/ الإدارة/ الارهاب / التعصب/ الاستشراق الخ.. ويبدو ضيوفه غير مكتوين على القائمة الأبدية المفروضة علينا مثل د. فرج فودة الذى اراه لأول مرة فى برنامج رمضان وغير رمضان.. والبرنامجان على القناة الثانية أما القناة الاولى فتقدم جرعة ثقافية من خلال قطعة فنية أثرية وارتباطها بالتاريخ والحضارة الاسلامية المصرية، فى سبع دقائق فقط تلخص كل هذا بشكل علمى بسيط جذاب، ولكن، بعد الواحدة صباحا عندما يكون المشاهد العجوز يصارع النوم، أما الصغار فقد ذهبوا إليه منذ زمن.. ويبدو موعد هذه البرامج الثلاثة وكأنه حكم عليها بأن تكون «سرية» فى شهر المشاهدة، فأمامها «ليالى الحلمية» فى سهرة القناة الاولى أو النعاس الاكيد. مالذى بقى من البرامج.. السهرات، وهى موجودة من قبل باستثناء (موعد مع الجمهور) الذى يقدم فى نهاية سهرة الاثنين ويبدو فيه الجهد واضحا منذ الحلقة الاولى فى الاعداد والتقديم، والإخراج والضيف أيضا نجم. لكن التعامل مختلف وإذا ظل اصحاب البرنامج يمتنون به كما حدث فى الحلقة الاولى فربما يصبح ضمن البرامج الهامة التى اوشكت أن تنقرض من على الشاشات التليفزيونية المصرية. حيث تغلب عليها برامج نص نص، وسادت برامج دون المستوى.. والمشكلة أن كل هذا يحدث منفصلا عن سياق الواقع كانه فى بلاد أخرى.. أو هكذا يخيل الينا.. وربما يصبح الحال افضل بالنسبة للمسلسلات والفوازير والافلام وهو ماسندركه بعد أن ينتهى عرضها..



لا لكاتم الصوت



الرصاص في وجه الكاريكاتور!

.. وطال رصاص الإرهاب « طائفتنا » يا « ناجي » !

طائفة رسامي الكاريكاتور !

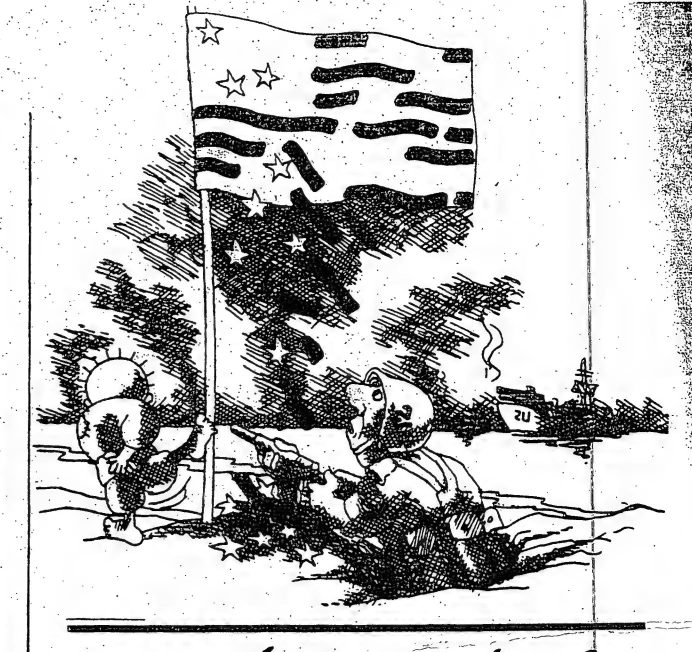
للمرة الأولى فى تاريخنا العربى ، وربما فى التاريخ كله ، يمتد سلاح الاغتيال إلى وجه رسام كاريكاتور : يغتاله حيوان مسلح بينما هو فى طريقه إلى طاولته ليرسم كاريكاتورا جديداً ينتظره القراء على اتساع الوطن العربى . كانت طاولة « ناجى العلى » هذه المرة فى « لندن » ، فقد كان هناك فى نزوحه السادس .

ما أكثر ما نزح هذا الرسام نحيل الجسم ، صخرى الوجه ، صعب الابتسام . فمنذ أن نزح من قريته « الشجرة » بجوار « الناصرة » فى فلسطين إلى « مخيم عين الحلوة » فى جنوب لبنان ، لم يستقر طويلاً فى مكان . بل ظل يتنقل حاملاً أسلحته المتواضعة (ريشة وأقلاماً عريضة وحبراً أسود وورق) ، باحثاً عن طاولة يجلس إليها ليزفر رسماً .

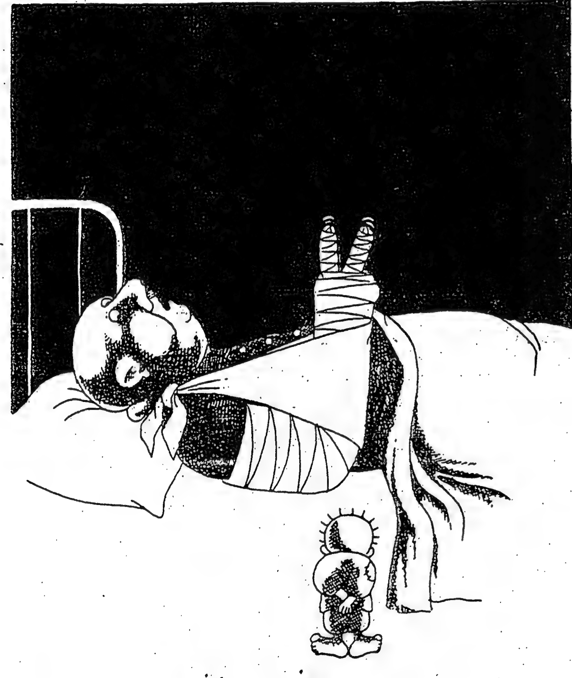
فى نزوحه الثانى من « عين الحلوة » إلى « بيروت » ، احترف رسم الكاريكاتور فى مجلة « الحرية » اللبنانية . وفى تلك المجلة ، وارب ناجى باباً صغيراً فى الكاريكاتور العربى . وسرعان ما سيفضى ذلك الباب إلى طريق جديد .

وفى النزوح الثالث إلى الكويت ، عمل « ناجى » فى مجلة « الطليعة » الكويتية رساماً ومخرجاً . وهناك ، وضع « ناجى » قدميه على ذلك الطريق الجديد الذى اكتشفه ، والمغاير لطريق مدرسة « صباح الخير » الذى كان وقتها فى عزّ مجده وزعامته للكاريكاتور العربى . ورغم إعجاب ناجى وتأثر تكوينه الفنى بذلك الكاريكاتور ، إلا أنه حاول أن يقدم شيئاً أخر .









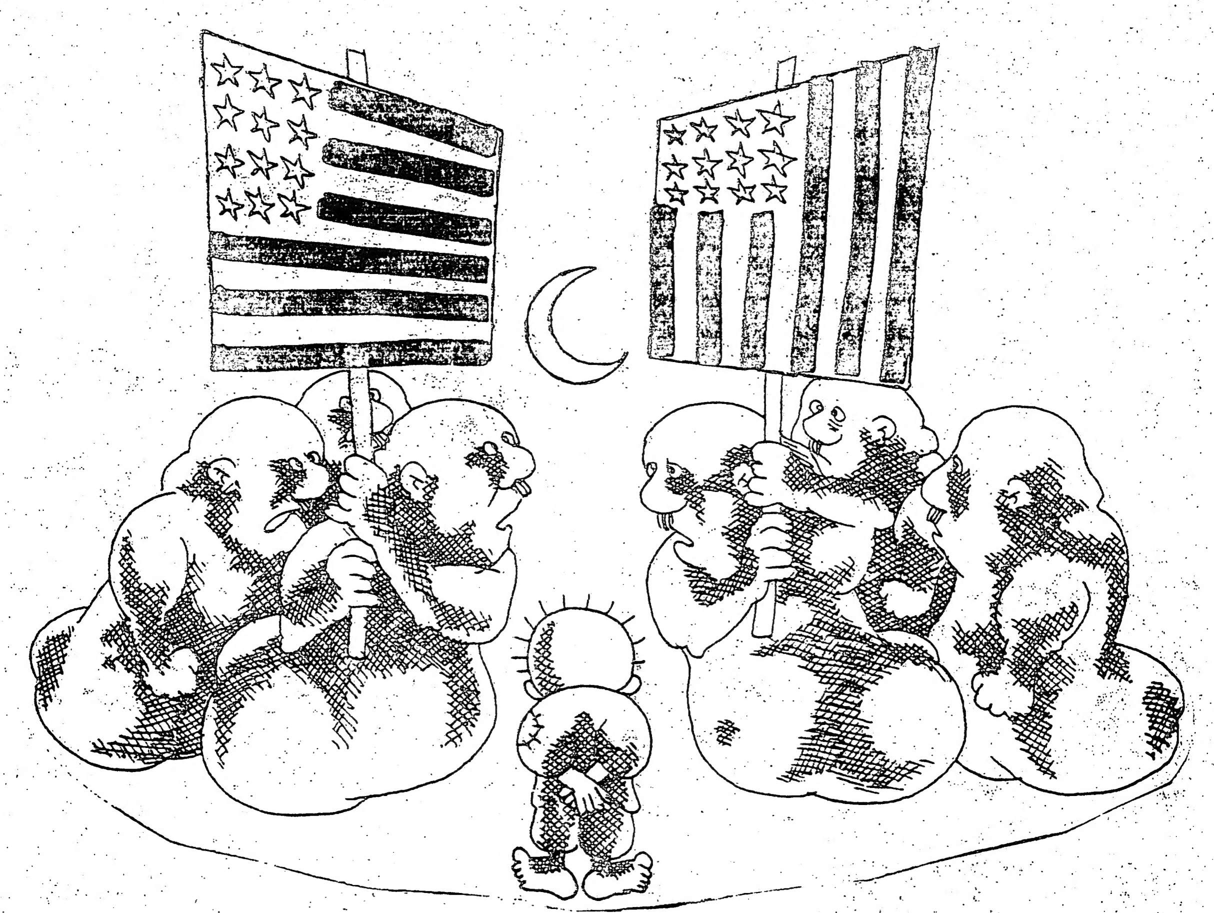




وعلى صفحات « الطليعة » الكويتية ، تبلور صوت « ناجى » الخاص : أصبحت أغلب رسومه بلا تعليق مكتوب ، تتربض المفارقة الفكاهية بقارئها فى حنايا المفردات الجرافيكية للرسم ـ مثل لغز بصرى يصيب من يحله بالمفاجأة التى تصدم نظام التوقع الثابت فى الدماغ ، فيضحك القارىء إعجاباً بذلك الرسام الملعون !

وكبست هزيمة ١٩٦٧ علينا وعليه حيث كان . وبينما كان أغلب الكاريكاتور العربى ـ حينذاك ـ منهمكاً فى تحصيل الحاصل : هجاء العدو الغاصب ، وسبّ من يقفون خلفه : اختار « ناجى » هجاء الذات ، ووخز ضميرها ، وتعذيب وعيها بمسئوليتها عما حصل ، وإيقاظ العقل بمواجهته بعجزنا وغفلتنا . ويبدو أننا كنا نحتاج ذلك (بل كنا نمارسه بالفعل) : فكان « ناجى » ـ حينذاك ـ هو رسامنا الذى اتفقنا عليه .

كان يرسم مشاعره الذاتية الحزينة واليائسة والمصدومة كواحد من أبناء



هذه الأمة الحزانى المصدومين ، وليس كمسئول دعاية سياسية محترف ، يخفى عن الناس ما يثبط من هممهم » ويركز على ما يستنفرهم إلى « العمل الإيجابي البنّاء » . ولذا أحببنا « ناجى » وكرهنا هؤلاء المسؤولين ، مثلما كرهنا إعلامهم وأغانيهم الرسمية فى المناسبات « الوطنية » ـ وأيضاً كرهنا ذلك الكاريكاتور الذى كان يشجعونه ويرعونه .

كنا قد اكتشفنا ـ نحن و« ناجى » معاً ـ حقيقة الشعارات المبالغة ، والبشارات الكاذبة بمستقبل منتصر مطمئن زاهر سيأتينا لمجرد أننا نعتقد بأحقيتنا به . وكنا قد اكتشفنا ـ ايضاً ـ أن حماية الزعماء الآباء الذين طالما اعتمدنا عليهم ما هى ـ فى الحقيقة ـ إلا عملية إخصاء جماعى عظيمة . ولكل هذه الاكتشافات ، بدأنا نعاقب أنفسنا ونعذبها ، وأطلقنا عدواننا على هؤلاء الزعماء/ الآباء . ونشأت ظاهرة التفاف مثقفونا وطلبتنا « الثوريين » حول « الشيخ إمام » نجم تلك الأيام ، يقهقهون بعصبية حين يصدح : « ياما أحلى رجعة ظباطنا من خط النار ! » ، أو حين يحكى لهم عن « بقرة حاحا » التى « من القهر انكسرت » فى لحن يتطلب من السامعين أن يرددوا خلف المطرب فى نهاية كل شطرة من كل بيت : « حاحا ! » فى عصبية لا تخلو من الابتهاج ! . وكان « مظفر النواب » يلقى قصائده فى تجمعات مشابهة يسألهم فيها ساخراً : « القدس عروس عروبتكم ؟ » ثم يجيب عليهم : « أحَه ! » . وكنا جميعاً ـ وقتئذاك ـ نشير إلى الأخبار والصور فى الصحف ونقول : « ها هم الرجال الحقيقيون : فى فيتنام ! » .

وكان « ناجى » الذى يرسم « الكاريكاتور الآخر » قد ابتكر أو أعاد اكتشاف شكل « قافية اشمعنى » (بالمعنى المصرى) فى الكاريكاتور ، فأخذ ينوّع بتطويل مقصود فى عدد من الرسوم على فكرة أساسية واحدة يلح بها على القارىء حتى يرهق وعيه ويدمى ضميره . فكم من رسوم نوّع فيها وألح بتشبيهات فكاهية للرقم « ٥ » (تاريخ يوم الهزيمة) : فشبّهه مرة بالعقال العربى ، ومرة أخرى بطوق « الهولاهوب » الذى نهز وسطنا بالرقص داخله . وكنا نضحك لهذا النوع من « الذكاء الجرافيكى » الملحّ ، وكنا ننتظر منه المزيد مما يطق به دماغه ، لا « ماينبغى أن يكون » و« المتوقع » الذى كنا قد مللناه .

وكانت « الطليعة » الكويتية (المحدودة التوزيع نسبياً) مكاناً مناسباً يكتشف فيه « ناجى » ذاته ، ويجرب رسوماً مختلفة عن السائد ويختبر وقعها ، ويتمرن فيها على التعبير بأسلوبه العصامى . وحين ينتقل الرسام من المجلة إلى الصحافة اليومية الكويتية يصبح نجماً أكثر سطوعاً ، يتواصل مع جمهور أوسع ، يتدرب معه على خلق لغة تفاهم خاصة تمتلىء بالتورية والتحايل .

وتشرق حرب أكتوبر ١٩٧٣ لأيام ، وترد إلينا بعض الاعتبار . وفى نفس الوقت ، تطرح الأحداث بعدها تعبيرات جديدة علينا : التفاوض المباشر ـ الحلول المنفردة ـ الخطوة خطوة ـ المؤتمر الدولى الوهمى ـ التنازل من أجل الحصول على تقبل المجتمع الدولى .. الخ . وفى هذا الجو ، تصدر جريدة « السفير » البيروتية ، وتستدعى « ناجى » للعمل بها . وخلال هذا النزوح الرابع ، يتأسس رسامنا كرسام العرب الذى تتناقل رسومه فى « السفير » الصحف العربية فى مختلف الأقطار .

وتتفجر الحرب الأهلية اللبنانية المجنونة ، وتظل تصاعد من جنونها وسعارها ولا معقوليتها .. ومع هذا الجنون واللامعقولية والمفاجآت ، ينضج وعينا ـ نحن و« ناجى » ـ ونزداد معا وعيا وإدراكاً وحكمة . فقد اكتشفنا أن الشعارات الجاهزة ، والتصنيفات القطعية السهلة ، والانحيازات المطلقة ، والاستنادات الواثقة النهائية ـ اكتشفنا أن كل هذه الأشياء قد وصلت إلى نهاية « عمرها الافتراضى » ، وأن الأمور قد أصبحت معقدة ومختلطة وشديدة التأزم . نضجنا وبكينا وضحكنا ضحكاً مختلفاً عما كنا نضحكه قبل ١٠ سنوات . وكان الكاريكاتور الذى احتجناه من « ناجى » مختلفاً أيضاً .

وأعطانا الرسام (الذى صار واثقاً من تواصله مع الجمهور) ما نحتاجه من كاريكاتور : السخط ـ الحزن ـ الاعتراف بالمأزق ـ الشاعرية ـ القهقهة العابثة ـ والشتائم ، وكل هذا فى لماحية ذكية . وفى هذه المرة ، جعلنا وعينا النسبى أكثر مناعة ضد الصدمات اللامعقولة ، ولم يكن هناك محل « للمازوكية » . كنا نريد أن نضحك لنفرج بعض الكرب عن قلوبنا وسط الفجيعة والألم والموت والظلام والانقاض ، وأيضاً لنتمسك بالحياة . كان نجمنا المسموع ـ هذه المرة ـ « زياد الرحبانى » ببرنامج الإذاعى وبأغانيه

التى امتزج فيها ألم الاكتشاف مع الفكاهة العبثية الواعية. وسطع « زياد » (المسموع) و« ناجى » (المرئى) نجمين كاريكاتوريين، التف حولهما الناس فى لبنان وخارجه ليسمعوا ويروا فكاهة المأساة التى أبدعها النجمان فى أشكال لا تقلد نماذج سابقة. وساعدت تلك الفكاهة الناس على الاحتفاظ ببعض لماحيتهم وذكائهم ووعيهم الفطرى - ولو للحظات - وسط دمار من نوع فريد.

وبعد وصول الجيش الإسرائيلى إلى « بيروت »، يرغم « ناجى » على ترك وطنه الثانى فى لبنان إلى وطنه الثالث فى الكويت (يصل عدد الأوطان البديلة فى أحد رسومه إلى ٦٤ وطناً!). وفى ذلك الوقت، تكون أمورنا قد ارتبكت ارتباكاً شديداً من جديد، وتكون الأوراق قد اختلطت أكثر من كل الفترات السابقة. ويكون الظلام مطبقاً، والأمل الممكن غائباً بالمرة. ونعاود هجاء الذات بقسوة وبلا رحمة، ويصفق الجمهور طالباً المزيد من « المازوكية »: المزيد من إيذاء الذات وإيلامها وتعذيبها، والمزيد من إعلان اليأس ونعى الأمل (أىّ أمل) خشية من أن يكون ذلك الأمل نوعاً من التخدير. ويحتل المثقفون « المتشددون » مقدمة المصفقين المطالبين بذلك المزيد!

ظل « ناجى » - فى نزوحه الخامس - يرسم ويهجو، لكن الأوضاع المحلية و« الخطوط الحمراء »، حيث كان، لم تمكنه من هجاء « كل » من يجب هجاؤهم. أما هجاء الذات (خاصة الذات الفلسطينية) فلم يمثل مشكلة لمن يضعوا « الخطوط الحمراء »، وسمحوا به فى كرم شديد. ولكن، فجأة - وفى إيثار للسلامة مبالغ فيه - تطرد السلطات الكويتية عدداً من الصحفيين « الأغراب »، ومن بينهم « ناجى ». ومن جديد، ينزح الرسام « نزوحه السادس » إلى لندن، ليبحث فيها عن طاولة يزفر فيها رسماً. وفى الطريق إلى تلك الطاولة - فى إحدى المرات - يغتاله الحيوان المسلح.

◆ ◆ ◆

بعد نزوحه الثالث إلى بيروت، وبعد أن تدرب جيداً فى صحافة الكويت، رسم « ناجى » فى أعقاب حرب ٧٣ عن: « المنفردين »، و« المستسلمين »، و« القابلين »، و« المهادنين »، وعن « عرب أمريكا » و« عرب النفط »، و« الفدائى المخدوع »، وعن التشابه بين « الرافضين » و« القابلين ». وعند انفجار المأساة اللبنانية، رسم « ناجى » رسومه البليغة والذكية ضد شركة « بروتين » لاحتكار صيد السمك التى كانت أولى الشرارات التمهيدية للحرب الأهلية. وكان أغلب تلك الرسوم بلا تعليق مكتوب.

وبعد تلك اللخبطة التاريخية التى نزل بها « السادات » على رؤوسنا، ظل « ناجى » محتفظاً برأسه فى مكانه، وبقدرته على السخرية وسط الأهوال. أبدع حملة ساخرة كانت كلها « من مخه » ولحساب نفسه وناسه وليس لحساب الأنظمة التى ناصبت « السادات » العداء و« التصدى »، مما أكسب رسومه مصداقية لدى القراء العرب، يندر أن يفوز بها رسام عربى آخر. وقد أكدت هذه الحملة اتفاق القراء عليه رساماً لهم، وزاد إدمانهم لرسومه فى موعد صباحى منتظم.

ماعدا الفقراء، غالباً ما كان « ناجى العلى » يهجو الجميع، بلغته الكاريكاتورية، وبمفرداتها المبتكرة التى صكها، وبالشفرة الجرافيكية التى اتفق مع قرائه عليها. كان يرسم - بعد تأسسه الفنى - وكأنه يخاطب صديقاً قديماً يجلس بجوار طاولته بلغة يعرف كلاهما كل خفاياها ورموزها. وكان يصوغ تعليقه السياسى بلا حذلقة سياسية، وبذات الطريقة التى يعلق بها الناس الذين لا يعرفون رطان السياسة ولا جدول الضرب، وفى وعى تلقائى مختزل إلى سخرية تبدو عبثية وصادقة. كان « ناجى » يتلقاك قبل أن تتزحلق فى التحليلات الثقافية المعقدة المستمدة من مراجع قديمة ثابتة. وكان يضع على لسانك العبارة ذاتها التى يزفر بها رجل مرقع الثياب فى الحارة وهو يقهقه: « يا عمى كلهم مثل بعض: اخوات (شـ .....)..! ».

كان « ناجى » قادراً على صياغة هذا التعليق الفطرى والعبثى فى لغة بصرية بليغة وموجزة، لاذعة وبسيطة. فى رسم تلقائى عصامى لم تصبه الأكاديمية بداء الحذلقة والمبالغة فى التجويد التى تقتل الرسالة الخاطفة. وحين كانت الأحداث الجسام تسقط على رؤوسنا كوارث سافرة، وتتطلب من الرسام تعليقاً حاداً، لم يكن « ناجى » يسجن نفسه فى الكاريكاتور « بدون تعليق » الذى تميز به غالباً، وكان يرسم كاريكاتورات « ذات تعليق ». بل إنه - عندما كانت اللغة البصرية الخالية من اللفظ أو حوار لا تسعف أعصابه المتفجرة - كان يملأ مساحة الكاريكاتور بكلمة واحدة أو كلمتين يخطهما بقلم الرسم العريض، وكأنه يخط شعاراً من شعارات الحيطان، حيث لا وقت للغة لا تصل رسالتها إلى المتلقى من النظرة الأولى.

ولا يزال قراء « ناجى » يذكرون له الكثير من المفردات المرسومة التى اخترعها على طول مشواره، واصطلح - هو وقرائه - على دلالاتها ومعانيها:

◆ المرأة الحزينة الباكية (فلسطينية أو لبنانية)، وقد علقت مفتاح الدار فى رقبتها. وقد حدثنا الرسام بعيونها الحزينة ودموعها الصامتة حديثاً طويلاً تنوعت فيه معانى العين والدمعة.

◆ المسيح بإكليل الشوك والهالة المنيرة والمسامير، وقد تكرر ظهوره فى رسوم « ناجى » كثيراً (أليس « عيسى بن مريم » مواطنه من « بيت لحم »؟).

◆ الصليب، رمزاً للعذاب وتحمل الألم والشهادة (حدثنى « ناجى » منذ ربع قرن عن إعجابه بالمسيح، وباستشهاده مصلوباً من أجل انقاذ البشر من ذنوبهم).

◆ أسلاك الحدود الشائكة التى تفصله عن وطنه.

◆ الرسائل الإذاعية المؤثرة التى يتبادلها الفلسطينيون المبعثرين فى أرجاء الشتات، وينقلون بها أخبارهم إلى بعضهم البعض.

◆ تذكرة الهوية وجواز السفر (المواطنة من الدرجات السفلى فى كثير من البلاد).

◆ الفدائى بملابسه المرقطة، والتنويع على بقع الترقيط. وكثيراً ما يظهر الفدائى فى رسومه الأخيرة شهيداً أو مبتور الأطراف.

◆ الفقير الفلسطيني واللبناني (أو العربى بشكل عام) الذى يظهر حافى القدمين حليق الرأس على طريقة معسكرات الاعتقال، بثياب مرقعة. وبعد الحرب الأهلية والاجتياح الإسرائيلى للبنان، يظهر هذا الفقير مبتور الذراع أو الساق يتوكأ على عكاز ملفّق.

◆ الحطة الفلسطينية التى يستعملها المنافقون - أحياناً - استعمالاً بذيئاً وفظاً.

◆ الأحجار التى ترجم قوات الاحتلال فى فلسطين (قبل الانتفاضة).

◆ الشعارات المكتوبة على لافتات القماش.

◆ آثار الأقدام الحافية (يشير اتجاهها إلى الطريق الصحيح).

◆ ÷ (علامة التقسيم فى الحساب) رمزاً لفكرة تقسيم لبنان.

◆ برميل النفط.

◆ الكائنات السمينة المترهلة التى تزحف بلا ساقين، وتنبت لها - فى بعض الأحيان - ذيول! (رمزاً للأنظمة العاجزة).

◆ أما « حنظلة » الذى يظهر دائماً فى مقدمة الرسوم معطياً ظهره للقارىء، فلابد أنه الطفل « ناجى العلى » فى ذلك العمر الذى خرج فيه مع أهله من قرية « الشجرة » الفلسطينية إلى مخيم « عين الحلوة » إبان النزوح الأول. ولعل الرسام يصوّر به « الأغلبية الصامتة » التى لا تعلن عن مشاركتها السياسية - فى أغلب الأحيان - حيث أن لديها من المصائب « الاستراتيجية » ما هو أفدح بكثير مما يحدث فى الرسم الواحد. ولعل « ناجى » صاحب الشخصية الانطوائية يسجل بتلك الوقفة (التى تبدو لا مبالية) خجله من الحماس التى قد يضطر إلى إعلانه - أحياناً - فى رسومه، ولعله بذلك يدعى أنه - شخصياً - غير مشارك فى هذا التحمس!

◆ ◆ ◆

يذهب « ناجى » وتبقى رسومه العدوانية والجارحة أحياناً، والشاعرية اليائسة أحياناً أخرى. تلك الرسوم التى حبّرها بالحزن والألم وافتقاد الأمل القريب، وبمشاعر الحصار والاكتئاب. تلك الرسوم التى كانت - فى مرات كثيرة - لازمة لوخزنا وتذكرتنا - وسط المواجع والصعوبات والمغانم الصغيرة - بحجم الكارثة المتصلة التى نعيشها ونستيقظ عليها كل صباح.

تبقى لنا رسوم « ناجى العلى » - بمجملها - كيوميات عربية نادرة تغطى من عمرنا ٢٠ عاماً كاملة (١٩٦٧ - ١٩٨٧)، وتؤسس فى الكاريكاتور العربى (بعد الكاريكاتور الأوروبى والأمريكية) اللغة الجرافيكية غير اللفظية، مثبتة أننا العرب لسنا - دائماً - كما قيل عنا: نطرب فقط للفظ والسجع، بل إننا - أيضاً -: أصبحنا نعى بعيوننا التى لم تعد بعد « أمّية »!

« محيى الدين اللباد »

حرب الإعلانات السعودية الفاسية!

على امتداد الشهور القليلة الماضية، نشبت حرب الاعلانات بين عدد من الصحف العربية والعالمية-من بينها صحف حزبية مصرية- حول قضية اعتقال الشيخ «محمد الفاسى» وهو مواطن سعودى، يمت بصلة مصاهرة إلى الأسرة المالكة السعودية كان قد اتخذ موقفا معارضا لسياسة حكومة بلاده، أثناء أزمة الاحتلال العراقى للكويت، فزار العراق، واعلن استعداده لمساندتها بانصاره،- الذين قدر عددهم بثمانية ملايين مقاتل- ضد أى هجوم تشنه عليها قوات التحالف الدولى!..

وفى ٢ أكتوبر ١٩٩١، وأثناء زيارة قام بها لعمان، قبض عليه، وسلم للسلطات السعودية المختصة التى أمرت باستمرار حبسه فى أحد السجون القريبة من العاصمة السعودية، حيث أبلغت عائلتة منظمات حقوق الانسان، بواقعة خطفه وإساءة معاملته ، بسبب آرائه الناقدة لموقف حكومته من أزمة الخليج، والداعية لاصلاحات سياسية تتعلق بالحريات العامة فى المملكة العربية السعودية..

ونجحت أسرته بنفوذها المالى، فى تشكيل لجنة دولية تضم عددا كبيرا من الشخصيات العالمية ذات الوزن للدفاع عنه، وتولت نشر بيانات هذه اللجنة على شكل اعلانات احتلت صفحات كاملة من الصحف الأمريكية والأوربية والعربية والمصرية، تشرح قضيته وتطالب بالافراج عنه، وسرعان ماستثارت حملتها الحكومة السعودية، التى نجحت فى اقناع معظم أعضاء هذه اللجنة، بأنهم قد خدعوا ، فأصدروا بيانات مولت حكومة الرياض نشرها على شكل اعلانات احتلت صفحات كاملة من صحف العالم، تعلن أنهم قد تأكدوا أن محمد الفاسى ليس سجين رأى، ولكنه نصاب، اعتقل لأسباب جنائية عادية، منها جرائم تزوير، وهكذا انهارت اللجنة الدولية لمناصرة الفاسى، لتقوم على انقاضها لجنة دولية أخرى، باسم لجنة مناصرة ضحايا عائلة الفاسى، أخذت تنشر إعلانات فى صحف العالم، تتحدث عن محمد الفاسى، الذى كان يغادر فنادق فلوريدا دون أن يدفع حساباته ويتبرع لجمعيات خيرية أمريكية بشيكات بلارصيد، والذى حكمت عليه احدى المحاكم الأمريكية بدفع أكبر تعويض على طلاق فى التاريخ الأمريكى وهو بليونى دولار، أى مايقرب من ٧ مليار جنيه مصرى!..

ومشكلة حرب الاعلانات التى تدور بين الحكومة السعودية وعائلة الفاسى، على ساحة الصحافة العالمية، ومن ضمنها ساحة الصحافة المصرية، أنها تفتح مجددا باب الحوار حول تقاليد وأدبيات نشر الاعلانات فى الصحف المصرية، إذ هى اعلانات سياسية، ماكان يجوز أن تنشرها صحيفة، حتى فى ظل القاعدة التى تقول أن الاعلان هو مسئولية المعلن. إلا مع تعليق يكشف عن موقف الصحيفة من القضية التى يتناولها الاعلان..

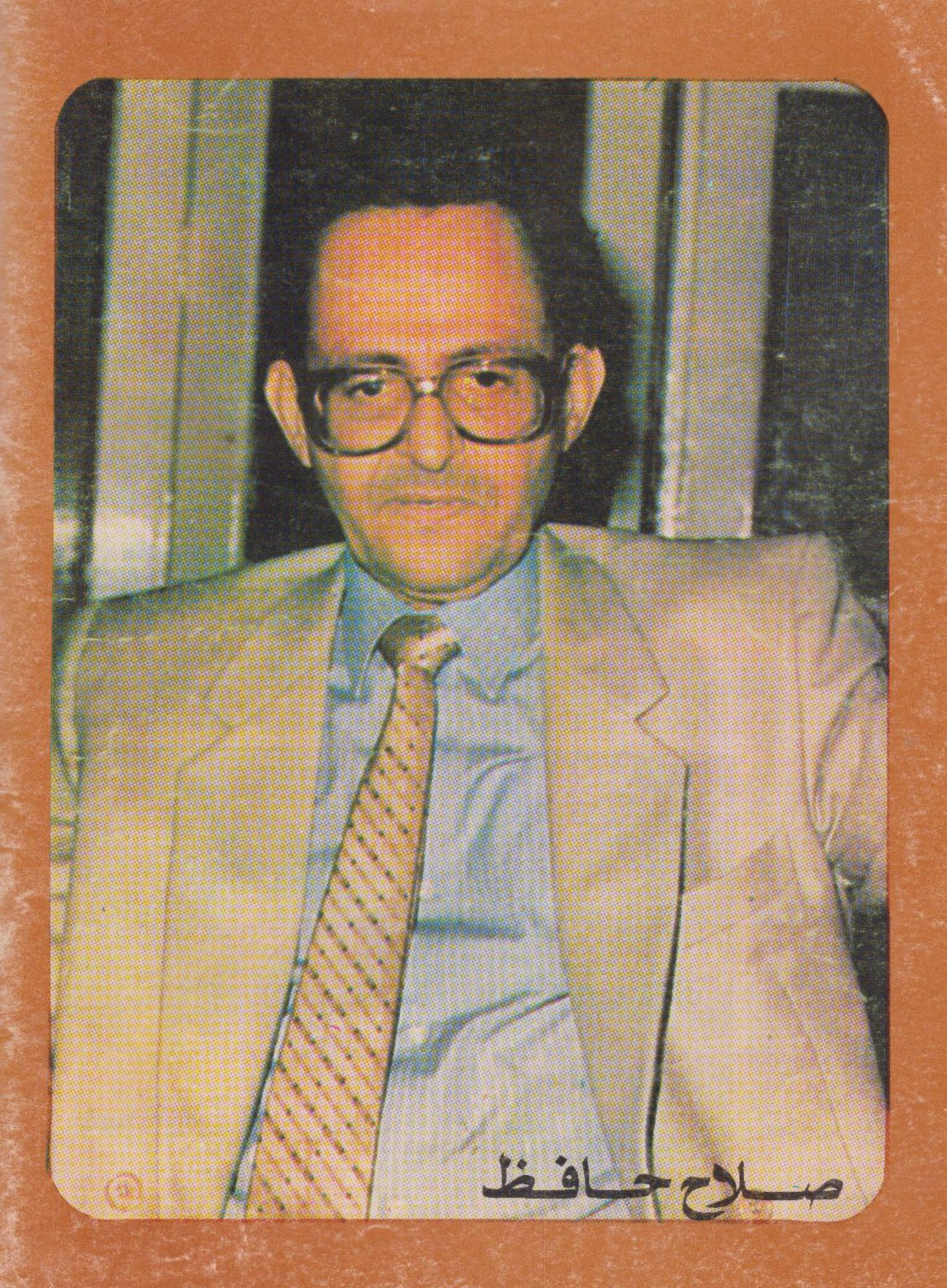
أما والحرب تدور حول قضية تتعلق بحقوق الانسان، فما كان يجوز للصحف التى نشرت إعلانات التضامن مع الفاسى، أن تتجاهل إهدار حقوق آخرين من المواطنين السعوديين، لاينتمون لاسر فى ثراء ونفوذ أسرة الفاسى، حتى لايتحول الدفاع عن حقوق الانسان، الى عمل تجارى تكسب منه الصحف، لاموقف تلزمها به كل قواعد وأصول المهنة!

وماكان يجوز للصحف التى نشرت دفاع الحكومة السعودية، أن تسكت عن الرد عليه، فحتى لوصح أن الفاسى نصاب ومزور، وغير ذلك ممانسب إليه، فليس ذلك مبررا لاعتقاله، وليس مبررا للصمت على طلب منظمات حقوق الانسان، بأن تزورة، لتتأكد أنه يعامل وفقا للقانون، وأنه سيقدم إلى محاكمة عادلة، تحاط بكل الضمانات القانونية!.

أما وقد فوجئت أسرة الفاسى، بالحملة المضادة التى شنتها الحكومة السعودية،وادركت انها ستخسر حرب الاعلانات، فقد لجأت إلى آخر سلاح فى جعبتها ، فنشرت نداء للرئيس «بوش» تذكر فيه أن «الفاسى» قد اعتقل لأنه تأثر- خلال اقامته فى امريكا- بالديمقراطية الأمريكية، وحاول أن يشيع مبادئها فى ربوع المملكة، وتطلب إليه التدخل للافراج عنه. وهو سلاح لابد وأن يثبت فعاليته، فلايؤدى فقط إلى الافراج عن «الفاسى» ،بل يسفر كذلك عن استقرار تقاليد نشر الاعلانات فى الصحف المصرية!

ومرة أخرى: ياأولاد الأفاعى.. ألاكرامة لأحد عندكم مالم يكن امريكانيا!.

صلاح عيسى


صلاح حافظ